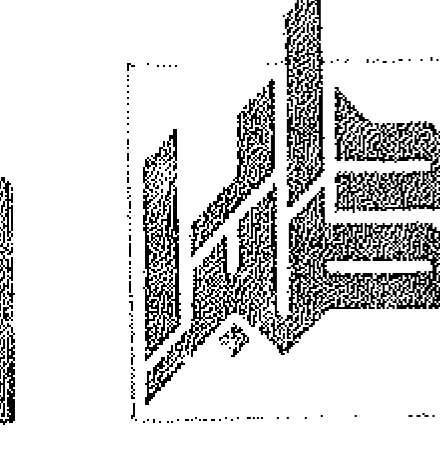
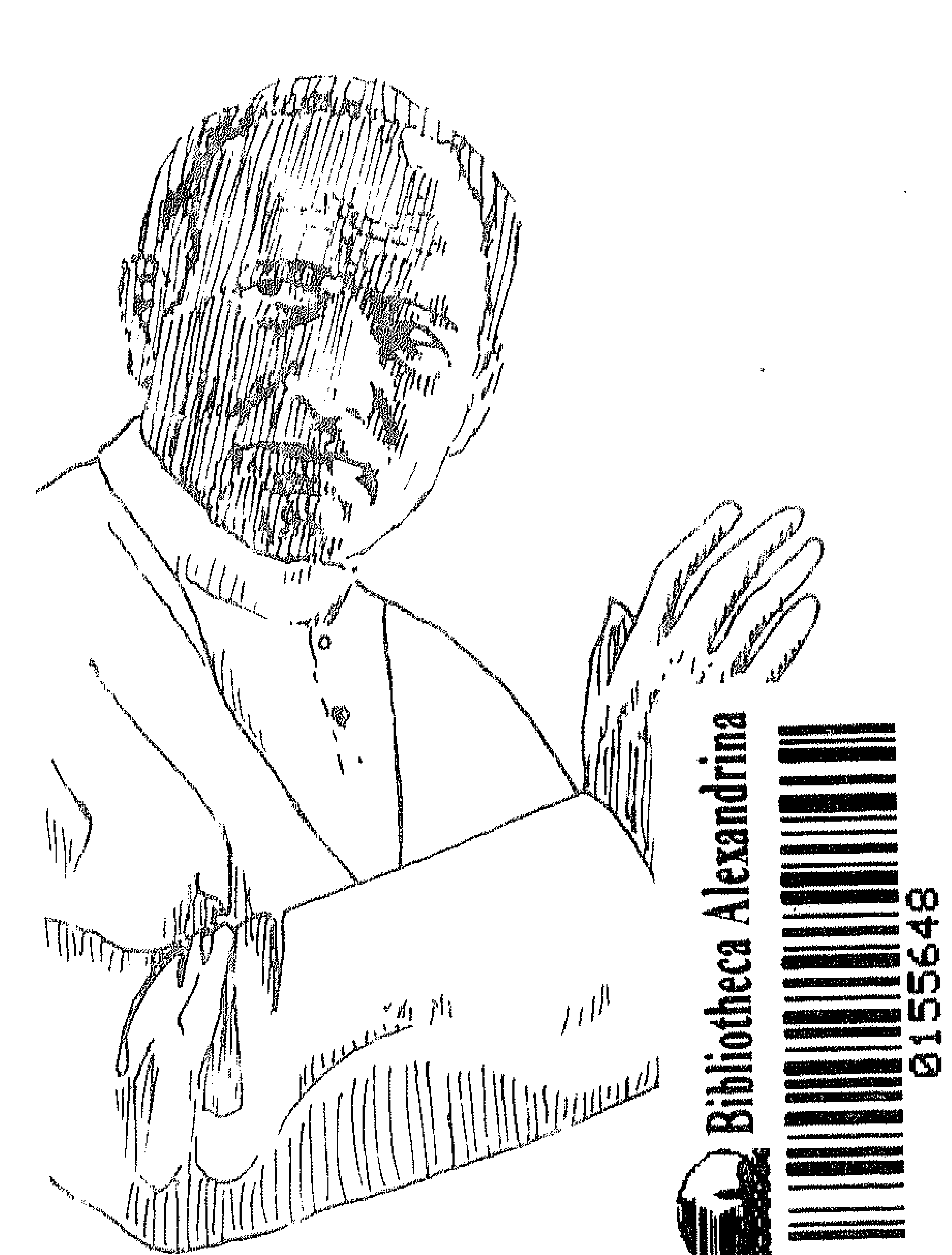


صبرا للطباعة والنشر





الأوراق السرية لمحاولة اغتيال البابا

المؤامرة



المؤامرة

الأوراق السرية لمحاولة اغتيال البابا

إعداد : قسم الدراسات

صبرا للطباعة والنشر

صمم الغلاف: عماد حليم

صبرا للطباعة والنشر
دراسات . خدمات صحفية . نشر . توزيع
دمشق . سورية ص ب ١٢٢٤ . هاتف ٤٤١٨١٥ . تلكس ٤١٢٠٠٩١ SABRA BY
نيقوسيا . قبرص . ص ب ٦٦١ . هاتف ٤٩٩٠٥٥ . تلكس ٤١٠٠١ SABRA CY.

الطبعة الثانية ١٩٨٥

مقدمة

كانت محاولـة اغتيال البابا بولس الثاني في أيار من سنة ١٩٨١ حدثاً غير عادي ، اهتزت له آنذاك كافة الدوائر العالمية ، وبدأت ركضها المرير المضني ، لمعرفة الجهة الفاعلة أو الكامنة وراء هذه العملية . ورغم خطورتها ، فقد كان بإمكان القضاء الايطالي الوصول الى الحقيقة ، إذ تمَّ القبض على « أغجا » التركي مُطلق الرصاص فوراً ، وهذا يشكل الجزء الرئيسي من العملية ، إلا أن ما طرأ من تطوُّرات بعد ذلك أربك المراقبين ، وأدخلهم في دائرة من الحيرة والشك . وقد كانت تطورات نادراً ما شهد القضاء مثيلاً لها ، فبعد عام كامل من إصدار الحكم بالسجن مدى الحياة على « أغجا » ، يُفتح ملف القضية من جديد ، فإذا نحن أمام متهم جديد هو المواطن البلغاري « سيرجي أنتونوف » . . . وهنا دخلت القضية في طور آخر بتنويعات متعددة ، كان أهمها الزج ببلغاريا والاتحاد السوفياتي على أنهما وراء هذه العملية ، ثمَّ كافة عمليات الارهاب الدولي . وقد شغلت هذه المسألة الاعلام الغربي ، وأولاها اهتماماً غير عادي ، يستدلُّ على ذلك من حجم الكتب والدراسات والمقابلات والأفلام التليفزيونية التي صدرت وأنتجت عن هذه القضية .

ومن هذه النقطة بالذات ، كان تفكيرنا في بحث هذه القضية ، وتحرِّي مختلف جوانبها ، وهي نقطة مهمَّة ، تردُّ على تساؤلات العديد من أصدقائنا الذين

تساءلوا : لماذا هذا الكتاب ؟ . وبالاضافة الى أهمية القضية ، كان هاجسنا في الدار (صبرا للدراسات والنشر) تأسيس أسلوب بحثي جديد ، من خلال التركيز على موضـوع معين ، يقوم باحثو الدار بدراسته ميدانيًّا ، وصولاً إلى الحقيقة .
وانطلاقاً من ذلك كان اختيارنا لقضية محاولة اغتيال البابا ، لما فيها من أهمية وإثارة ومعلومات سريَّة ، تهمُّ القارىء العربي ، الذي هو محطُّ أنظار الهجوم الاعلامي الغربي الموجَّه من العديد من دوائر الاستخبارت العالمية .

كيف تمَّ إعداد هذا الكتاب ؟

انطلاقاً من قناعاتنا السابقة ، قمنا بتشكيل فريق عمل من ثلاثة باحثين ، أخذوا على عاتقهم تعقُّب هذا الموضوع ، ضمن المراحل التالية :

١ ـ جمع ودارسة ما صدر في الغرب عن هذه القضية من كتب ودراسات ومقالات باللغتين الانجليزية والفرنسية .

٢ ـ زيارة ميدانية إلى بلغاريا للاطلاع على وجهة النظر البلغارية ، وتحرِّي العديد من المعلومات بالطرق الخاصة عن سيرجي أنتونوف وعلاقاته .

٣ ـ مقارنة المعلومات السابقة ، وهي تعبر عن وجهتي نظر متعارضتين ، وتحليلها على ضوء قناعات فريق البحث ، وما توفر له من معلومات من دوائر متعددة .

وبعد عمل بحثي شاق استغرق عاماً كاملاً ، تمَّ إنجاز هذا الكتاب ، الذي تستطيع مؤسستنا من خلاله أن تؤكد :

١ ـ أنها تؤسس منهجاً بحثياً جديداً ، يعتمد على اختيار الموضوع أولاً ، ثمَّ دراسته ميدانياً .

٢ ـ أنها توجِّه اتهاماً جديداً في هذه القضية . .

كل ما سبق ، يجده القارىء في هذا الكتاب الذي نفخر بإنجازه ، وها هو بين يديه ، والحكم له .

د . أحمد أبو مطر

الفصل الاول

طلقات في ساحة القديس بطرس

كان الوقت عصراً ، والساعة تجاوزت الخامسة والدقيقة الخامسة عشرة من يوم الأربعاء الثالث عشر من أيار ١٩٨١ ، عندما وقع الحادث الذي « أغرق العالم في ذهـول » كما قالت إحـدى الصحف آنئـذ . وسـاعته كانت الساحة الخارجية الكبرى في مدينة الفاتيكان ساحة القديس بطرس ، تعج بحوالى عشرة آلاف من الحجـاج ، والزوار ، وطلاب البركة ، الذين جاؤوا من أصقاع شتى في العالم . وكانت تلك الآلاف تنتظر ، كما هي العادة في مثل هذا الوقت من أيام الأربعاء ، حيث اعتاد البابا يوحنا بولس الثاني ، الذي أمضى سنتين ونصف السنة من وجوده على الكـرسي الرسولي ، أن يطوف بالجموع قبل أن يلقي خطبة قصيرة . كانت تنتظر البابا ليمر بينها ، يبارك حشدها ، ويصافح من تصله يداه أو يلمس أيدي المحيطين بالطريق الدائري المرسوم لتحرك سيارته المكشوفة .

أقبلت السيارة المكشوفة ، وقد وقف البابا فيها يلوّح بيديه لجمهوره ، ويلقي عليهم إشارة البركة ، وبعد أن أتمت دورتها عادت السيارة البابوية من حيث أتت ، لتمر الجموع المحتشدة خلف الحاجز الذي أعد لذلك ، حتى إذا وصلت السيارة إلى الكشك المخصص لبيع الطوابع التذكارية ، والبابا يوحنا بولس الثاني يمد يده وينحني ليلامس يد امـرأة وقفت بين الجمـوع أو ليداعب طفلاً ، دوت أصوات الرصاص في المدينة الصغيرة الهادئة الوادعة ، على خلاف المدينة الأم - روما . وبينما كان الثـوب البابوي الأبيض يصطبغ بلون الدم القاني خرّ الرجل المقدس وسط سيارته واتكأ على مقعدها ، فانحنى عليه اثنان من القساوسة كانا يرافقانه في السيارة .

كانت شوارع روما في ذلك الوقت تستقبل الطلائع الأولى لمئات الآلاف من الايطاليين ، الـذين قرروا الخروج في مظاهرات كبيرة عصر ذلك اليوم ، ليعلنوا رأيهم إلى جانب قانون الاجهاض الذي سيجري الاستفتاء العام عليه ، بعد أربعة أيام فقط من ذلك اليوم ، وهو القانون الذي نشب حوله صراع قوي داخل المجتمع الايطالي ، شاركت فيه الكنيسة والبابا شخصياً ، حيث كانا يريدان إلغاء القانون وتحريم الاجهاض .

كان شاب أسمر السحنة ، يكمن واقفاً بين الالاف العشرة ، وقد اندفع في حركة سريعة وسط الحشد المتطلع إلى البابا ، ووجه مسدساً نحوه ، وأطلق عدداً من الرصاصات ، أصابت راعي الكنسية الكاثوليكية في بطنه ، وذراعه اليمنى ، ويده اليسرى ، فانطلقت السيارة البابوية على الفور بسرعة فائقة - بينما تجمدت من الـذهول حركة البشر المحيطين بها - إلى داخل الفاتيكان ، لتخرج من باب آخر

سيارة اسعاف تابعة للصليب الأحمر ، ترابط في المدينة المقدسة للطوارىء ، أقلت البابا الجريح وصحبه إلى مستشفى « جيمللي » في روما ، بينما اندفع في الوقت ذاته الشاب الأسمر بسرعة أيضاً في اتجاه آخر ، لكن الجماهير التي استفزها العمل لحقت به ، وأمسكت بتلابيبه وكادت تبطش به لولا أن تدخل رجال الأمن الايطاليون ، الذين ألقوا القبض على مطلق النار وحالوا دون أن يصل إليه أحد من الذين أخذتهم سورة الغضب ، وهنا ألقى الشاب بمسدسه إلى الأرض ، فالتقطه رجال الأمن ، فيما تدافع الناس في كل اتجاه بعد أن حل فيهم الفزع محل الذهول ، فوقع عدد منهم تحت الأرجل ، وأصيب بعضهم برضوض وجراح ، في حين نسي الجميع ، من هول المفاجأة ، زائرتين كانتا تقفان بين الحشد قريباً من سيارة البابا ، وأصيبتا ببعض الرصاصات التي أطلقت على البابا وأخطأته .

خارج مدينة الفاتيكان ، كانت وسائل الإعلام بأجمعها ، قد نقلت الخبر إلى العالم الذي اهتز له ، ووزعت وكالات الأنباء نبذة عن شخصية الحبر الأعظم الذي كان سيحتفل بعيد ميلاده الحادي والستين بعد خمسة أيام ، وهو أول بابا أجنبي (بولوني) يعتلي عرش القديس بطرس منذ العام ١٥٢٢ . وكان قد اختاره ١١١ كاردينالاً في السادس عشر من تشرين الأول ١٩٧٨ ، بعد الوفاة المفاجئة للبابا يوحنا بولس الأول . اجتمعوا في مجمع الكرادلة بالفاتيكان ، ليجعلوا من المونسينيور كرول فويتيلا أسقف كراكوفيا الخليفة رقم ٢٦٣ للقديس بطرس . وقد كان البابا رياضياً ، يتحدث عدة لغات في طلاقة ، ويتصف بحب الاستطلاع وسعة ثقافته ، ويتميز بقوة احتماله ودأبه في العمل . مرح المظهر ، باسم الوجه دائماً ، وخلف ذلك تختبىء إرادة حديدية وقدرة كتمان الأسرار . وكثيراً ما اعترف المحيطون به ، أنهم يجهلون كل شيء عن نيات رئيسهم . ولقد اكسبته صفاته هذه ، إعجاب الايطاليين الذين ظل الكثيرون منهم ينظرون إليه باعتباره دخيلاً على كنيستهم ، وشعروا بأنه يتحداهم بتأكيده على المبادىء غير الشعبية في ايطاليا كتحريم الاجهاض ، ورفض الطلاق ، واستمرار عزوبية القساوسة ، والالتزام بالتدرج الكهنوتي ، والابقاء على الزي الديني .

قال شهود العيان الذين رأوا ما حدث ، وسمعوا أصوات اطلاق النار في ساحة القديس بطرس ، إن مرتكب الجريمة كان مندساً بين الصفوف ويقف على مقربة أمتار قليلة من قداسة البابا ، ثم اندفع فجأة مصوباً مسدسه إلى البابا . . . « كان قريباً جداً » ، كما يقول المثل الايطالي ، « لدرجة أن نار المسدس وحرارة لهيب الرصاصة ، كادتا تصليان الوجه أو تحرقان الشعر » ، كما قالت الصحف

المسائية الايطالية التي صدرت يوم وقوع الحادث .

إذن ، فلقد تعرض الحبر الأعظم لمحاولة اغتيال ، وهي الأولى من نوعها منذ عدة قرون . فعلى الرغم من أن تاريخ الكنيسة الكاثوليكية شهد أكثر من ٣٠ حالة تعرض فيها البابوات إلى نهايات دموية ، وواجه عدد آخر من أسلاف البابا يوحنا بولس الثاني محاولات اغتيال نجوا منها بأعجوبة ، مثل البابا الحالي ، فإن الكنيسة المعاصرة لم تشهد حادثاً مروعاً كهذا(*) .

لقد صلب القديس بطرس ، الذي يعتبره الكاثوليك أول البابوات ، رأساً على عقب في العام ٦٤م أو العام ٦٧م ، ويعتقد أن ١٤ بابا خلفوه مباشرة ، توفوا شهداء للكنيسة ، ومات نحو ١٦ أو ١٧ بابا بتأثير السموم ، أو بالسيف ، أو لأسباب أخرى غير طبيعية ، إلاّ أن البابوات تمتعوا منذ عهد النهضة بالأمن ، وتوفي معظمهم على فراشه . وكان آخر زعيم للكنيسة الكاثوليكية يموت خارج روما ، هو البابا بيوس السادس ، الذي أنهى أيامه في عام ١٧٩٩م سجيناً لدى نابليون بونابرت امبراطور فرنسا . وكان آخر بابا يلقى نهاية عنيفة ، هو لوشيوس الثاني الذي قتل في عام ١١٤٥م لدى قيادته هجوماً على جماعة من معارضيه في روما . أما البابا الذي قتل بعد وفاته الطبيعية فكان البابا فورموس ، الذي مات في عام ٨٩٦م ميتة طبيعية ، ثم أخرجت جثته من القبر في العام نفسه ، على أيدي أعدائه الذين وضعوا ملابس على الجثة ، وحاكموها وأدانوها ثم ألقوا بها في نهر التيبر . وفي عام ٩٠٦م وضع البابا سرجيوس الثالث السابقة النادرة بقتل سلفه البابا ليو الخامس . وقتل البابا يوحنا الثاني عشر في عام ٩٦٤م عقب ارتكابه ما قيل انها جريمة زنى ، بيد أن الوثائق لم توضح إذا ما كان البابا قد قتل على يد الزوج الغيور أم على يد أحد غيره .

لم يجد رجال الشرطة أية أوراق ثبوتية مع مطلق النار على البابا ، لكنه أفصح عن أنه يدعى « محمد علي أغجا » ، تركي الجنسية ومن مواليد عام ١٩٥٨ . واعترف على الفور بأنه هو الذي اعتدى على البابا ، وقال إن الحياة لا تهمه ، ثم نقل إلى خارج ساحة القديس بطرس للتحقيق معه . وكان السلاح الذي استخدمه

---

* لم تكن حتى ذلك اليوم الثالث عشر من أيار ١٩٨١ ، قد تكشفت المعطيات والأدلة التي ظهرت فيما بعد بصدد موت سلف البابا يوحنا بولس الثاني يوحنا بولس الأول غيلة في مؤامرة حاك خيوطها ، ونفذها ماسونيون ، ورجال مافيا ، وكذلك كهنة كانوا من أقرب مساعدي البابا السابق ، كما سترد بعض تفصيلات ذلك في هذا الكتاب .

في محاولة الاغتيال مسدساً من نوع « براونينغ » عيار ٩ مللم ، وهو يعد مسدساً حربياً يتسع مخزنه لأربع عشرة رصاصة . وقد أعربت مصادر الشرطة الايطالية في الدقائق الأولى للحادث عن اعتقادها بأن شخصاً آخر كان مع « أغجا » شاركه أو ساعده في فعلته .

وكان الناس ورجال الأمن في ساحة القديس بطرس ، قد تنبهوا عند وقوع حادث الاعتداء على البابا ، إلى شاب أسمر كان يجري مسرعاً ، بعد أن دوت الطلقات في الساحة ، ويحمل بيده حقيبة جلدية طويلة ، فلحقوا به وألقوا القبض عليه ، وعند تفتيشه والبحث فيما يحمله ، تبين أنه حقيبة لآلة موسيقية ، وأن الشاب ليس إلا مضيفاً في أحد النوادي الليلية .

وفي التحقيقات الأولية قال « محمد علي أغجا » إنه وصل إلى روما منذ أسبوع قادماً من اسبانيا ، ونزل في بنسيون قرب ساحة « كامور » التي لا تبعد كثيراً عن الفاتيكان . وعثرت الشرطة عند تفتيشها الغرفة ٣١ التي حل فيها « أغجا » بالبنسيون على رسالة بخط يده ، وباللغة التركية ، يعلن فيها سلفاً عن عزمه على قتل البابا :

« قتلت البابا لأظهر للعالم الجرائم التي ترتكبها الولايات المتحدة ، والاتحاد السوفياتي في السلفادور وأفغانستان » .

كما وجدت الشرطة في الغرفة جواز السفر الذي دخل به إلى ايطاليا واستخدمه في التنقل عبر بلدان عديدة . وكان يحمل اسم : فاروق أوزغون من مواليد العام ١٩٥٣ ، ووجدوا بطاقة انتساب إلى جامعة اللغة للأجانب في بيروجيا ، وهي بطاقة حديثة العهد واستعملها « أغجا » في تنقلاته داخل ايطاليا .

لم يكن « محمد علي أغجا » شخصاً مجهولاً قادماً من عالم المغمورين ؛ فالسفارة التركية في روما أكدت فور إعلان الدوائر الايطالية عن اسم المعتدي على قداسة البابا ، أن « أغجا » يميني متطرف ينتمي إلى « حزب الحركة القومية » الفاشي الذي يتزعمه « البارسلان توركيش » ، وهو حزب يطالب بإلغاء العلمانية في تركيا وإقامة نظام حكم سلفي يطبق الشريعة الاسلامية ، وأن « أغجا » مطلوب لسلطات الأمن التركية لتنفيذ حكم الاعدام الذي صدر بحقه بسبب ارتكابه في شباط ١٩٧٩ جريمة اغتيال « أبدي ابتشكي » رئيس تحرير صحيفة « ميليت » التركية الليبرالية المستقلة . وفي أنقرة أعلنت وزارة الداخلية التركية انها زودت الشرطة الدولية « الأنتربول » ، قبل بضعة أشهر بمعلومات عن نشاطات « أغجا » . وأكدت مصادر الوزارة ، أن وزير الخارجية التركي كان قد أرسل

مذكرتين إلى وزيري الخارجية والعدل الايطاليين ، يخبرهما فيهما أن « أغجا » قد دخل ايطاليا وأنه كان قد أعلن في أكثر من رسالة ، أنه ينوي اغتيال البابا بأي شكل من الأشكال وأن وزارتي الخارجية والعدل الايطاليتين ، لم تلتفتا إلى المذكرتين ، ولم تأخذا ما فيهما مأخذ الجد بأية صورة من الصور ! .

كان « أغجا » بعد اغتيال الصحفي التركي ، قد حاول الهرب إلى خارج تركيا ، كما قال راديو أنقرة في ١٥ أيار ١٩٨١ ، وظل مطارداً من الشرطة حتى ١١ تموز ١٩٧٩ حيث ألقي القبض عليه في اسطنبول ، وأحيل إلى إحدى المحاكم العسكرية التي طالبت باعدامه . وفيما كانت محاكمته مستمرة استطاع « أغجا » بطريقة ما ، وبمساعدة شركاء بينهم موظفون وضباط في السجن ، حسب ما أفادت التقارير الصحفية التي نشرت في الأيام اللاحقة ، أن يهرب في ٢٤ تشرين الثاني ١٩٧٩ ، من سجن كارتال مالتيب « العسكري في اسطنبول » ، متنكراً بزي عسكري أعدّ له حيث خرج من الباب الرئيسي للسجن بصورة رسمية ، وبهويات مزورة دون أن يلاحظ ذلك ، أو يفطن إليه أحد من حراس السجن أو مسؤوليه . وبعد يومين من ذلك ، وصلت إلى هيئة تحرير صحيفة « ميليت » ذاتها رسالة تحمل اسم « أغجا » وتوقيعه ، حسب ما أعلنت وكالة الأنباء التركية في ٢٨ تشرين الثاني ١٩٧٩ ، وكان يهدد فيها بأنه سيقتل البابا يوحنا بولس الثاني أثناء زيارته إلى تركيا ، المقرر لها أن تبدأ بعد ذلك بيومين (٢٨ تشرين الثاني ١٩٧٩) . وقال في الرسالة : « إن خوف الغرب من أن تنشىء تركيا وحلفاؤها العرب سلطة سياسية واقتصادية ، وعسكرية جديدة في الشرق الأوسط جعله يرسل إلى تركيا وعلى وجه السرعة قائد الصليبيين يوحنا بولس الثاني متنكراً كزعيم ديني » .

« إن هذه الزيارة غير المناسبة والخالية من أي معنى لم تلغ . أني سأقتل البابا بالتأكيد ، وهذا هو فقط سبب هروبي من السجن . أخيراً يجب أن يدفع أحدهم ثمن الهجوم على مكة الذي خططت له الولايات المتحدة واسرائيل »[١] .

وبعد ذلك أعربت مصادر الشرطة التركية عن اعتقادها ، بأن « أغجا » فر إلى المانيا الاتحادية عبر ايران ، وأن السلطات التركية طلبت من الأنتربول ملاحقته[٢] .

---

(١) جريدة النهار اللبنانية في ١٤ أيار ١٩٨١ .

(٢) المصدر السابق نفسه .

أما فيما يتعلق بالبابا الجريح ، فقد أجريت له على الفور عملية جراحية لاخراج الرصاصات التي استقرت في جسمه . وذكرت التقارير الطبية الأولى أن حالة البابا « خطرة جداً » ، لكن التقارير اللاحقة خففت من مستوى الخطر ، وأوضحت أن رصاصات « أغجا » لم تصب القلب أو الشرايين ، وأن هناك أملاً في الشفاء . ثم كانت التقارير التالية أكثر مدعاة للاطمئنان .

وفي اليوم التالي ، نشرت أجهزة الإعلام الايطالية ، استناداً إلى ما صرحت به مصادر الشرطة الايطالية ، أن « أغجا » نفى أن يكون منتمياً إلى أي منظمة فاشية . ونسبت إليه قوله : « أنا رفيق شيوعي وصديق للفلسطينيين وخاصة جورج حبش » . فيما أكدت المعلومات الواردة من تركيا عبر وسائل الإعلام ، أو في الملف الخاص بـ« أغجا » ، والذي حمله اثنان من رجال الشرطة التركية ، قدما على عجل إلى العاصمة الايطالية بعد وقوع حادث اغتيال « البابا » بأن « أغجا » عضو في حزب الحركة القومية التركي اليميني المتطرف . وقد نفى بسام أبو شريف المتحدث الرسمي باسم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، التي يتزعمها جورج حبش نفياً قاطعاً ما ذكره مسؤولون في البوليس الايطالي عن وجود علاقة بين « أغجا » والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين . وقال أبو شريف : « ليست لنا أية صلة به ، لا بوصفنا الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، ولا بوصفنا منظمة التحرير الفلسطينية ، ولا حتى كفلسطينيين ، عُرف عنهم أنهم يناضلون ضد الفاشية والعنصرية ، والارهاب الصهيوني » . كما نفى متحدثون آخرون باسم المنظمات الفلسطينية ، أن تكون لمنظماتهم صلة بـ «أغجا » ، وعبروا عن استنكارهم الشديد لأي عمل من النوع الذي أقدم عليه . وفي اليوم نفسه نقلت وكالات الأنباء عن « ألتر توركمان » وزير الخارجية التركية قوله في ستراسبورغ ، ان الشرطة التركية أشارت منذ أسبوع إلى وجود « محمد علي أغجا » في ايطاليا وحذرت السلطات الايطالية منه .

وبعد يومين من محاولة اغتيال البابا (١٥ أيار) كانت النشرة الطبية الصادرة من مستشفى « جيمللي » تقول : إن الحالة المعنوية للبابا طيبة ، وأن حالته الصحية تتحسن بشكل مطّرد ، وأوضحت النشرة أن البابا قضى ليلة هادئة ، إلّا أن الحمى الخفيفة التي أصابته كانت لا تزال مستمرة . وقد قدم البابا نفسه دليلاً على أن حالته الصحية جيدة ، عندما بارك الأطباء الذين عالجوه ، ثم شرع في الصلاة ، لكن الدكتور « أميليو تريسالتي » المسؤول عن الطاقم الطبي في المستشفى قال : « لسنا حتى الآن في وضع يسمح لنا بالتأكيد ، أن البابا سيعيش لكننا مرتاحون إلى كونه تجاوز أسوأ المراحل » ، وأكد أن الحبر الأعظم يعاني آلاماً حادة ، واعتبر ذلك أمراً

طبيعياً .

وفي هذه الأثناء أشار المحققون الايطاليون إلى احتمال أن يكون هناك تنظيم ارهابي دولي يقف وراء « أغجا » وعمله . واستندوا في ذلك إلى كون « أغجا » قد حصل على جواز سفر تركي ، وكمية كبيرة من المال ، وعلى مسدس وذخيرة أثناء وجوده في أوروبا ، وأشار المحققون هنا ، إلى أن مطلق النار على البابا كان شبه معدم في بلاده . وكشفوا أن « أغجا » استطاع الانتقال إلى إيران بعد فراره من السجن في تشرين الثاني ١٩٧٩ ، ثم عاد إلى تركيا ، وانتقل إلى بلغاريا فيوغسلافيا ، والمانيا الاتحادية ، واسبانيا ، وسويسرا ، وايطاليا ، وفي نيسان [١٩٨١] دفع « أغجا » مبلغ ٥٠٠ دولار للقيام برحلة إلى جزيرة ماجوركا الاسبانية ، حيث أمضى أسبوعين سائحاً . وبعد ذلك جاء إلى ميلانو في ٩ أيار مع مجموعة من السياح الايطاليين ، ومن ميلانو توجه إلى روما لتنفيذ عملية اغتيال البابا .

ولاحظ المحققون ، أن الشاب التركي كان يحمل ورقة رسمت عليها خطة تساعده في الفرار بعد تنفيذ العملية . ووصف الفريدو لازاريني قائد فرقة مكافحة الارهاب في روما « أغجا » بأنه « ارهابي مدرّب » .

وقالت صحيفة « البايزي سيرا » الايطالية ان أحد محرريها ، « أنطونيو ستوريالي » أجرى حديثاً مع « أغجا » في زنزانته ، ولم توضح كيف استطاع المحرر الوصول إلى الزنزانة . وذكرت أن الشاب التركي طلب طعاماً مساء الخميس فأحضر له « عشاء فاخر » ونسب المحرر إلى أغجا قوله « لست شيوعياً ، ولا فاشياً كما نشرت الصحف الايطالية . كذلك لا علاقة لي بجورج حبش . أنا شخص يعمل لحسابه الخاص » . وسئل عن سبب محاولته اغتيال البابا فأجاب:« إنني لا أحب الطريقة التي تسير فيها الأمور في العالم » .

وسئل « أغجا » عمن دفع تكاليف رحلاته فأجاب :

ـ حصلت على المال من أصدقائي قبل مغادرتي تركيا .

● من أعطاك المسدس ؟

ـ اشتريته في الخارج وأحضرته إلى ايطاليا في القطار ، وتركته في محطة السكك الحديدية الرئيسية في روما ، وبعد ذلك أخرجته ، وتوجهت به إلى ساحة القديس بطرس .

● من كان معك عندما أطلقت النار على البابا ؟

ـ لا أحد ، تصرفت منفرداً .

● هل تعرف أحداً في ايطاليا ؟

ـ كلا لا أعرف أحداً[٣]

في تركيا ، قالت إذاعة أنقرة في نشراتها الاخبارية ليوم ١٥ أيار إن البوليس الايطالي لديه معلومات مسبقة عن نشاطات « أغجا » خلال الأشهر القليلة الماضية ، وإن الارهابي التركي ، كان قد وصل في أوائل نيسان إلى ايطاليا بجواز سفر يحمل اسمًا مستعاراً ، ثم غادر ايطاليا إلى جزيرة « ماجوركا » الاسبانية ، ثم عاد إلى ايطاليا .

وفي أنقرة أيضاً أعلن في ذلك اليوم ، أن قوات الأمن التركية اعتقلت ضابط شرطة كبيراً ، واثنين آخرين بتهمة وجود صلة لهم بجواز السفر المزور الذي استخدمه « أغجا » . وذكرت وكالة « يونايتد برس » أن الضابط المعتقل ، كان يشغل منصب قائد شرطة منطقة « نيفسهر » في وسط الأناضول ، واعتقل بتهمة توقيع الوثائق المزورة التي منح « أغجا » على أساسها جواز سفر باسم « فاروق أوزغون » الذي اعتقل هو الآخر بتهمة اعطاء شهادة ميلاد لأغجا . أما الشخص الثالث فقد اتهم بتدبير بعض الوثائق المزورة الأخرى لحساب « أغجا » .

وكشفت التحقيقات الايطالية في الأيام التالية ، أن « أغجا » بعد هروبه من السجن في وطنه إلى الخارج ، كان يوجد لديه حساب خاص في البنوك ، فيه مبالغ من المال باسم « فاروق أوزغون » ، وهو الاسم الذي كانت كل وثائق « أغجا » تحمله ، بما فيها جواز السفر الذي تنقل به على مدى ١٨ شهراً ، بين عدد من البلدان الأوروبية وأنه كان قد زار ايطاليا من قبل ، وتنقل في عدد من المدن الايطالية ، واستعمل أيضاً جوازي سفر آخرين باسم « حسين » و « موسين » وانه صرف خلال جولاته في البلدان المختلفة ما قيمته (٨٠) الف دولار ، وكان قد أمضى أياماً للاستجمام في جزيرة « ماجوركا » السياحية في جنوب اسبانيا . كما كشفت تلك التحقيقات ، أن سيدة في روما اتصلت بتاريخ ٧ أيار ١٩٨١ لتحجز لاوزغون « أغجا » الغرفة رقم ٣١ التي نزل فيها في بنسيون « ايزا » الواقع في شارع شيشرون بالقرب من الفاتيكان .

كانت صحة البابا يوحنا بولس الثاني تتحسن تدريجياً في هذه الأثناء ، وبدأ بارسال رسائله الصوتية من المستشفى إلى أنصاره ، عبر تسجيلات يبثها راديو الفاتيكان ، إلاّ أنه كان يعاني من حين إلى آخر من ارتفاع درجة حرارته . وقد حدد

---

(٣) جريدة النهار اللبنانية في ١٦ أيار ١٩٨١ .

الأطبـاء الأسبـاب الـتي تقف وراء ذلـك ، وهـو فيروس يطلق عليه اسم « سيتومينالو » . وقد ظهرت يومها افتراضات قالت إن الرصاصات التي استخدمها الارهابي التركي في محاولته ، ربما كانت ملوثة بمادة ما ، كانت تؤدي جرثومياً إلى تدهور صحة راعي الكنيسة الكاثوليكية بين فترة وأخرى .

في العشرين من أيار ، نفت حكومة المانيا الاتحادية بقوة ، كما قالت « فرانس بريس » ادعـاءات تركيا بوجود صلة للسلطات الالمانية الاتحادية بمحاولة اغتيال البابا يوحنا بولس الثاني . وقال الناطق الحكومي « لوثر ريول » في مؤتمر صحفي عقـد في بون ، إنه « ليست هناك أية أدلة على إقامة أغجا في المانيا الاتحادية ولو بصورة مؤقتة » .

لقد تدفق في الفترة بين لحظة اطلاق النار على البابا حتى يوم الحكم على « أغجا » بعد شهرين وتسعة أيام ، سيل من الأسئلة التي لم تجد أجوبتها الوافية :

ـ من هو بالضبط محمد علي أغجا ؟ .

ـ كيف استطاع الهرب من السجن ومن بلاده بأسرها وهو المطلوب إلى الاعدام ؟ .

ـ لماذا كان مصراً منذ البداية على قتل البابا بالذات ؟ .

ـ كيف تمكن من التنقل بين بلدان عديدة ، واستطاع أن يعيش مدة قصيرة في المانيا الاتحـادية ، ويتـزوج فيها ، وينفق أموالاً طائلة دون أن يتمكن البوليس الدولي وسلطات البلدان التي مر بها وعـاش فيهـا من اكتشـاف شخصيته ، رغم أن السلطات التركية قدمت الكثير من المعلومات حوله ؟ .

ـ من ساعده في ايطاليا على تنفيذ محاولة الاغتيال ؟ .

ـ هل هو مصاب بجنون العظمة ، مغامر يحب أن يحتل الصفحات الأولى والأعمدة الرئيسية في الصحف ؟ .

ـ أم هو قاتل مأجور يبحث عن المال ، والمتعة ، والعيش الباذخ ؟ .

ـ هل تقف وراءه جماعة ارهابية اقليمية ، أو دولية ، أم أنه مجرد فرد « يعمل لحسابه الخاص » كما قال لمحققيه ؟ .

لماذا البـابا دون غيره ، كان هدف عملية أغجا ؟ . وعلى كل حال ، فقد انتهت التحقيقات مع « أغجا » وقدم إلى محكمة مدينة روما وانتهت المحاكمة في أسرع مما كان متوقعاً ، في ٢٢ تموز ١٩٨١ ، وهو اليوم الذي أصدرت فيه المحكمة حكمها بالسجن مدى الحياة على التركي « محمد علي أغجا » الذي حاول في ١٣ أيار ١٩٨١ اغتيال البابا يوحنا بولس الثاني ، كما وجهت إلى « أغجا » أيضاً تهمة الحيازة غير القانونية على الأسلحة ، واستخدام وثائق مزورة .

ولقد أوضحت التحقيقات القضائية ، أن المتهم كان مرتبطاً بعلاقات وثيقة مع المجموعات اليمينية المتطرفة في تركيا ، وخصوصاً حزب الحركة القومية ، وجناحه الضارب « الذئاب الرمادية » وأنه ابن شرعي لموجة العنف اليميني الارهابي التي عمت تركيا في السنوات الأخيرة ، وأنه بتحريض من تلك المجموعات ، أقدم على ارتكاب جريمة اغتيال الصحفي التركي « أبدي ابتشكي » رئيس تحرير صحيفة « ميليت » ، وبمساعدة تلك المجموعات أيضاً نجح في الفرار من السجن ، ومن تركيا بأسرها ، والنجاة من الموت ، وأنه منذ ١٩٧٩ حتى الثالث عشر من أيار ١٩٨١ كان يسافر عبر البلدان الأوروبية بوثائق زورت داخل تركيا .

ومع أن الحكم على « أغجا » بهذه الصورة ، ألقى بكامل المسؤولية في محاولة اغتيال البابا على الارهابي التركي وحده ، وأظهر العمل برمته باعتباره عملاً فردياً ، إلّا أن الكثير من الأسئلة القديمة والجديدة ، ظل يبحث عن إجابات أوفى تتعلق بالأسباب الجوهرية التي دفعت « محمد علي أغجا » إلى الاقدام على ذلك العمل وما إذا كان يقف وراءه آخرون لهم مصلحة في قتل البابا بالذات ، أو في القيام بعملية من هذا النوع ، ولا يهمهم بعد ذلك سواء مات البابا أو بقي حياً . على أن أهم تلك الأسئلة هو لماذا لم تحل السلطات الايطالية دون وقوع الاعتداء على البابا يوحنا بولس الثاني ؟. لماذا لم تأبه بالتحذيرات والمعلومات التي قدمتها السلطات التركية الرسمية لها أكثر من مرة ، وفي أوقات مبكرة حول وجود « أغجا » في ايطاليا ، واحتمال قيامه بمحاولة لاغتيال البابا ؟. بل لماذا أخذت السلطات الايطالية ، وسلطات الفاتيكان الموقف نفسه من تحذيرات الاستخبارات الفرنسية من وجود مؤامرة لقتل البابا ؟. فقد كشف الرئيس السابق لقسم الاستقصاء الخارجي ومكافحة التجسس في فرنسا ، السيد « الكسندر دومارانش » ، أن الاستخبارات الفرنسية أوفدت ضابطين إلى الفاتيكان في تاريخ قريب من ٢٠ نيسان ١٩٨١ ، لتحذير البابا يوحنا بولس الثاني من وجود مؤامرة لاغتياله . وقال « دومارانش » في مقابلة نشرتها صحيفة « لوكوتيديان دي باري » الفرنسية في كانون الأول ١٩٨٢ « إنه في نيسان ١٩٨١ تكون اقتناع لدى بعض أجهزة الاستخبارات الفرنسية ، بأن محاولة اعتداء على البابا في تاريخ قريب من ٢٠ نيسان ١٩٨١ كانت قيد التحضير» . وأن دومارانش الذي كان لا يزال رئيساً لقسم الاستقصاء الخارجي ، ومكافحة التجسس ، أوفد اثنين من أقرب معاونيه لمقابلة الحبر الأعظم ، وتحذيره من الخطر الذي يتهدده . وأن الضابطين جرى استقبالهما سراً في الفاتيكان ، ونقلا المعلومات التي يحملانها إلى البابا ، وأنه « بعد ذلك بثلاثة أسابيع ، ورغم كل

الاجراءات الأمنية التي اتخذت ، أصيب البابا يوحنا بولس الثاني بثلاث رصاصات في ساحة القديس بطرس » .

وفي مرحلة لاحقة نشأ سؤال هام آخر يتعلق بحقيقة ودوافع مجلة « ريدرز دايجيست » الأمريكية ، وبعدها جملة من الصحف الأمريكية ، والأوروبية الغربية لأن تلقي بعد سنة من انتهاء محاكمة « أغجا » ، بتهمة محاولة اغتيال البابا على بلغاريا والاتحاد السوفياتي ، والنظام الاشتراكي العالمي ، والحركة الشيوعية العالمية ! .

● الفصول التالية من هذا الكتاب تبحث عن إجابات كل تلك الأسئلة ، وتسعى إلى حل لغز الطلقات التي دوت في ساحة القديس بطرس بالفاتيكان في ١٣ أيار ١٩٨١ .

الفصل الثاني

امبراطورية الشر

كانت محكمة مدينة روما تنظر في قضايا مختلفة تماماً عن قضية البابا و« أغجا » التي حسمتها نهائياً في تموز ، عندما ظهر في كانون الأول ١٩٨١ في المجلة الأميركية « اتلانتك كوميونتي » Atlantic Community مقال لبول هنتسه الذي كان من قبل كبير ممثلي المخابرات الاميركية في تركيا ، قال فيه : ان محمد علي اغجا لم يكن مطلقا فاشيا تركيا ، وانما هو عميل سري لبعض « المتطرفين اليساريين » و« السوفيات » كذلك ، متنكراً في هيئة « ذئب رمادي »[1]. ولم يقدم (هنتسه) دليله على ذلك ، لكنه قال : « وكما نعرف فان (أغجا) أقام في بلغاريا بعض الوقت خلال عام ١٩٨٠ » . وكمن عثر على كنز ذهب بدأت العشرات من الصحف والمجلات وشبكات الاذاعة والتلفزيون في الولايات المتحدة ، ثم أوروبا الغربية ، وكذلك شخصيات معروفة كهنري كيسنجر ، وزبيغنيو بريجنسكي وريتشارد هيلمز ، بدأوا يتحدثون بلهجة قاطعة ، ان صوفيا ومن ورائها موسكو ، دبرتا عملية الاعتداء على البابا يوحنا بولس الثاني . وفي واشنطن اصدر الرئيس الاميركي رونالد ريغان أوامره الى وكالة المخابرات المركزية الـ (C.I.A) للمضي قدما في استثمار قضية (أغجا) بأقصى حد ، في الحملة المعادية للشيوعية ، والتي كان الرئيس الاميركي قد شرع بها منذ دخوله الى البيت الابيض في اول العام .

تلقى مكتب وكالة المخابرات المركزية الاميركية في روما رسالة من واشنطن تطلب تزويد «الجهات الرسمية العليا» بكل مايدعم وجهة النظر الاميركية، وما يمكن ان يقدم الى ماكنة الدعاية الضخمة، التي بدىء بتشغيلها على مدار الساعة بصدد «الصلة البلغارية»في محاولة اغتيال الحبر الأعظم، الا ان الادارة الرئيسية لوكالة المخابرات المركزية، والبيت الأبيض في واشنطن لم يتلقيا الرد المطلوب، وهذا ما جعل ادارة ريغان تفتح تحقيقا، في وقت لاحق، مع رئيس مكتب الوكالة في روما واثنين من معاونيه، وتوجيه تهمة «عدم الامتثال للاوامر» اليهم. فقد بثت شبكة التلفزيون الاميركية (N.B.C) في يوم ٢٣ آذار ١٩٨٣ ان الحكومة الاميركية تحقق مع رئيس مكتب وكالة المخابرات المركزية الاميركية في روما واثنين من معاونيه لمعرفة ماإذا كانوا لم يمتثلوا لاوامر صدرت عن البيت الابيض تتعلق بقضية محاولة اغتيال البابا يوحنا بولس الثاني في ١٣ ايار ١٩٨١ .

وقالت الشبكة التلفزيونية، ان الثلاثة ـ لم تكشف عن اسمائهم ـ اثاروا

---

(١) نسبة إلى عصابات « الذئاب الرمادية » الارهابية الفاشية ذات العلاقة الوثيقة بحزب « الحركة القومية » التركي اليميني .

استياء المسؤولين في واشنطن، لانهم شككوا في المعلومات التي تحدثت عن علاقة الاستخبارات البلغارية بمحاولة الاغتيال.ونقلت عن مسؤول في الادارة الاميركية ان هؤلاء الثلاثة ربما سيطردون من عملهم لانهم لم ينفذوا اوامر اصدرها مستشار الرئيس الاميركي لشؤون الامن القومي ـ آنذاك ـ وليم كلارك ومدير الـ (C.I.A) وليم كيسي .

وأعـادت الشبكـة التلفـزيونية الى الأذهـان ان السناتور الاميركي الفونسو داماتو، كان قد صرح اثر عودته من زيارة لروما في الشهر السابق، بأن هناك من أبلغه ان المخابرات المركزية تتدخل في التحقيق بشأن محاولة اغتيال البابا، وتحاول عرقلتـه. وأشـارت الشبكـة التلفزيونية الى وجود «علاقة عمل وثيقة» بين عملاء المخابرات المركزية في روما، والنقابي الايطالي الذي اعتقل بتهمة التجسس لحساب بلغاريا[٢].

ان الاتهام الذي وجهه، وما يزال، صحفيون، وصحف، ورجال مخابرات ومسؤولون حكوميون، وهيئات في الغرب، ضد بلغاريا والاتحاد السوفياتي والنظام الاشتراكي العالمي، والحركة الشيوعية العالمية قام على فرضيتين:

الاولى: ان محمـد علي اغجا بعد هروبه من بلده تركيا، مر ببلغاريا بجواز سفر هندي مزور باسم «يوجندر سينج»! ومكث فيها بعض الوقت في تموز ١٩٨٠.

الثانية: ان لبلغاريا والاتحاد السوفياتي والحركة الشيوعية العالمية مصلحة في قتل البابا يوحنا بولس الثاني. ويقوم هذا على نظرية مفادها ان نقابة «تضامن البولندية» كانت تهدد بانهيار النظام الاشتراكي في بولندا واخراج وارسو من «دائرة موسكو» وان البابا ـ حسب وصف الذين وجهوا الاتهام ـ هو الأب الروحي لـ «تضامن» وهو زعيمها الحقيقي وقلبهـا، وان «ليش فاليسا» ليس اكثر من دمية تحركها الاصابع البابوية فتتحرك مطالبة بما لايود الحبر الأعظم المطالبة به شخصياً، وان القضاء على البابا هو في النهاية قضاء على «تضامن».

وبـطبيعة الحال ان مرور (اغجا) ببلغاريا ومكوثه فيها بعض الوقت ـ اذا افـترضنـا أن ذلـك صحيح ، وهو ما تنفيه السلطات البلغارية ـ حجة لا يمكن الاعتداد بها، لأن (اغجا) مر أيضا بالعديد من الدول الأخرى أغلبها في اوروبا الغربية، وأقام في بعضها مدة طويلة، وبذلك لا تكون بلغاريا وحدها وانما جميع الدول التي مر بها (اغجا)، وأقام فيها، متهمة بتدبير حادث الاعتداء على البابا في

---

(٢) جريدة النهار اللبنانية ـ ٢٥ آذار ١٩٨٣

١٣ أيار ١٩٨١ ، اذا كان المرور ببلد ما والاقامة فيه دليلاً كافياً لادانة هذا البلد بتدبير العملية . يضاف الى ذلك عدم وجود دليل على مرور (اغجا) ببلغاريا ومكوثه فيها حقا . و(اغجا) نفسه لم يتحدث لا في التحقيقات الأولية التي جرت معه عقب القاء القبض عليه ، ولا أثنـاء محاكمته ، عن وجود صلة من أي نوع لبلغاريا بالعمل الذي قام به . وهو لم يتحدث عن ذلك الا بعد مرور أكثر من سنة ، بعد أن صارت فرضية المرور هذه محور واساس الحملة الضخمة التي شنت في الغرب ضد بلغاريا والاتحاد السوفياتي ، وبعد أن التقى رجال جهاز استخبارات الامن العسكري (S.I.S.M.I) وجهاز الاستخبارات والامن الديمقراطي (S.I.S.D.E) الايطاليان بأغجا في زنزانته في كانون الاول ١٩٨١ ، كما أكدت ذلك مجلة « اسبرسو » الايطالية وصحيفة «نيويورك تايمز» الاميركية،ووعدوا (اغجا) بأنهم سيخفضون مدة محكوميته الى عشر سنوات ان هو تعاون معهم[٣]. هذا عدا ان المرور المزعوم لأغجا ببلغاريا قد تم في تموز ١٩٨٠ ، كما ادعت ذلك كلير ستيرلنج في مقالتها التي نشرتها في مجلة « ريدرز دايجست» صيف ١٩٨٢ ، وهو وقت لم تكن نقابة «تضامن» قد وجدت فيه . فقد جاء انشاؤها في آب ١٩٨٠ وهذا في حد ذاته يجعل من المصلحة البلغارية والسوفيتية في قتل «الأب الروحي» لـ«تضامن» سابقة لأوانها ، وينفي وجود مثل هذه «المصلحـة» المسبقة . ولكن حتى لو افترضنا ، ان حجة وجود «مصلحة» لبلغاريا والاتحاد السوفياتي في موت البابا البولندي يمكن ان تقنع المرء ولو لدقيقة واحدة ـ مع ان الاحـداث الـلاحقـة ، أثبتت ان الشيوعيين البولنديين كانوا قادرين تماما على السيطرة على الأوضاع في بلادهم بوجود البابا البولندي و«تضامن» ، وبوجود حملة التحـريض الضخمة والدعم الهائل الذي قدمه الغرب لـ«تضامن» ومن دون ان يحتاج ذلك الى دخول جندي واحد من الجيش الاحمر ، او دبابة واحدة من قوات حلف وارسو ـ فليست بلغاريا وحدها ، ولا الاتحاد السوفياتي ، او الحركة الشيوعية وحـدهـا لهم مصلحـة في مقتل البابا يوحنا بولس الثاني ، فهناك العشرات ، بل المئات ، من الافراد والجماعات والقوى ، والدول غير الاشتراكية ، وغير الشيوعية ، كانت لهم مصلحة مباشرة في اغتيال البابا ، او في الأقل ، تدبير عمل ضده كالعمل الذي قام به محمد علي أغجا .

في أواسط حزيران ١٩٨٤صـدر في لنـدن كتـاب بعنوان «باسم الرب»[٤]

---

(٣) Iona Andronov, on the wolf's track, Sofia Press 1983, P.9

(٤) David A. Yallop, In God's name - Jonathan Cape, London 1984.

للكاتب البريطاني ديفيد يالوب، الذي أعلن في كتابه: ان البابا يوحنا بولس الاول، سلف البابا الحالي، مات مقتولا، وان عملية القتل تمت، على الأرجح، بواسطة السم. وقد توصل يالوب الى هذه النتيجة بعد تحقيقات اجراها داخل الفاتيكان وخارجه على مدى ثلاث سنوات. وعلق الصحفي البريطاني بيتر نيكولس على الكتاب في مقالة له نشرتها صحيفة «التايمز» بعد أيام قليلة من صدور الكتاب، قائلاً: «لقد القيت نظرة عن قرب، على أجساد اربعة بابوات، ولا بد لي ان أقول: ان الجسد الذي اثار في نفسي اكبر انزعاج، وبشكل اكثر تحديداً، اثار نوعاً من الحيرة والقلق، هو جسد البابا يوحنا بولس الاول، سلف البابا الحالي».
واضاف: «في وقت وفاته في ايلول عام ١٩٧٨، بعد ثلاثة وثلاثين يوما من بابويته، كان هناك حديث في روما عن لعبة قذرة، بل انه كان اكثر قليلاً من مجرد الحديث».

والواقع ان الكثيرين في ايطاليا وخارجها ابدو الكثير من الشك، المكتوم او المعلن، حيال ما جاء في الاعلان الرسمي للفاتيكان، الذي عزا موت البابا يوحنا بولس الاول، بعد ٣٣ يوما من جلوسه على الكرسي الرسولي، الى نوبة قلبية اصابته. ولأنه معروف بين المؤمنين الكاثوليك، وكما تشيع الكنيسة نفسها بأن الروح القدس يحضر اجتماعات الكرادلة السرية التي يجري فيها اختيار البابوات، فما أن عرف نبأ موت البابا يوحنا بولس الاول حتى بدأ الكثير من الكاثوليك يتساءلون - وانعكس ذلك يومها في العديد من الصحف الايطالية - عن الدور الذي لعبه «الروح القدس» في اختيار البابا الذي مات للتو. وبتعجب وبسخرية، او بالاثنين معا قالوا: «ألم يكن الروح القدس يعرف ان البابا سيموت في غضون شهر واحد: فلماذا اختاره لهذا المنصب؟».

ويومها انبرى الاختصاصيون في اللاهوت والصحف ذات الميول الكاثوليكية واليمينية للدفاع عن «الروح القدس» في محاولة لتخليص الناس من بذور الشك والسخرية والعجب.

والذي زاد من شكوك الناس ان أوائل الذين رأوا البابا بعد موته مباشرة، قالوا انهم لم يجدوا في وجهه أثراً لمعاناة من أي ألم، فيما المعروف عن الأزمات القلبية، وخاصة اذا ماكانت حادة، انها تسبب في شعور المريض بألم حاد يتشنج له وجهه. وقد رد الفاتيكان على ذلك بان البابا لم يمت بأزمة قلبية حادة، بل توفي من سكتة قلبية، يمكن ان تكون لها اسباب عديدة[٥]. واذ يوجه يالوب اصبع الاتهام في

---

(٥) جريدة «القبس» الكويتية - ١٠ تشرين الأول ١٩٧٨.

جريمة قتل البابا السابق الى عدد من كبار موظفي الفاتيكان، والمحفل الماسوني الايطالي «بي٢» P.2 (propaganda) وزعيمه «ليسيو جيللي» الهارب الى احد بلدان امريكا الجنوبية، وبنك «امبروزيانو» سيء السمعة، فانه يؤسس نظريته على ركيزتين:

الاولى: ان سلسلة من الاحداث التي تدعو للريبة احاطت بموت البابا الذي اعطي تفسيرا واحدا ظاهريا، وهو الاصابة بنوبة قلبية. وتشمل هذه الملابسات:

- عدم إجراء تشريح لجثة رجل لم يعان في السابق من أي اضطراب في القلب.
- ازالة جميع آثاره من غرفة نومه، بما في ذلك الادوية التي كان يتناولها ووصيته التي لم يعثر لها على أثر بعد موته.
- الارتباك في تحديد وقت الوفاة.
- التضليل الرسمي حول ما كان البابا يحمله في يديه عندما عثر عليه ميتا.

الثانية: ان هناك قائمة طويلة من الناس الذين كان لديهم سبب للخوف من ان يتحرك البابا الجديد ضدهم. ومن هؤلاء:

- الاسقف الاميركي، ورئيس الاساقفة الآن، بول مارسينكوس، رئيس بنك الفاتيكان «مؤسسة الاعمال الدينية»، والذي كان على وشك ان يبعده البابا يوحنا بولس الاول عن منصبه في البنك، بسبب صلاته، وصفقاته مع روبرتو كالفي رئيس بنك «امبروزيانو» المعروف بسوء سمعته.
- روبرتو كالفي ذاته، الذي كان ابعاد الاسقف مارسينكوس عن بنك الفاتيكان سيتسبب في كارثة بالنسبة له.
- ليسيو جيللي، الفاشيستي ورئيس المحفل الماسوني الايطالي «بي٢» الذي كان مجرد دمية تعمل لحماية كالفي.
- ميشيل سيندونا، رجل المصارف والمستشار المالي السابق للفاتيكان الذي يمضي الآن عقوبة السجن لمدة ٢٥ عاما في الولايات المتحدة لقيامه بأعمال احتيال كبيرة وتسببه في أكبر انهيار مصرفي في تاريخ الولايات المتحدة.
- الكاردينال جون كودي كبير اساقفة شيكاغو، وصاحب الفضائح المشهورة.
- الكاردينال جين فيولت، الرجل الثاني في الفاتيكان والذي كان بمثابة وزير الخارجية في ذلك الوقت.

يقول يالوب بلهجة قاطعة في كتابه: إنه مقتنع، بان البينو لوسياني (البابا يوحنا بولس الاول) مات مقتولا. ويشير الى انه بدأ التحقيق في قضية موت البابا بعد ان اتصل به مصدر - يرفض تسميته - وقاده ذلك الاتصال الاول الى سلسلة

من الاتصــالات مع مصادر عالية المستوى داخل الفاتيكان، حاول تتبع اتهاماتهم والتوثق منها بالبحث خارج الفاتيكان.

وتقـوم اتهـامات يالوب، بصفة اساسية، على الدوافع التي يوردها، وهي مخاوف داخـل الفـاتيكـان كما هي بين رجـال المـال، الذين كانوا يتعاملون مع الادارة البـابـوية. ودارت المخاوف حول نية البابا الجديد المتمثلة في القيام بثورة داخلية. وكان أهم مافي الامر الفكرة القائلة بأن «مؤسسة الأعمال الدينية» بجميع فروعهـا كانت ستنقل من سيطرة الاسقف مارسينكوس. ويعتقد يالوب ان هذه المخـاوف كانت مبررة. وهـو يكرس جزءا كبيرا من كتابه لعرض شخصية البينو لوسياني ضد التعـاليم الكنسية الـرسمية التي تحظر الـوسائل الصناعية للحد من المـواليد، وكان يدعو الى كنيسة فقيرة وليس الى كنيسة متورطة في نشاطات مالية مشكـوك فيهـا على النـطاق العـالمي. وقد احتج قبل ان يتم انتخابه بابا، لدى مارسينكوس حول اساليب عمل «مؤسسة الاعمال الدينية» لكنه كان يلقى معاملة جافة من الأسقف الاميركي الفظ. ولان لوسياني تم انتخابه من قبل مجمع الكرادلة في وقت سريع جدا ـ في الاقتراع الرابع ـ فقد جاء هذاالانتخاب مفاجئا. كما ان يوحنا بولس الاول سرعان ما خيب ظن اولئك الذين تصوروه ضعيف الشخصية، وان في الامكان التأثير عليه من خلال البيروقراطية المحافظة في الفاتيكان. فبعكس البابا بولس السادس، الذي اشتهر بتردده، اتخذ البابا يوحنا بولس الاول قرارات حاسمة في عدد من المجالات. ومن بين قراراته وأعماله انه اوجد نقلة تحررية في قوانين الكنيسة المتعلقة بشؤون الولادة، وأجرى تحقيقا في شؤون الفاتيكان المالية، وقـرر ان يتخلص من كل من مارسينكـوس وكودي وفيلوت. ولكن قبل الساعة التاسعة والنصف ليلا من يوم الاربعاء ٢٨ ايلول ١٩٧٨ دخل البابا يوحنا بولس الاول غرفـة نومه، وأغلق الباب خلفه، ولم يشاهد حيا بعد ذلك. ففي الساعة الـرابعـة والـدقيقـة الخـامسـة والاربعين، من صباح اليوم التالي،وجدته الاخت «فينسينـزا» رئيسـة المشرفات على شؤونه الشخصية، ميتا في سريره، وهو جالس منتصب الظهر، وفي يديه بعض الاوراق، اما البيان الذي اعلن عن موته فقال: ان جثته اكتشفت من قبل سكرتيره الخاص «الاب دييغو لورنزو» في الساعة الخامسة والنصف صباحا.

وجاء الكاردينال فيلوت الى غرفة البابا في الساعة الخامسة صباحا، بعد ان ايقظه الاب جون ماغي، وهو من سكرتارية البابا. واستنادا الى ماجاء في كتاب يالوب فان الكاردينال فيلوت قام فور وصوله بوضع الدواء الذي كان يأخذه البابا لعلاج

انخفاض ضغط دمه، في جيبه، كما اخذ الاوراق التي كان البابا يمسك بها والتي كانت تتضمن قرارا باجراء تنقلات وتغييرات داخل الفاتيكان. وأخذ فيلوت ايضا وصية البابا ونظارته ونعاله. وقد ذكرت نشرة صدرت فيها بعد ان البابا الميت كان يقرأ، قبيل وفاته، في كتاب «تزييف المسيح» ل«توماس كيمبيس». وتم فحص جثة البابا في الساعة السادسة صباحا، حيث اعلن ان سبب الوفاة هو نوبة قلبية، وان الوفاة حدثت على الارجح في الساعة الحادية عشرة ليلا. ويذكر يالوب انه قام باستقصاء اراء العديد من المراجع الطبية، التي اجمعت على ان الفحص الخارجي للجثة، لايمكن بأي حال من الأحوال ان يتم على ضوئه تحديد وقت الوفاة، ولا سببها. كما ان البابا لم يعان من قبل من اية متاعب في القلب، وكان في صحة ممتازة.

وأمر فيلوت بتحنيط الجثة بأقصى سرعة ممكنة، وعارضه في ذلك اثنان من المخلصين للبابا يوحنا بولس الاول هما: الكاردينال فليسي والكاردينال بينيللي، فالتحنيط سيحول دون اكتشاف اية عملية تسمم اذا ما اعيد فحص الجثة. وبعد ان منعه الكاردينالان من الشروع في تحنيط الجثة، ذكر فيلوت لكاردينال آخر - لايصرح فيلوت باسمه - ان البابا اخذ جرعة زائدة من الدواء الذي كان يتناوله. ولما كان الجميع لايعتقدون ان الوفاة حدثت بصورة طبيعية، فقد اتفقوا على عدم الاحتفاظ بالجثة.

ويقول يالوب ان البروفيسور جيوفاني راما، طبيب البابا، أخبره ان «تناول البابا لجرعة زائدة على الحد بشكل قاتل لا يمكن ان يكون امرا عرضيا، لان البابا كان مريضا منضبطا وواعيا».

وفي الساعة السادسة مساء كان فيلوت قد أشرف على تنظيف جميع الغرف التسع عشرة التي يتألف منها منزل البابا، وبدأ العمل في تحنيط الجثة. وذكر الاخوان اللذان قاما بعملية التحنيط، ارنستو وريناتو سيغنوراسي ليالوب، ان درجة حرارة جسم البابا، وعدم تيبسه عندما شرعا في تحنيطه، دلت على ان الوفاة حدثت بين الساعة الرابعة والخامسة صباحا، وليس في الساعة الحادية عشرة ليلا كما اعلن.

وفي الواقع، ان تشريحا جزئيا أجري للجثة، ففي الساعة السابعة والدقيقة الخامسة والاربعين من مساء يوم ٣ تشرين الاول، وهو المساء الذي حدد للدفن، تم اخراج مجموعة من المعزين من ابناء قرية البابا الراحل من كنيسة القديس بطرس حيث كانت جثة البابا مسجاة ووصل فريق من الاطباء حيث مكثوا لمدة ٩٠ دقيقة.

وذكرت الرواية الرسمية ان عملية الفحص تلك كانت روتينية وان كل شيء وجد طبيعيا ، وقلص البيان الرسمي وقت الفحص لعشرين دقيقة فقط . واذا كان البابا قد مات مسموما ، فان يالوب يرجح ان يكون قد جرى تسميمه بدواء منبه للقلب « الديجيتالين » فاذا جرى تناوله مع الدواء الذي كان البابا يأخذه فانه يحدث التعبير الذي كان باديا على وجه البابا الميت . وكان ليسيو جيللي ، رئيس المحفل الماسوني « بي ٢ » قد نصح جميع اعضاء محفله بحمل حبوب الديجيتالين المنبهة للقلب .
وبعد ان يعرض يالوب جميع المشتبه بهم يختتم كتابه بالاستنتاج التالي :
« ان لدينا جريمة قتل . وفي رأيي لم يقترف هذه الجريمة شخص او اشخاص من المغمورين ، او غير المعروفين ، وانما ارتكبها اشخاص معروفون جيدا . وفي لب المؤامرة يقف الديجيتالين المنبه للقلب » .

قبل أن تنكشف مرة واحدة في أيلول ١٩٧٤ فضائحه الكبيرة ، وأعمال الاحتيال الواسعة التي قام بها لسنوات عديدة ، كان ميشيل سيندونا ، الصقلي ، يملك أكبر امبراطورية مالية أمريكية ـ ايطالية ، للفاتيكان ٥٪ من أسهمها ، واشتهر بكونه أكبر مضاربي ايطاليا ، وأكثرهم عدوانية . وكان مستشاراً مالياً للفاتيكان ، وعلى علاقة وطيدة بسكرتير بنك الفاتيكان « مؤسسة الأعمال الدينية » ورئيسه فيما بعد الأسقف بول مارسينكوس . كما تعرف الى روبرتو كالفي الذي كان يتدرج صاعدا من منصب الى آخر ، في بنك « امبروزيانو » القائم في ميلانو منذ نهاية القرن الماضي ، حتى أصبح رئيسا له في النهاية . وبدأ سيندونا يلتقي كالفي على الدوام ، ومعهم امرأة تدعى آنا بونومي ، وراحوا يجتمعون بانتظام للغذاء قرب بورصة ميلانو حتى عرفوا باسم « صانعو الانقلابات » .

وبواسطة سيندونا ، تعرف كالفي الى الوسائل السرية ، والمناورات المالية الدولية ، والتي تسمح بالأرباح السريعة ، أو اكتساب الأموال عن طريق الاحتيال . كما تعرف ـ بواسطة سيندونا أيضاً ـ الى الأسقف الأمريكي مارسينكوس الذي كان مستشاراً للبابا بولس السادس . وقد عمل مارسينكوس من قبل حارساً شخصياً للبابا ، ومنظمًا لرحلاته الى الخارج ، وساهم في انقاذ حياة البابا ، عندما انتزع الخنجر من يد أحد مهاجميه أثناء زيارة له الى الفيلبين . وهيأ ذلك الفرصة أمام مارسينكوس لكي يحتفظ به البابا بولس السادس في الفاتيكان ويكافئه في عام ١٩٦٩ بتعيينه سكرتيرا لـ « مؤسسة الأعمال الدينية » ثم رئيساً لها بعد سنتين من ذلك .

وعندما تولى مارسينكوس رئاسة مؤسسة الأعمال الدينية ، أراد أن يزيد من

دخـل الفاتيكان بزيادة استثماراته ، الا أن الحكومة الايطالية وجهت ضربة قوية لطمـوحـه هذا ، عنـدما قررت فرض الضرائب على جميع ممتلكات الفاتيكان في ايطاليا بعد أن كانت معفاة منها . لهذا كان الأسقف منصتا جيدا لنصيحة سيندونا بانتهـاج سياسة استثمارية أكثر سرية ، مستعملاً ملاذاً ضريبياً أجنبياً . وفي عام ١٩٧١ عندما أصبح روبرتو كالفي مديراً لبنك « امبروزيانو » الذي كانت مؤسسة الأعمال الدينية تملك فيه أسهمًا كثيرة ، أقام كالفي شركة ممتلكات في لوكسمبورغ ، ومن خلالهـا أنشـأ بنكـاً يحمـل اسم « كيسـالبـاين » ، وفي الوقت نفسه اشترى « كالفي » بنكين محليين مزدهرين : واحداً من مؤسسة الأعمال الدينية، وآخر من سيندونا و « السيدة الخطيرة » بونومي .

وكانت تلك أكبر صفقة في تاريخ بنك « امبروزيانو » الذي يمتد الى عام ١٨٩٦ ، إلا أنها كانت أيضـاً صفقـة مخالفة للقانون ، فقد تحدى كالفي أنظمة الرقابة على التحويلات لدفع بعض الأموال في الخارج .

وفي خريف ١٩٧٤ تدهورت أسواق البورصة العالمية ، وراهن سيندونا على تلك الأسواق ، لكن البنك الايطالي (برايفاتا) الذي كان يشرف عليه قد أفلس . وعنـدما ووجه سيندونا بتبليغ لاعتقاله بتهمة تزوير الحسابات ، ومخالفة القوانين هرب وافتضـح أمـره ، باعتبـاره محتـالاً دولياً كبـيراً ، ومـرتبـطاً بالمـافيا ، وتجارة الأسلحـة ، والمخـدرات ، كما افتضحت علاقـة مؤسسـة الأعمال الدينية التي يرأسها المونيسينيور مارسينكوس بسيندونا . وتسبب انهيار سيندونا وامبراطوريته في خسارة مؤسسة الفاتيكان المالية أكثر من ٧٠ مليون دولار أمريكي . ولأن علاقة كالفي بسينـدونا كانت معروفة على نطاق واسع ، فقد بدأ المصرفيون في الخارج يتخلون عن ثقتهم ببنـك « امبروزيانو » وصاحبه ، فلم تجدد القروض الممنوحة لهما ، وقلصت حدود اعتماداتهما ، وهبط سعر أسهم « امبروزيانو » بصورة خطيرة . وقرر كالفي اصطناع الثقة من جديد به وببنكه ، فقام بعمل غير قانوني : شراء أسهم « امـبروزيانـو » مستعمـلا ودائع البنك والأموال التي يستطيع اقتراضها . واستخـدم لذلـك شركة تسمى « سوبر افين » التي اشترت الأسهم في ايطاليا ، وباعتها ثانية لشبكة من شركات وهمية في بنما وليخنشتاين .

وحتى يؤمن هذا الدعم المصطنع للبنك ، قام كالفي بتوسيع شبكة شركاته الـوهمية . وقام فرع « امبروزيانو » في لوكسمبورغ بجمع مبالغ طائلة من البنوك الأجنبية على رأسهـا « ميدلانـد » ، و« ناشيونـال وستمنسر » ، وادعى بنـك « امبروزيانو » أن هذه الأموال ستستخدم في دعم الصادرات الايطالية ، إلا أنها في

الحقيقة كانت تحول من لوكسمبورغ إلى بنك « ناساو » أولاً ، ثم إلى بنك أقامه كالفي في ماناغوا عاصمة نيكاراغوا ، وأخيراً الى بنك ثالث أقامه في ليما عاصمة بيرو ، ومن هناك كان يعاد اقراض الأموال هذه إلى مجموعة من الشركات الوهمية ، وقد ذهب أكبر مبلغ ، ومقداره ٩٤٤ مليون دولار إلى مجموعة ترأسها شركة عقارات في لوكسمبورغ ، اسمها (مانيك) لها فروع مسجلة في بنما و ليخنشتاين ، استخدمت هذه الأموال في شراء أسهم « امبروزيانو » . اما ثاني أكبر مبلغ (٢٢٦ مليون دولار) فقد ذهب إلى مجموعة ترأسها « مؤسسة التجارة المتحدة » في بنما ، والتي استثمرت ٤٢ مليون دولار من ذلك المبلغ في شركة لوكسمبورغ التابعة لامبروزيانو ، وفي بنكها في ناساو ، ولهذه المؤسسة ستة فروع في ليخنشتاين ، اثنان منها كانا يملكان شركة « سوبر افين » التي بدأت بعد انهيار سيندونا مباشرة بشراء أسهم « امبروزيانو » ولتبيعها ثانية إلى مجموعة « مانيك » .

وفي شباط ١٩٨٣ نشرت أسبوعية «صنداي تايمز» اللندنية تقريرا طويلا عن الأسرار والفضائح المتصلة بروبرتو كالفي ، والشخصيات الأخرى المتورطة معه(٦) .

وقد أعلن الصحفيون الثلاثة الذين أعدوا التقرير(٧)، أن لديهم وثيقة مؤرخة في ٢١ تشرين الثاني ١٩٧٤ موقعة من مسؤولي «مؤسسة الأعمال الدينية»، التي يترأسها الأسقف مارسينكوس، تتضمن توجيه تعليمات الى بنك (جوتاردو) في لوجانو بترتيب أمر تشكيل « مؤسسة التجارة المتحدة » ونقل الصحفيون عن أحد مصرفيي لوكسمبورغ ـ كان مديراً لشركة «مانيك» طوال حياته ـ قوله إنه كان يدرك دائماً أن شركة «مانيك» موجودة لمصلحة «مؤسسة الأعمال الدينية» رغم إنكار الفاتيكان لذلك. وعبر الصحفيون عن اعتقادهم بأن بيانات منتظمة عن موجودات شركة «مانيك» كانت ترسل الى مؤسسة الأعمال الدينية، وأشاروا هنا الى أن اسمي الشركتين وردا في «رسائل الرعاية» التي أصدرتها مؤسسة الأعمال الدينية في أيلول ١٩٨١، وهي الرسائل التي لم يكشف عنها إلا بعد انهيار كالفي وبنكه «امبروزيانو » .

---

(٦) بالاضافة الى تقرير « صنداي تايمز » هذا ، فان المعلومات الواردة هنا مستقاة أيضاً من مجموعة من الصحف والمجلات العربية ، التي نشرت تقارير عن قضية بنك « امبروزيانو » وقضية المحفل الماسوني « بي ٢ » وذيولها وهي جريدة « السفير » اللبنانية ٩ تموز ١٩٨٢ وجريدة « الوطن » الكويتية ١٩ تشرين الأول ١٩٨٢ ومجلة « الوطن العربي » الصادرة في باريس ١٣ آب ١٩٨٢ ، ومجلة « المصور » المصرية ٢٢ حزيران ١٩٨٤ .

(٧) تانادي زولوتيا ، انتوني ماسكارينهاس وتشارلز رو .

وكشف المحققون الايطاليون المكلفون بقضية « امبروزيانو » أن كالفي كتب في عام ١٩٧٦ رسائل الى « مؤسسة الأعمال الدينية » ، يعطي فيها تعليمات بالتحويل إلى « شركة التجارة المتحدة » أية أموال أودعتها مجموعة « امبروزيانو » . وكانت تلك الأموال كبيرة جداً ، ففي تموز ١٩٨٣ ، بعد أن كانت فقاعة كالفي قد انفجرت تماما ، ذكر بنك « امبروزيانو » في بيرو ، أنه مدين لمؤسسة الأعمال الدينية بمبلغ ١٥٠ مليون دولار .

إن الشواهد كبيرة جداً على العلاقة القوية بين «مؤسسة الأعمال الدينية» ورئيسها الأسقف مارسينكوس وبنك «امبروزيانو» ورئيسه كالفي ، وعلى معرفة الأسقف التامة بطبيعة الأعمال التي كان يقوم بها . فلقد كان مارسينكوس مديراً لبنك «ناساو» الذي أنشأه كالفي في عام ١٩٧٢ منذ يومه الأول حتى تموز ١٩٨٣ ، وهو البنك الذي قام بالدور الأساسي في عمليات كالفي المالية الاحتيالية . وقد اعترف مارسينكوس نفسه أنه كان يحضر اجتماعات مجلس إدارة بنك «ناساو» بصورة منتظمة . وفي ٢٠ كانون الثاني ١٩٧٥ ، وبعد وقت قصير من شروع كالفي في شراء أسهم بنكه «امبروزيانو» من خلال شركة «سوبرافين» تلقى بنك «امبروزيانو» رسالة من مؤسسة الأعمال الدينية تدلل على أن لهذه المؤسسة صلة وثيقة بـ«سوبرافين» . فالرسالة تطلب من «امبروزيانو» أن يتولى سندات «سوبرافين» الاستثمارية . هذا فضلا عن أن بنك ايطاليا، كشف ـ بعد انهيار امبروزيانو، وافتضاح أمر كالفي واحتيالاته ونشاطاته الجهنمية ـ أنه يملك أربع رسائل موقعة من المونسينيور مارسينكوس، يتعهد فيها بكفالة بنك امبروزيانو في عملياته المالية، ويضمن تغطية مبالغ تقدر بمليار و٨٢٥ مليون دولار منحتها فروع امبروزيانو في أمريكا الجنوبية ، الى عدة بنوك وشركات مالية بنمية وايطالية .

واذا ما عدنا الى قضية كالفي من أساسها فإننا نجد أنه منذ نهاية عام ١٩٧٧ ، بدأت تظهر على الجدران، وسط ميلانو، ملصقات مجهولة المصدر، تدعو الى ارسال كالفي الى السجن، متهمة رئيس بنك «امبروزيانو» بالاحتيال وتزوير الحسابات، وسوء توزيع الأموال، وتهريب العملة الى الخارج بصورة غير شرعية، والاحتيال على سلطات الضرائب الايطالية. و«كانت التهمة موضوعة بتفصيل مذهل » كما يقول تقرير الـ«صنداي تايمز» الذي أضاف أنه: لم يكن وراء ذلك الهجوم الضاري على كالفي سوى ميشيل سيندونا الذي كان ينتظر المحاكمة في نيويورك بتهمة الاحتيال. ويبدو أن سيندونا شعر بالمرارة مما اعتبره معاملة جاحدة من صنيعه السابق. كان سيندونا يبتز كالفي الذي دفع لسيندونا في نيسان ١٩٧٨

مبلغ ٥٠٠ ألف دولار عبر أحد البنوك في سويسرا. وقد أدت حملة الملصقات تلك الى تدهـور وضـع بنـك «امبروزيانو» وانخفاض سعر أسهمه، والى ارتفاع وتيرة الضغوط السياسية على «بنك ايطاليا» لفتح تحقيق في شؤون كالفي .

وفي تلك الأثناء مات البابا بولس السادس، وانتخب مجمع الكرادلة أسقف فينيسيا الكاردينال البينو لوسياني ، ليكون البابا يوحنا بولس الأول الذي أظهر منذ الأيام الأولى لبـابويته ، عزماً على اجراء تغييرات داخل الفاتيكان ، وعلى تطبيق نظريته المتصلة بكنيسة فقيرة ، وليست متورطة في نشاطات مشينة كما مر بنا ، ثم كانت الوفاة المفاجئة والمدهشة للبابا الذي لم يمكث على الكرسي الرسولي سوى ٣٣ يوما ، فيما كان يتمتع بصحة جيدة تماما . وبعد ذلك وقع اختيار مجمع الكرادلة على أسقف كراكوفيا الكاردينال كارول فوتيلا ليخلف البابا الراحل .

اذا طوى النسيان ذكرى البابا يوحنا بولس الأول، فإن صفحة كالفي ظلت مفتوحة، بل انها انفتحت عن آخرها. فقد استدعى ماريو ساركينيلي، أحد مسؤولي بنك «ايطاليا» روبرتو كالفي إلى مقر عمله في أوائل عام ١٩٧٩ ، ووجه إليه عدداً من الأسئلة. . كانت أسئلة صعبة ومحرجة امتنع كالفي عن الاجابة عليها، وعن إعطاء المعلومات التي طلبها ساركينيلي، لأنها كانت تتعلق بالعالم السري لكالفي . وفجأة ، بعد شهر من المواجهة بين الرجلين ، تدخلت الشرطة الايطالية واعتقلت ساركينيلي ، ووضعته في السجن بناء على أوامر من قاض في روما بتهمة الاحجام عن الاشراف على قرض . ولما لم يستطع أحد أن يقيم الدليل على صحة هذه التهمة فقد أطلق سراح ساركينيلي ، لكن القاضي رغم ذلك رفض إلغاء قراره الذي منع بموجبه ساركينيلي من العودة الى وظيفته في بنك « ايطاليا » لمدة سنة .

في البداية لم تكن هنالك، إلا قلة محدودة من الناس تعرف من الذي كان وراء العمل الذي حال دون اجراء تحقيق في شؤون كالفي . ولا بد أن المسؤولين في «بنك ايطاليا» أو بعضهم في الأقل، كانوا من بين الذين عرفوا مصدر التأثير الموجود داخل الفاتيكان وفي المقر السري للمحفل الماسوني الايطالي «بي٢» .

وقبل أن تنفجر كلياً فقاعة كالفي في صيف ١٩٨١ كانت ايطاليا تهتز تحت وطأة فضيحة المحفل الماسوني الذي يتزعمه ليسيو جيللي وحتى أوائل ذلك العام (١٩٨١) كان جيللي في الظاهر المدير التنفيذي الرئيسي لشركة ملابس صغيرة في اريزو في توسكاني. ولم يكن ذلك في الواقع سوى أقل مهماته الخطيرة. فمن جناحه المكـون من ثلاث غرف في فنـدق «اكسيبليور» في رومـا كان جيللي يدير المحفل الماسوني الرئيسي في ايطاليا. وأظهرت التحقيقات اللاحقة أن من بين أعضاء هذا

المحفـل سياسيين كبـاراً، مصرفيين، ورؤسـاء أجهـزة سرية، وقـادة في الجيش والشرطة، وموظفين مدنيين مرموقين، يرتبطون مع بعضهم، ومع غيرهم في تنظيم سري للغاية هدفه: تعظيم الذات وبناء القوة، والنفوذ، والثروة.

ولأن الفضيحة كانت كبيرة جداً، فقد شكل البرلمان الايطالي لجنة منه برئاسة النـائبـة «تينا انسلمي» ـ من الحزب الديمقراطي المسيحي الحاكم ـ للتحقيق في الأمـر. وبعد ثلاث سنوات من عملها، أعدت اللجنة تقريراً في ٢٦٤ صفحة، اعتمد على ٥٠٠ ألف صفحة من الوثائق وشهادات الشهود. والتقرير الذي تسربت معظم أجزائه إلى الصحافة يتحدث صراحة عن «الحكومة الخفية» التي كونها من ١٩٦٥ إلى ١٩٨١ ليسيو جيللي باسم المحفل الماسوني «بي٢»، والتي أدت في ربيع ١٩٨١ إلى تفجر أكبر فضيحة سياسية عرفتها ايطاليا منذ الحرب العالمية الثانية، عندما انكشف مرة واحدة قدر هائل من الحقائق عن رشاوى في صفقات كبرى، وعن تغلغل عميق للماسونية في العديد من أجهزة الدولة الهامة ويتضمن التقرير أسماء ٩٦٢ عضواً في المحفل بينهم شخصيات سياسية كبيرة، مثل اندريوتي وزير الخارجية، وبيترولونجو وزير الميزانية، كما تضم القائمة أيضاً رجال بنوك ومخابرات وصحافة وقضاء، وأعضاء في معظم الأحزاب السياسية القائمة.

وترى رئيسة اللجنة المكلفة بالتحقيق، ان كل الفضائح في ايطاليا تقود في النهـاية الى ليسيو جيللي، والمحفل الماسوني. وتشير إلى خطورة وجود عسكريين أعضاء في المحفل وحوالى ٢٠٠ عضو بعضهم من كبار القادة. ويكشف التقرير أن جيللي يملك ثروة تقدر بمئات المليارات، ويتحكم في عدة بنوك وشركات ودور نشر وصحف. وأنه هو ومحفله شاركا على نحو مباشر في محاولات لقلب نظام الحكم في ايطاليا وفي إفساد الحياة السياسية، وتهريب الأموال إلى الخارج، وتدبير حوادث انفجارات وممارسة النصب والاحتيال في عمليات مالية، وتجارية، وابتزاز عدد من الشخصيات الهـامـة وتقديم الحماية لأعضائه الذين دأبوا على ممارسة ذلك كله، وبينهم روبرتو كالفي.

ليس من شك في أن جيللي عرض على كالفي شيئاً كان في أمس الحاجة إليه في تلك المرحلة، وهو الحماية، وفيما بعد قال كالفي أثناء التحقيق معه: لقد اشتهر جيللي بأنه رجل مهم جداً، جمع الناس من حوله، ونجح في جمعي من أجل الحماية التي منحني إياها من خلال عضويتي في المحفل «بي٢». ولقد اتفق تدخل جيللي لصالح كالفي مع تحسن كبير نسبيا في حظ بنك «امبروزيانو»، فقد بدأ سعر أسهمه بالارتفاع نتيجة الحملة التي شنها كالفي من أجل تشجيع المودعين على شراء أسهم

البنك، مستثمرا أيضاً علاقة مؤسسة الأعمال الدينية الفاتيكانية ورئيس الأساقفة مارسينكوس به ودعمهما له. وظن كالفي أن مساعدة جيللي ومحفل «بي٢» وحمايتهما له ورعاية مارسينكوس ستجعله يصيب نجاحاً في الاستمرار بنشاطاته وتطويرها ومنع افتضاح أسراره، إلا أن ذلك كان «فجراً زائفاً تماماً» حسب تعبير تقرير «صنداي تايمز» فقد تكومت فوائد القروض، ولم تكن لدى شركات كالفي في «بنما» أو « ليخنشتاين » أية موارد تمكنه من التسديد ، وتصادف أن سعر الليرة الايطالية في ذلك الوقت كان ينخفض مقابل الدولار، وكانت عقود كالفي جميعها تقريباً بالدولار.

وفي تلك الأثناء وصل الى أحد المسؤولين الايطاليين تحقيقان منفصلان. فقد قدم «بنك ايطاليا» الذي اهتز منذ ثلاث سنوات نتيجة اعتقال ساركينيلي، الى قاض في ميلانو مجموعة من الأدلة حول انتهاكات تتعلق بالعملة الأجنبية. وكان كالفي في قلب تلك الأدلة. ومع حلول عام ١٩٨١ كان القاضي قد جمع كل ما يدين كالفي تقريبا. وفي ذلك الوقت نفسه، اقتحمت الشرطة فيلا جيللي في اريزو، وانكشف تنظيمه السري، وكان من بين الأسماء في جدول العضوية لمحفل «بي٢» اسم روبرتو كالفي. وما هو أسوأ من ذلك، أنه كانت هناك أيضاً وثائق تكشف بعض نشاطات كالفي غير القانونية. وحينذاك أيضاً كانت قد تزايدت وبلغت ذروتها الضغوط على الفاتيكان من بعض كنائس ايطاليا وأوروبا خصوصاً، كما قاد الكاردينال كازارولي سكرتير الفاتيكان ووزير خارجيته ضغوطا مشابهة على البابا يوحنا بولس الثاني شخصيا للقيام بعمل ما لانقاذ سمعة الكنيسة الكاثوليكية، مما ينشر في الصحافة عن تورط «مؤسسة الأعمال الدينية» في النشاطات المريبة لبنك «امبروزيانو» ورئيسه كالفي.

وكان من الواضح في ذلك الوقت أن هنالك العديد من الأشخاص والقوى والجماعات، داخل ايطاليا خصوصاً، في حاجة ماسة لأن تشهد روما بالذات حدثاً استثنائياً، كبيراً ومروِّعاً، كيما تختلط الأوراق فيما بينها ويحال دون فرز المغشوش منها. فكانت محاولة اغتيال البابا يوحنا بولس الثاني في ١٣ ايار ١٩٨١[٨].

←

(٨) مضت الامور ، في جانب منها ، بعد ذلك على النحو التالي :

اعتقل كالفي وعدد من مساعديه ، ووضع في السجن من ٢٠ أيار ١٩٨١ حتى نهاية المحاكمة في ٢٠ تموز ، عندما حكم عليه بالسجن لمدة اربع سنوات ، وغرامة تزيد عن ١٠ ملايين دولار اميركي بتهمة تهريب العملة الاجنبية لكنه استأنف الحكم فأطلق سراحه بالكفالة الى حين

لقد مات البابا يوحنا بولس الأول في اللحظة التي كان سيشرع بعدها بترتيب أوضاع البيت الفاتيكاني وبإزاحة الأسقف الأمريكي بول مارسينكوس عن رئاسة بنك الفاتيكان، وهو ماكان سيوجه ضربة قاضية الى روبرتو كالفي ومعه حاميه ليسيو جيللي. ولقد وقع حادث الاعتداء على البابا يوحنا بولس الثاني بساحة القديس بطرس، في الثالث عشر من أيار ١٩٨١، في الوقت ذاته الذي كان كالفي وجيللي ومعهما مارسينكوس، يواجهون أحرج لحظة في حياتهم. فهل كان موت البابا يوحنا بولس الأول ومحاولة اغتيال البابا يوحنا بولس الثاني في تلكما اللحظتين بالضبط مجرد صدفة؟.

يوم اختير أسقف كراكوفيا الكاردينال كارول فوتيلا ليكون رئيساً للكنيسة الكاثوليكية برمتها، أجمع الناس في الغرب كما في الشرق، وفي لحظة فريدة من

←

(٨)... الاستماع إلى الاستئناف بعد ٢٠ حزيران ١٩٨٢ الا انه قبل ذلك الوقت بتسعة أيام، في (١١) حزيران، هرب كالفي إلى لندن عن طريق يوغوسلافيا والنمسا بجواز سفر مزور وكان من المقرر ان يجتمع في ذلك اليوم مع مارسينكوس في الفاتيكان، وفي ١٨ حزيران وجد كالفي مشنوقاً في سقالات جسر بلاكفرايرز في لندن.

اما ليسيو جيللي، فقد امكن القاء القبض عليه في سويسرا، ووضع في سجن حديث عرف بأنه اكثر سجون العالم حراسة، الا ان جيللي اختفى من هذا السجن بطريقة مثيرة، فقد جرى تهريبه عن طريق احداث ثغرة في السياج الخارجي المشبك للسجن، وكان من الواضح ان عملية التهريب تمت بتواطؤ مع عاملين في السجن، ويقال ان جيللي موجود الآن في اورغواي متمتعاً بحماية رئيسها.

ورئيس الاساقفة مارسينكوس ظل حتى وقت قريب في منصبه، الا ان البابا يوحنا بولس الثاني، اجرى تغييرات واسعة داخل الفاتيكان في نيسان ١٩٨٤ كان نصيب مارسينكوس ان ازيح عن مؤسسة الاعمال الدينية وعهد اليه بمنصب رئيس لجنة شؤون مدينة الفاتيكان (بمثابة محافظ المدينة) يعيش مارسينكوس الآن وضعا من الاقامة الاجبارية ـ الاختيارية، فهو لايستطيع ان يبرح الفاتيكان لأنه مطلوب من الاجهزة الحكومية الايطالية للتحقيق معه في قضية كالفي، وبنكه « امبروزيانو » ونشاطاتها غير المشروعة، التي تثبت الوثائق المتوفرة ان لمارسينكوس ضلعا فيها، فقد قام بنك « امبروزيانو » بتهريب العملة الى الخارج من القروض التي حصل عليها بكفالة مؤسسة الاعمال الدينية، وكشفت التحقيقات ان مارسينكوس منح كالفي ٥٥ رسالة كفالة. وقد شكل البابا يوحنا بولس الثاني في عام ١٩٨٢ لجنة من ١٥ كاردينالا لمراجعة حسابات « مؤسسة الاعمال الدينية » وميزانية الفاتيكان بشكل عام. وفي اعقاب اختتام اللجنة اعمالها اصدر البابا اوامر حضر فيها على مؤسسات الفاتيكان الدخول في استثمارات او صفقات مالية محلية او عالمية، والاكتفاء بتبرعات المؤمنين الكاثوليك (جريدة « الوطن » الكويتية ١٤ كانون الثاني ١٩٨٣).

نوعها، على أن ما أقدم عليه مجمع الكرادلة الكاثوليك من خرق للتقليد الذي ظل سارياً طيلة خمسة قرون، باختيار بابا غير ايطالي وبولندي بالتحديد، إنما كانت له علاقة مباشرة بالنزاع الداخلي البولندي الذي كان يندفع الى الأمام آنذاك. بل ان الذين تحيروا أمام الظروف التي مات فيها البابا السابق، يوحنا بولس الأول، تخلصوا من القسم الأكبر من حيرتهم.

وكائناً من كان الذي اقترح اسم الكاردينال البولندي ، ليكون خليفة للبابا يوحنا بولس الأول ، او بالأحرى خليفة للبابا بولس السادس باعتبار أن يوحنا بولس الأول لم يمهله القدر لكي يمارس صلاحياته البابوية كاملة ويطبق الأفكار التغييرية التي كانت تجول في ذهنه ، وكائناً من كان الذي دعم بقوة فكرة اختيار كارول فوتيلا الى الكرسي الرسولي ، فإن ذلك كان مرحباً به ومطلوباً في الغرب ، بما في ذلك ايطاليا والفاتيكان نفسه ، لأسباب لا علاقة لها بقضية بولندا . وأمكن تلمس ذلك منذ البداية في اجتماعات مجمع الكرادلة السرية التي جرى فيها اختيار فوتيلا الى البابوية . فقد استغرقت تلك الاجتماعات وقتاً طويلاً امتد لأيام ، فيما لم يستغرق انتخاب سلفه البابا يوحنا بولس الأول سوى بضع ساعات . وتبين فيما بعد أن الأساقفة الايطاليين الذين كان مجلسهم فيما مضى أكثر مؤسسات الفاتيكان سطوة وتأثيراً على الكرسي الرسولي ، وقفوا الى جانب ترشيح مواطنهم الكاردينال سيرجو بييندولي[٩] واسقف فلورنسا الكاردينال جيوفاني بينللي[١٠] إلى منصب البابا .

وفيما بعد نشبت خلافات وصراعات ، بين البابا ومساعديه البولنديين من جهة ، والكثير من مسؤولي الفاتيكان وكرادلة ايطاليا من جهة أخرى ، بمن فيهم الكاردينال كازارولي ، وزير الخارجية والرجل الثاني بعد البابا ، الذي اصطدم مع البابا والأساقفة البولنديين أكثر من مرة بخصوص الأحداث البولندية .

وعرف عن كازارولي وقوفه بصلابة ، ضد الاقليمية الواضحة التي تميز تصرفات وتحركات البابا السياسية وخصوصاً حيال المسألة البولندية . كما اغتاظ العديد من مسؤولي الفاتيكان وكرادلة ايطاليا من تزايد نفوذ « المجموعة البولندية » داخل الفاتيكان ، وقيام البابا يوحنا بولس الثاني بفتح قنوات خاصة تربطه بالكنيسة البولندية التي تزوده بالمعلومات عن الوضع في بولندا وتتلقى منه الارشادات مباشرة دون الاكتراث بارشادات وزير الخارجية أو غيره من مسؤولي الفاتيكان . وقد

---

(٩) مات في صيف ١٩٨٠ عن ٧٠ عاماً .

(١٠) مات في خريف ١٩٨٢ عن ٦١ عاماً.

ازدادت خلافات البابا مع كازارولي ومجموعته عمقا ، عندما علم رئيس الدبلوماسية في الفاتيكان أن الكنيسة البولندية تقدمت بطلب سري الى البابا لاقصاء الأسقف « لوزي أورسزوليك » من منصبه ، كقائم بأعمال سفير الفاتيكان في وارسو ، بسبب ميل الأخير الى وجهات نظر كازارولي حول اعتماد الدبلوماسية في معالجة الوضع البولندي وعلاقة الصداقة الشخصية التي تربطه بالزعيم البولندي ياروزلسكي[11] .

وقد نظر أساقفة ايطاليا منذ البداية الى البابا الجديد ، باعتباره أجنبياً ، فقد مجلس الأساقفة الايطاليين بمجيئه إلى الكرسي البابوي جزءاً من تأثيره . فالبابا البولندي يفكر بشمولية تتعدى حدود ايطاليا ، وهو يركز على بلده بولندا ، وكثيراً ما يخاطب الحجاج والمصلين بمقدمة يتحدث فيه إلى مواطنيه أولاً ، ثم إلى المؤمنين عامة . وخلق ذلك لدى الكاثوليكي الايطالي شعوراً ، مفاده أن العالم الكاثوليكي لا ينحصر في ايطاليا ، بل يتعداها إلى أماكن أخرى . ورأى أساقفة ايطاليا أن ذلك أحد الأسباب التي أدت إلى تدهور مكانة الكنيسة الايطالية ورجالها داخل ايطاليا وإلى توسع وتوطد نفوذ الأحزاب والحركات اليسارية ، وبشكل خاص الحزب الشيوعي الايطالي ، الذي غدا في نهاية السبعينات ومطلع الثمانينات القوة الرئيسية الثانية في البلاد ، إلى جانب الحزب الديمقراطي المسيحي الحاكم ذي الصلة الوثيقة بالكنيسة .

وانعكس غيظ الأساقفة الايطاليين من الأوضاع التي باتوا يواجهونها في عهد البابا البولندي ، في البيان الذي صدر عن مجلسهم الكنسي الذي انعقد في تشرين الأول ١٩٨١ بشكل سري ، اذ جاء في هذا البيان : « في ايطاليا تتسع باستمرار رقعة عدم الاكتراث والابتعاد عن الكنيسة عاما بعد عام . وغالباً ما يبرز الاهتمام بالكنيسة ليس على أساس الوعي بوجودها ودورها ، بل خشية من النتائج التي قد تنجم عن تدخلها في الحياة العامة للناس »[12] .

وقد تردد يومها ونشر في العديد من الصحف أن بعض الكرادلة أجرى اتصالات سرية مع باقي الكرادلة في ايطاليا والعالم من أجل الاتفاق على موقف موحد أثناء ذلك المجلس . وذكرت مصادر مطلعة في حينه ، أن رئيس هيئة الكنائس الكاردينال « بيركلي فيليتشي » ، أعد مشروعاً طرحه على الآخرين خلال

---

(١١) جريدة « الانباء » الكويتية ـ ٢٠ نيسان ١٩٨٤ .

(١٢) جريدة الوطن الكويتية ٢٥ تشرين الأول ١٩٨١ .

اتصالاته السرية لتعديل الدستور الخاص بانتخاب البابا . وكان المشروع يطالب ، خلافاً للقوانين السابقة ، بانتخاب بابا جديد ليس فقط في حالة موت البابا ، بل وفي حالة عجزه أيضاً ، أي في حالة تعرضه لمحاولة قتل ، أو لمرض خطير ، أو عدم مقدرته على قيادة الفاتيكان . وفسّر المراقبون ذلك المشروع بأنه « خطوة واضحة على طريق تفجير الثورة داخل الفاتيكان ، وتبديل قيادته الحالية »(١٣) .

إن « بولندية » البابا يوحنا بولس الثاني كانت محور صراع ضار داخل الفاتيكان . فالأساقفة الايطاليون لم يغفروا للبابا كونه بولندياً ، أو بالأحرى تصرفاته البولندية ، وخاصة اهتمامه الرئيسي بالأزمة البولندية . وجرى في أكثر من مرة توجيه الاتهام إليه بافتعال الأزمة . وكان يثير حساسية رجال الدين الايطاليين خصوصاً كون مساعدي البابا ومرافقيه من البولنديين فقط ، وكثرة الموظفين والعاملين البولنديين في مكاتب الفاتيكان ، وإعطاء جميع البولنديين الحق في دخول جميع مكاتب البابا دون تقديم طلب رسمي ، واطلاعهم على جميع الوثائق السرية الممنوعة حتى على بعض الكرادلة . وكان بعضهم يصف الوجود البولندي داخل الفاتيكان بأنه « دولة قوية لا يمكن مراقبتها ، داخل دولة » .

وقد عبر عن مشاعر الأساقفة الايطاليين الكاردينال « كولنا لونيرو » الذي قال ذات مرة ممتدحاً الباباوات الايطاليين : نملك نحن الايطاليين نظرة عالمية ، ومعتقداتنا واسعة النطاق ، غير مرتبطة بإحدى القضايا الخاصة . وأضاف : نحن نختلف عن الاجانب (يعني البابا يوحنا بولس الثاني) الذين لم يطلعوا على الوضع بصورة صحيحة ، ولذلك عليهم دراسة الوضع ، والاعتماد على نصائح مساعديهم في الفاتيكان(١٤) .

والجدير بالذكر هنا أن البابا يوحنا بولس الثاني ، أصدر في مطلع عام ١٩٨٣ ، بعد انتهاء مجمع الكرادلة الذي اجتمع آنذاك ، النص الجديد للقانون الكنسي ومن أهم ما في القانون الجديد ، أنه جرد أساقفة روما من الكثير من صلاحياتهم ، إذ نقل سلطات دينية مركزية ورئيسية إلى الاسقفيات الاقليمية والمحلية ، وأعطى حرية كاملة للمحاكم الدينية الفرعية ، للبت في قضايا عديدة كانت حكراً على روما وحدها . كما سمح القانون الجديد للأساقفة بالبت في العديد من المسائل الدينية دون الرجوع الى البابا أو روما . وبذلك أصبحت روما كغيرها

---

(١٣) جريدة الأنباء الكويتية ١٤ تشرين الثاني ١٩٨١ .

(١٤) المصدر السابق نفسه .

من الابرشيات أو الدوائر الدينية ، فيما كان أساقفة روما في السابق هم أصحاب الحل والربط في كل قضايا الكنيسة الكاثوليكية ، ابتداءً من أمور الدين حتى مجمع الكرادلة . . إلى انتخاب البابا .

وعشية محاولة اغتيال البابا يوحنا بولس الثاني ، نشر في الصحف الغربية المختلفة أن البابا اقتنع أخيراً بضرورة التراجع عن بولندا ، لأن السوفيات جادون هذه المرة ، وأن دوبرنين ، السفير السوفياتي في واشنطن ، كان شديد الوضوح عندما راح يشيع همساً في نيويورك أن الكرملن لا يفرق على الاطلاق بين موسكو ووارسو مشيراً إلى أن « روسيا » التي اعتادت على استدراج أي جيش غاز إلى عمق أراضيها حتى يأكله الثلج ، ستتخلى هذه المرة عن تقليدها الموروث ، وتنقل المعركة إلى أراضي الغير . وأفادت تلك التقارير بأن المستشار الالماني الاتحادي ـ يومها ـ هيلموت شميث اتصل بالحلفاء الغربيين محذراً من المضاعفات ، بعدما تمكنت الأجهزة الأمنية في المانيا الاتحادية من الحصول على معلومات تتعلق بالاستعدادات التي جرى اتخاذها داخل حلف وارسو ، وهي تؤكد بأن الاتحاد السوفياتي وضع الحرب كاحتمال لا مفر منه إذا ما اقترب الوضع في بولندا من نقطة معينة . ولم يكن أمام البابا ، والحالة هذه ـ كما قالت التقارير ـ الا أن « يسحب رخص السلاح » من مواطنيه على حد تعبير المعلق الأمريكي جاك اندرسون ، مع نصيحة بأخذ العبرة من المسيحيين الأوائل الذين اختاروا الصمت الطويل ، والتكتيكي إبان الامبراطورية الرومانية حفاظاً على الرؤوس التي كانت مهددة بالسقوط .

وقد أثارت ما أسمتها الصحافة الغربية بـ« الهدنة الصعبة مع الشيطان الأحمر » ، حفيظة الكثيرين داخل الفاتيكان كما في خارجه ، وأبدوا في العديد من المرات اعتراضهم على ما أسموه « تضحية البابا » برأس ليش فاليسا مقابل بعض الانفراجات في الأجواء السياسية والنقابية في بولندا . وكان بين هؤلاء ، الأب فرجيليو ليفي ، معاون مدير صحيفة الفاتيكان « اوبسرفاتوري رومانو » أو « الأب اليهودي »[١٥] كما يعرف عنه في روما . وكان ليفي يعتقد ، مثل آخرين أن من ←

---

(١٥) ينحدر ليفي من أب يهودي اعتنق المسيحية لسبب مجهول وكان يوصف بأنه « السفير اليهودي » في الحاضرة الفاتيكانية بسبب مواقفه الموالية لاسرائيل والجهود النشيطة التي كان يبذلها من أجل كسر الجليد التاريخي بين المسيحية واليهودية ومحاولاته لاعاقة اتخاذ الفاتيكان مواقف ايجابية حيال قضية الشعب الفلسطيني وحقوقه ، وقضية مدينة القدس المحتلة . كما كان يهاجم الاتحاد السوفييتي بقوة لعدم تهجيره مواطنيه اليهود الى اسرائيل والبلدان الغربية . وقام بنشاطات علنية

الأفضل دفع الاتحاد السوفياتي إلى القيام بعمل عسكري في بولندا ، فإذ ذاك تندلع الثورة الحقيقية هناك ، وهي مرشحة كلياً للنجاح ليس فقط لأن الأكثرية تناهض الاتحاد السوفياتي ، وإنما أيضاً لأن نقابة « تضامن » أحدثت الهيكلية اللازمة لنشوء مقاومة منظمة[16] وكان يرى أن : « تحرير بولندا ، لا يمكن أن يتم إلا بالمواجهة . وهـذه المواجهة بالذات قد تؤدي إلى تفكيك الاتحاد السوفياتي نفسه » واستخدم ليفي صحيفة الفاتيكان للتعبير عن آرائه هذه وآراء الذين يقفون من ورائه للضغط على البابا ، إلا أنه لم يفلح في ذلك ، وفقد في النهاية منصبه الفاتيكاني .

فهل كان البابا يوحنا بولس الثاني سيذهب في ١٣ أيار ١٩٨١ ضحية لصراع ايطالي ـ بولندي داخل الكنيسة الكاثوليكية على منصب البابا الذي بدا كما لو أنه يدير الكنيسة من وارسو لا من روما ، وعلى حساب روما التي احتكرت المنصب المقدس الرفيع لخمسة قرون متتالية ، أكثر منه ضحية لصراع سوفياتي ـ أمريكي على بولنـدا ؟ . أو أن ماحدث في ساحة القديس بطرس كان عملاً عقابياً للبابا البولندي على سحبه « رخص السلاح » من مواطنيه وعقده الهدنة مع « الشيطان الأحمر » البولندي والسوفياتي ، وهو الذي كان ينظر إليه باعتباره « مخلص » بولندا من شيوعيتها ؟ .

في كتابـه « بابوات من الحي اليهودي »[17] الذي اعتمد تأليفه على ١١٨ مرجعـاً تاريخياً ، يبـين لنـا يواكيم برنـز ، وهـو أحـد كبار الشخصيات اليهودية الأمريكية ، وله بين يهود الولايات المتحدة مكانة دينية وسياسية ، كيف سخر اليهود في مرحلة من مراحل التاريخ المؤسسة البابوية لخدمة مصالحهم عن طريق المرابين أولاً ، ثم عن طريق اعتلاء ثلاثة منهم من أسرة آل بيرليوني « اليهودية » الأصل ، العرش البابوي « دون أن ينسلخوا عن جلدهم » .

ولم تكن الحـركـة السياسية المعاصرة للبرجوازية اليهودية (الصهيونية) ولا للدولة الصهيونية (اسرائيل) أقل اهتماماً بالكرسي الرسولي ولا أقل نزوعاً إلى التأثير عليه ، إن بأسـاليب الانـدسـاس القـديمة ، أو بالأساليب الحديثة التي يدخل

---

(١٥) . . . وسرية من اجل عقد صفقات تتعلق باجتذاب المواطنين السوفيات اليهود نحو الهجرة من وطنهم . ووقف ضد انعقاد مؤتمر هلسنكي في عام ١٩٧٥ حول الأمن في القارة الأوروبية معتبراً اياه انتصارا للاتحاد السوفياتي والبلدان الاشتراكية الاخرى .

(١٦) جريدة السياسة الكويتية ٣١ تموز ١٩٨٣ .

(١٧) ترجمه إلى اللغة العربية : خالد أحمد عيسى ، راجعه وقدم له الدكتور سهيل زكار . نشر : دار حسان للطباعة والنشر ـ دمشق ١٩٨٣ .

الارهاب في نطاقها ويقف في مقدمتها . ولقد عملت الحركة الصهيونية على الدوام على ضمان تأثيرها على القرار البابوي لتأييد مسعاها من أجل إقامة « وطن قومي » لليهود في فلسطين والاعتراف بهذا الكيان فيما بعد ، ومباركة سياساته ، وقد مرّ بنا للتو لمحات من قصة « الأب اليهودي » فرجيليو ليفي الذي لم ينسلخ من جلده .

ويوضح التقرير السري لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية المعنون « اسرائيل : أجهزة الاستخبارات والأمن » المعد في آذار ١٩٧٩ والذي عثر الطلبة الايرانيون عند احتلالهم السفارة الامريكية بطهران في أواخر ذلك العام على نسخة منه [١٨] ، أن من الأهداف الرئيسية لجهاز الاستخبارات الخارجية الاسرائيلي « موساد » تخريب العلاقات القائمة بين الدول العربية والدول الأخرى وبينها دول أوروبا الغربية ، .ومنع تحقيق أي تقدم على صعيد القضية الفلسطينية ، أو القيام بأي نشاط لصالحها ، وأن الموساد تشارك بنشاط في العمل الارهابي داخل أوروبا الغربية و « تقوم المخابرات الاسرائيلية بعمليات سرية في كل أوروبا الغربية »[١٩] . كما تعتبر مهمة أساسية للموساد « جمع المعلومات الاستخبارية المتصلة بسياسات الغرب ، والفاتيكان ، والأمم المتحدة حيال الشرق الأدنى »[٢٠] .

وتعتبر تركيا وايطاليا من الدول الرئيسية التي تنشط الموساد فيها ، حيث يوجد هناك مركزان دائمان[٢١] . ومنذ عام ١٩٥٨ عقدت الموساد مع جهاز الأمن القومي التركي (T.N.S.S) والسافاك الايراني اتفاقاً للتعاون المشترك ، وشكلت الأجهزة الثلاثة منظمة ثلاثية عرفت باسم « ترايدنت « TRIDENT » ويقدم الأتراك بموجب هذا الاتفاق المعلومات اللازمة للموساد[٢٢] . وفي ربيع عام ١٩٨٣ تم في تركيا الكشف عن علاقات تربط ضباطاً من « الموساد » ، يعملون في السفارة الاسرائيلية في أنقرة ، مع زعماء المنظمة الفاشية « الذئاب الرمادية » . وأبلغ موظفون في الاستخبارات الاسرائيلية في القدس المحتلة مراسلة « نيويورك تايمز » أنهم جندوا ٢٨ إرهابياً تركياً بعضهم لايزال يعمل لحساب الموساد . وقد تمكنت الموساد عن

---

(١٨) نشرت نصه مع الوثائق الملحقة به مجلة « Cunter Spy » الأمريكية عدد (May-June,1982 . P.P.34-57)

(١٩) Counter Spy, May-June 1982,p.43 .

(٢٠) Ibid p. 41 .

(٢١) Ibid P. 42

(٢٢) Ibid P. 45

طريقهم الاطلاع على مجرى التحضيرات لمحاولة اغتيال البابا يوحنا بولس الثاني[٢٣] .

وفي ايطاليا تتمتع الموساد بحرية حركة أوسع عكستها عشرات العمليات الارهابية التي نظمتها ضد مناضلين فلسطينيين وعرب ، أقاموا في ايطاليا أو زاروها من أجل تعريف الرأي العام الايطالي والأوساط الحاكمة والفاتيكان بقضية الشعب الفلسطيني وعملوا على كسب اعتراف الحكومة الايطالية والفاتيكان بمنظمة التحرير الفلسطينية وحقوق الشعب الفلسطيني . وكان من أوائل ضحايا إرهاب الموساد ضد المناضلين الفلسطينيين ممثل منظمة التحرير الفلسطينية وائل زعيتر الذي مد جسوراً ليس بين المنظمة والحكومة الايطالية فقط ، وإنما مع الفاتيكان أيضاً ، فقد اغتالته الموساد في تشرين الأول ١٩٧٢ . ويستند عملاء المخابرات الاسرائيلية في وجودهم ونشاطهم في ايطاليا ، إلى دعم وتسهيلات من منظمات صهيونية ، ومنظمات وحركات ايطالية يمينية واسعة النفوذ . كما يقيمون علاقات وثيقة مع المجموعات الارهابية الايطالية . وقد بينت التحقيقات التي شهدتها ايطاليا في السنوات الأخيرة حول الفضائح السياسية والمالية والتجسسية ، أن أعداداً من الفاشيين الجدد في ايطاليا ، قد تدربت في معسكرات الكتائب بلبنان والتي يشرف عليها ، كما هو معروف ، ضباط من الجيش والموساد الاسرائيليين . وحسب معطيات صحيفة « اسبرسو » الايطالية الأسبوعية فإنه في عام ١٩٨٣ وحده كان يعمل ٤٠٠ عميل للمخابرات الاسرائيلية في جزيرة « ابينين » الايطالية وحدها[٢٤] .

والأكثر من ذلك أن « الموساد » انخرطت على نحو مباشر في أعمال الارهاب التي ضجت بها ايطاليا طيلة أكثر من عقد مضى . وعلى سبيل المثال فإنه في ١٢ كانون الأول ١٩٦٩ ، قامت إحدى المجموعات الارهابية في ايطاليا بتفجير قنبلة في المصرف الزراعي بميلانو ، وأسفر الحادث عن مصرع ١٦ شخصاً وجرح ٨٠ ، وحدثت في الوقت نفسه انفجارات مماثلة في روما . وكان من بين الذين وجهت اليهم التهمة في تدبير ذلك شخص يدعى « بينيلي » الذي قتل أثناء التحقيق معه .

---

(٢٣) وكالة انباء نوفوستي الصحفية : نشرة اخبارية يصدرها المكتب الصحفي لدى سفارة الاتحاد السوفياتي بدمشق :
العدد ٤٨٦١ ـ ١٦/ ١١/ ١٩٨٣ ، نقلاً عن مجلة (ليتراتورينا غازيتا)

(٢٤) جريدة الرأي الاردنية ٦ تشرين الأول ١٩٨٣ .

وكان المكلف بالتحقيق مع « بينيلي » مفوض الشرطة « كالابريزي » الذي اغتاله الارهابيون بعد ذلك مباشرة .

وفي ربيع عام ١٩٧٣ جرت في ميلانـو إزاحـة الستـار عن تمثال تذكاري للمفـوض « كالابـريزي » ، في احتفـال كبير حضره ماريانو رومور رئيس وزراء ايطاليا . وفجأة قام رجل ملتح ، كان مختبئاً بين الجموع ، بتفجير قنبلة وهو يصيح « عاش بينيلي » . وقتل في الحادث أربعة أشخاص وجرح العشرات ، ولم يصب رئيس الحكومة الايطالية بأذى . وألقي القبض على المجرم « برتولي » وقد زعم في البداية ، أنه أراد الانتقام لموت بينيلي ، لكن ظهر فيها بعد أن من كان مقصوداً بقنبلة برتولي ، هو رئيس الوزراء الايطالي ليكون ذلك اشارة للبدء بانقلاب أعدته مجموعة « وردة الرياح » لوضع الحكم في ايطاليا بيد العسكريين الموالين لأمريكا واسرائيل . وأظهرت التحقيقات أن برتولي كان قادماً للتو من اسرائيل بعدما أمضى سنة كاملة في إحدى المستوطنات الصهيونية وأعيد إلى ايطاليا ليقوم باغتيال ماريانو رومور ، وأن الخطة وضعت في منزل المصرفي سيندونا عضو المحفل الماسوني « بي ٢ »[٢٥] .

وفي حزيران ١٩٨٣ ، أثبتت لجنـة التحقيق التابعة للبرلمان الايطالي ، أن عملاء (الموساد) ، كانوا منذ عام ١٩٧٤ على صلة بالارهابيين من منظمة « الألوية الحمراء » ، وكانوا يزودوهم بالمال والأسلحة المهربة[٢٦] ، وتقيم الموساد في العاصمة الايطالية تعاوناً مباشراً مع وكالة المخابرات المركزية . والمعروف أن جيمس أنغلتون رجـل المخـابـرات المركزية السابق في روما ، كان يشرف بنفسه على العلاقة بين المخابرات المركزية والموساد ، وكان أيضاً يشرف على صحيفة (ديلي أميركان) لسان حال وكـالـة المخابرات المركزية ، والتي ترأس إدارة تحريرها عميل الموساد لاري غرينـبرغ . وهـذه الصحيفـة كانت تعمـل فيهـا أيضـاً كلير ستيرلنج ، المعروفة بمشاركتها الفعالة في حملة الاتهام ضد بلغاريا والاتحاد السوفياتي في محاولة اغتيال البابا يوحنا بولس الثاني[٢٧] .

ومن مدخـل محاربـة « الارهـاب » الفلسـطيني والعـربي ، قدمت اجهـزة الاستخبارات الاسرائيلية اوراق اعتمادها الى امبراطورية الارهاب الدولية التي تديرها

---

(٢٥) « من وراء الارهاب الدولي » مجموعة من المؤلفين ـ ترجمة محمد هشام مزيان ـ دار التقدم ـ موسكو ـ ١٩٨٣ ، ص ٢٧٧ ـ ٢٧٩ .

(٢٦) وكالة انباء نوفوستي الصحفية ـ مصدر سابق .

(٢٧) المصدر السابق .

وكـالة المخابرات المركزية الاميركية ، وتضم بين ظهرانيها اجهزة مخابرات الدول الـرأسـمالية المتطورة والانظمة الدكتاتورية والعنصرية الموالية لاميركا وعصابات الارهـاب والمنـظمات الصهيونية والنـازية والفـاشية الجـديدة والمـافيا والمحـافل المـاسـونية . وصـارت الاستخبـارات الاسرائيلية احـد الاعمدة الرئيسية لهذه الامبراطورية مما اهلها لان تأخذ زمام المبادرة فتستضيف اول مؤتمر لمعهد جوناثان الأميركي[٢٨]المتخصص في « الارهاب الدولي » :

عقد المؤتمر الأول لمعهد جوناثان في القدس المحتلة في تموز ١٩٧٩ ، وحضره العديد من السياسيين والكتاب ورجال المخابرات الاسرائيليين والغربيين ، فكان من بين المشـاركـين فيه هنري كيسنجر ، وجورج بوش رئيس الحزب الجمهوري الامـيركي انـذاك ومـدير وكالة المخابرات المركـزية الاميركية في عامي ١٩٧٦ ـ ١٩٧٧ ، والميجـور جنـرال شلومـو غازيت رئيس الاستخبـارات العسكـرية الاسرائيلية . وكـانت القضية الاسـاسية التي اشبعهـا المؤتمـر نقاشا وحازت على اعجاب وموافقة المشاركين فيه هي : اللجوء دون تردد الى الشعار السياسي والادعاء المتكرر باستمرار حول « التورط السوفياتي بلا حدود » في كل النشاطات الارهابية على نطاق العالم ، سواء كانت « يسارية » او « يمينية »[٢٩] . هذه الفكرة طرحها بول جونسون ، المحرر السابق في مجلة « نيوستيتسمان » البريطانية .

وبعد خمس سنوات من ذلك ، في اواخر حزيران ١٩٨٤ ، عقد في واشنطن المؤتمر الثاني لمعهد جوناثان وحضره وزير الخارجية الاميركي جورج شولتز الذي ركز في كلمته على اهمية انتهاج سياسة هجومية . . وقائية ضد ماسماه بـ « الجماعات الارهـابية » وهو يقصد بذلك ، بطبيعة الحال ، كل اولئك الذين لاترتاح اليهم الادارة الاميركية ولاتشعر بالرضا حيالهم .

ان فكرة جونسون التي جرى تبنيها في المؤتمر الاول ، عرضت من جديد في المؤتمر الثاني بصيغة اكثر « تطورا » من قبل جونسون نفسه ، الذي قال في كلمته

---

(٢٨) جوناثان ناتينيا هو قائد فريق الكوماندوز الاسرائيلي الذي قام بعملية مطار عينتيبي الارهابية وقتل فيها .

(٢٩) في صيف ١٩٨٤ كان تحت الطبع في باريس كتاب ـ
The connection (Agca- John paul 11 - Antonov)
للمؤلف Dr. Christian Roulet المحـامي في محكمة الاستئناف ويضم الكتاب فصلاً كاملاً عن معهد جوناثان وجرى نشر هذا الفصل في صحيفة . Sofia News , july 25, 1984

التي كان شولتز يصغي اليها باهتمام ، حسبما ذكرت صحيفة « جيروزالم بوست » الاسرائيلية : « دعونا ننسَ المعاهدات الرسمية . ودعونا نناقش استعدادنا لاهمال العوائق الناتجة عن سيادة الدول ، والحدود الاقليمية . . دعونا نعبىء القوات بهدوء وحكمة وندربها بالطريقة التي تمكنها من العمل ضد الارهابيين ثم نناقش العواقب السياسية لمثل هذا العمل » . وأعرب جونسون عن أسفه لأن ياسر عرفات رئيس منـظمـة التحرير الفلسطينية « تمكن من الحصول على شهرة عالمية حينما استقبله البـابـا » . ثم دعـا العـالم « المتحضر » إلى الاقتـداء بعملية « سلامـة الجليل » الاسرائيلية[٣٠]. ان اسرائيل وأجهـزة استخباراتها معنية تماما في ان يتعاون الجميع معها من اجل القضاء على الثورة الفلسطينية ، ومنظمة التحرير الفلسطينية . ولقد كان امـرا مريعـا بالنسبـة لاسرائيل ان يكسب الفلسطينيون الى جانبهم الغالبية العـظمى في اوسـاط الـرأي العـام العـالمي والمنظمات الدولية ، وكذلك الهيئات الحكومية في العديد من الدول التي كانت الى وقت قريب تلتزم جانب اسرائيل .

وفيما يتعلق بالفاتيكان ، الذي ظلت اسرائيل تصوب نظرها نحوه امدا طويلا من الزمن فانه منذ عقد السبعينات ، بدأ يفصح عن موقف لاقامة دولة فلسطينية ، وكان البابا بولس السادس يقول بضرورة تحقيق « السلام القائم على العدل » في الشرق الاوسط وعـلى اسـاس ان تصبح مدينة القدس ملتقى المسيحيين واليهود والمسلمين . وفي ٣ حزيران ١٩٧٥ قالت مصادر في الفاتيكان كما نقلت « نيويورك تايمز » يومها : ان البابا تحدث عن احتمال ايجاد تسوية سلمية في الشرق الاوسط تأخـذ في الاعتبار « اماني الشعوب المعنية » ، ويتضمن هذا استنادا الى المصادر المـطلعة التي استقت منها « نيويورك تايمز » معلوماتها ، ان البابا بولس السادس يؤيّد اقـامـة دولـة فلسـطينية . وأضافت ان البابا اعرب عن امله ، خلال لقائه بالرئيس الاميركي الاسبق جيرالد فورد ، في التوصل « الى حل عادل لقضية القدس المحتلة والاماكن المقدسة » .

وفي اجتماعه مع الكرادلة عشية عيد الميلاد لسنة ١٩٧٥ (٢٢ كانون الاول ١٩٧٥) قال البابا : « لقد اراد الشعب اليهودي الذي تعرض للاضطهادات ، والتعذيب ، ان يؤسس له دولة ذات سيادة ومستقلة ، ولكننا نود ان نذكر ابناء هذا الشعب اليهودي بوجوب الاعتراف بالحقوق والتطلعات القومية لشعب اخر الا وهو الشعب الفلسطيني الذي تعرض بدوره للالام والعذاب على مدى سنين طويلة » .

---

(٣٠) The Jerusalem Post, June 29, 1984

ومع ان البابا يوحنا بولس الثاني قد التزم النهج الذي اتخذه الفاتيكان قبل دخوله اليه ، الا انه في الواقع اتخذ موقفا اكثر تشددا مما كان عليه في عهد اسلافه حيال ضرورة « ايجاد وطن للفلسطينيين » معتبرا ذلك احد المتطلبات الاساسية للسلام الدائم في الشرق الاوسط . كما عارض البابا يوحنا بولس الثاني بقوة اعتبار اسرائيل مدينة القدس عاصمة لها ، وكان يطالب باستمرار بايجاد وضع دولي لمدينة القدس . وسجل البابا يوحنا بولس الثاني لنفسه سابقة فاتيكانية باستقباله ممثلين رسميين من مستوى عال ، لمنظمة التحرير الفلسطينية ، بلغت ذروتها فيما بعد ، باستقباله رئيس منظمة التحرير الفلسطينية في الفاتيكان في ايلول ١٩٨٢ واجراء مباحثات رسمية معه .

ترى ألم يكن لاسرائيل واجهزة استخباراتها مصلحة في مقتل البابا« العنيد » يوحنا بولس الثاني ، الذي ابدى تفهما اكبر تجاه الحقوق الفلسطينية التي تسعى اسرائيل الى الغائها ومصادرتها كلية ؟ . . .

الا يشير انشاء معهد « جوناثان » وانعقاد مؤتمره الاول في القدس المحتلة بمشاركة واشراف الـ C.I.A و « الموساد » الى بداية العمل المنظم لتدبير المؤامرات الكبرى ، من النوع الذي حدث في الفاتيكان في ١٣ ايار ١٩٨١ والقائها على عاتق الاتحاد السوفياتي وحلفائه ؟ .

يوم اجتاز رونالد ريغان عتبة البيت الابيض لاول مرة في كانون الثاني ١٩٨١ ، كان اول شيء فعله وهو يدخل الى غرفة الرئيس ، ان وضع جانبا لافتة الرئيس السابق جيمي كارتر « الدفاع عن حقوق الانسان » ورفع بدلا منها لافتة « مكافحة الشيوعية » . واعلن بوضوح في تصريحاته الصحفية ، بينما التصريح الذي ادلى به في ذلك الوقت الى مجلة « سيتيمانالية »[٣١] الايطالية ، انه يعتزم ضرب الدماغ المحرك للارهاب الدولي ، والدماغ المحرك هذا هو الاتحاد السوفياتي كما اعلن ذلك وزير خارجية ريغان الكسندر هيغ في المؤتمر الصحفي الذي عقده في ٢٨ كانون الاول ١٩٨١ .

ولتحقيق هدفه دشن ريغان حملة منظمة وواسعة النطاق ضد « الارهاب الدولي » ورأسه « الموجود » في موسكو ، وجرى تجنيد مراكز أبحاث وصحف وأجهزة إعلام وصحفيين داخل الولايات المتحدة وخارجها لهذا الغرض . وقام

---

(٣١) لها علاقة وثيقة بالمحفل الماسوني الايطالي « بي ٢ » ورئيسه ليسيو جيللي الذي كان من بين ضيوف الشرف في احتفالات تنصيب رونالد ريغان رئيساً للولايات المتحدة في ذلك الوقت .

الرئيس الأمريكي على الفور برفع التقييدات النسبية ، التي كان الكونغرس الأمريكي قد فرضها على نشاطات وكالة المخابرات المركزية الأمريكية في العام ١٩٧٥ ، بعد افتضاح تورطها في الكثير من الأعمال الشنيعة ، وتدخلها المباشر في شؤون البلدان الأخرى ، وبينها تنظيم الانقلاب الدموي الذي أدى الى الاطاحة بحكومة الوحدة الشعبية في تشيلي ، وأودى بحياة الرئيس سلفادور الليندي والالآف من المواطنين التشيليين في أيلول ١٩٧٣ .

وتلفت الرئيس الأميركي الجديد حوله ، واعتبر أن أكثر من يستجيب لرغباته وينخرط في حملته الصليبية ضد « الشيوعية » هم الحلفاء في أوروبا الغربية ، إلا أن الأجواء السياسية في أوروبا كانت قد تغيرت كثيراً في العقود الأخيرة ، فقد ارتبطت البلدان الأوروبية ، الغربية منها والشرقية ، مع بعضها في علاقات مصالح ومنافع متبادلة ، سياسية واقتصادية وثقافية ، وازداد في داخل المجتمعات الأوروبية الغربية ، وبين هيئاتها الحاكمة ، نفوذ وتأثير تلك القوى التي كانت ترى أن أوروبا ستكون أول ضحية إذا ماوقعت المجابهة بين الدولتين الرئيسيتين في العالم . وأن مصلحة أوروبا تكمن في تحقيق الانفراج والوفاق في العلاقات بين دول المعسكرين العالميين ، وتخفيف سباق التسلح ، وضمان السلام العالمي . لكن ذلك لم يمنع ريغان من توجيه جهوده نحو الشركاء في حلف شمالي الأطلسي « الناتو » بشكل خاص .

ووجد ريغان كذلك ، أن من بين القوى الرئيسية التي يمكن أن تقف إلى جانبه الكنيسة الكاثوليكية ، ومركزها الفاتيكان . وشعر زعيم البيت الأبيض بالارتياح لأنه يوجد على رأس الكنيسة الكاثوليكية بابا جاء من ذلك البلد « بولندا » الذي بدا يوم صعود ريغان إلى كرسي الرئاسة ، أنه الحلقة الأضعف في السلسلة الشيوعية . بيد أن الأمور داخل الفاتيكان لم تكن كما أراد الرئيس الأمريكي تماما ، فالتحريم الكنسي لـ« الشيوعية الملحدة » الذي أصدره البابا بيوس الثاني عشر في الأربعينات ، لم يعد ملتزماً به بقوة كما كانت عليه الحال في يوم اصداره ، والنفوذ الهائل الذي كان لوكالة المخابرات المركزية داخل الفاتيكان في تلك الحقبة ضعف كثيراً ، وإن لم ينته .

إن بداية ذلك ترجع إلى مطلع الستينات ، حينما اتخذ البابا يوحنا الثالث والعشرين اجراءات لتحقيق نوع من الحياد والتوازن في سياسة الكنيسة الكاثوليكية ، تمكنها من دخول « البوابة الشرقية » . وكان البابا يرى أنه لكي تبقى الكنيسة أداة فعالة ، فإن الأمر يستدعي إبداء قدر أكبر من المرونة على الصعيدين

الاجتماعي والسياسي محلياً وعالمياً . ولقد دلل الكثير من تصرفات البابا يوحنا الثالث والعشرين على أنه كان جاداً في تعديل سياسة أسلافه التي قضت بالانفتاح على الغرب وحده . فصار أقل اعتماداً على مساعديه من الكرادلة المحافظين الذين كانوا على علاقات وطيدة مع واشنطن ووكالة المخابرات المركزية الأمريكية ، وصار يعمل من دون الرجوع الى موظفيه فمن الواضح أن البابا كان يخشى أن يقدم مونسنيورما على الغدر به فيشل جهوده الدبلوماسية . ولهذا فإنه لم يستخدم الأقنية المعتادة من أجل تحقيق أهدافه . كان هناك فريق من الأنصار المخلصين للبابا يقومون بدور سعاة للحبر الأعظم الذي نادراً ماكان يستعمل الهاتف في اتصالاته مع أي كان خارج الفاتيكان خشية مراقبة الخطوط واستراق السمع[٣٢] . وبعد وفاة البابا يوحنا الثالث والعشرين في العام ١٩٦٣ ، واصل خليفته البابا بولس السادس سياسة الأبواب المفتوحة إزاء الاتحاد السوفياتي وبلدان المنظومة الاشتراكية الأخرى ، فأرسل مبعوثيه إلى هناك ، بما في ذلك موسكو ، واستقبل في الفاتيكان عدداً من قادة ومسؤولي هذه البلدان . « وفي آخر حياته أوضح البابا بولس السادس ، أنه لم يكن ضد تشكيل حكومة ائتلافية من الحزب الشيوعي الايطالي والديمقراطيين المسيحيين »[٣٣] .

وهو خارج الحكم كان رونالد ريغان ، مثل غيره من الأعداء الألداء للشيوعية ، يتابع باهتمام واعجاب الدور الذي يلعبه الفاتيكان ، والبابا يوحنا بولس الثاني في الأحداث البولندية ، لكنه حينما دخل البيت الأبيض وجد أن زعامة الكنيسة الكاثوليكية ، قد فقدت الكثير من زخمها في هذا الشأن بسبب صلابة الطرف الآخر (الشيوعيون البولنديون والاتحاد السوفياتي) ، وإصراره على الخروج من المعركة دون خسائر ، وهو ما اضطر الفاتيكان إلى الركون الى الوسائل الدبلوماسية أكثر من الاعتماد على أساليب التحريض . ولابد أن ذلك أثار في البيت الأبيض الكثير من القلق والغيظ لأن البابا البولندي فضل « الهدنة مع الشيطان الأحمر » وسحب رخص السلاح من مواطنيه .

---

(٣٢) « الشرق » اللبنانية ٢٨ كانون الأول ١٩٨٣ ، نقلاً عن مجلة « ماذر جونس » سان فرنسيسكو .

(٣٣) المصدر السابق .

في كتـاب « عام المعـركة الفاصلة » الذي صدر مؤخراً (آب ١٩٨٤) في لندن[٣٤] ، يخبرنا الكاتبان ، جوردن توماس ، وماكس مورغان أن العلاقة الوثيقة بين الفاتيكان ، والولايات المتحدة ، ووكالة المخابرات المركزية الأمريكية اعتراها فتور مؤقت في عام ١٩٨١ بعد أن أطلق التركي محمد علي أغجا النار على البابا يوحنا بولس الثاني وكاد يقتله . فقد اشتبه بعض المسؤولين في الفاتيكان في أن الـ C.I.A ربما كانت على علم مسبق بمؤامرة الاغتيال . والواقع أن تلك لم تكن المرة الأولى التي تحوم فيهـا الشبهات حول وكالة المخابرات المركزية في أحداث وقعت داخل الفاتيكان . فغداة محاولة اغتيال البابا يوحنا بولس الثاني ، بدأت لأول مرة تتسرب من داخـل الفـاتيكـان باتجاه العواصم الأوروبية ، ومنها إلى العواصم العالمية ، معلومات وصفت يومها بأنها بالغة الخطورة حول أسباب وفاة البابا بولس السادس ، والبـابا يوحنا بولس الأول . وبدأ الناس يصدقون على نحو واسع أن موت البابا الأخير ، خصوصاً ، لم يكن طبيعيا ، ويعتقدون أن « جهة معينة » هي التي خرقت التقليد الفاتيكاني وانتخبت بابا غير ايطالي ، وهو الأمر الذي لم يحدث منذ حوالى خمسة قرون . والهدف من ذلك تحويل البابا من زعيم روحي إلى امبراطور يتقدم الصفـوف لقيادة المـواجهـة ضد القـوى التي يعتـبر أنها تشكـل عنـاصر تهديد للمسيحية ، ويكون باستطاعته مجابهة التيارات العاصفة التي تهدد الحضارة الغربية (النظام الرأسمالي) .

وذلك ما حدث فعلاً ، وأخذ شكله العملي في اختيار رجل دين بولندي رئيساً للكنيسة الكاثوليكية ، ارتباطاً بالأزمة البولندية وعلاقاتها بقضية الصراع بين الغرب الرأسمالي والشرق الاشتراكي . كما أخذ شكله العملي من خلال الرحلات الكثيرة التي قام بها البابا يوحنا بولس الثاني إلى مناطق مختلفة في العالم ، بدت أنها مختارة بعناية . فالتقليد الفاتيكاني كان يقضي ، بأن يظل البابا أسير حالة جغرافية محددة ، أي أن لايغادر روما على الاطلاق ، لأن منصبه هو فوق الزمان والمكان . ولم يشذ البابوات عن هذا التقليد ، إلا في فترة الحروب الصليبية . لكن التقليد مالبث أن عاد إلى سياقه السابق . حتى إذا ماتسلم منصب البابوية بولس السادس في مطلع النصف الثـاني من هذا القرن ، دهش الكاثوليكيون وهم يرون زعيمهم الديني يبتعد بضعة آلاف من الكيلومترات عن الفاتيكان ، بيد أن البابا يوحنا بولس الثاني

---

(٣٤) نشرت صحف يوم ٢٤ آب ١٩٨٤ عرضاً موجزاً له بينها « الوطن » الكويتية و « النداء » اللبنانية .

تمكن من أن يحصل على لقب « البابا الطائر » من صحيفة « نيويورك تايمز » . فقد قطع حتى يوم الاعتداء عليه في ساحة القديس بطرس ، بعد سنتين ونصف السنة من ولايته ، حوالى ١٠٠ ألف كيلو متر في جولاته التي شملت ، بالاضافة إلى القارة الأوروبية أفريقيا وأمريكا اللاتينية وأمريكا الشمالية ، وشرق آسيا ، وصولاً إلى اليابان التي لاتزيد نسبة المسيحيين فيها عن (١) في المائة .

و« المعلومات الخطيرة » التي تناقلتها أوساط وثيقة الاطلاع في العاصمة الايطالية غداة محاولة اغتيال البابا يوحنا بولس الثاني ، أفادت بأن البابا بولس السادس ، والبابا يوحنا بولس الأول ، ماتا في ظروف غير طبيعية . وذهبت تلك المعلومات إلى أبعد من ذلك ، حين أكدت بأن هذين الزعيمين الكاثوليكيين اللذين تعاقبا على المنصب البابوي قبل انتخاب البابا البولندي في أواخر عام ١٩٧٨ ، كانا ضحية عمليتي اغتيال من النوع الذي لايترك أية آثار فيزيولوجية واضحة . و« تبعاً لماتناقلته أوساط روما ، فإن وكالة المخابرات المركزية كانت وراء هاتين العمليتين ، لأن الرجلين رفضا تسييس المركز البابوي والانتقال به من الاطار الروحي إلى الاطار البراغماتي ، بحيث يدخل الفاتيكان طرفاً في استراتيجية تستهدف انقاذ العالم الغربي من أي مد شيوعي ، بعدما أظهرت دراسات وضعها خبراء الوكالة المذكورة أن الولايات المتحدة وبلدان أوروبا الغربية لا تستطيع الصمود طويلاً في وجه عوامل التفكك التي تتنامى في داخلها ، حتى إذا ماتفاقم هذا الوضع ، فإنه لن يكون هناك مجال حتى أمام الشيوعية الهادئة »[٣٥] .

فهل كان البابا البولندي يوحنا بولس الثاني سيذهب في الثالث عشر من أيار ١٩٨١ غدراً لأنه وجد أنه من الصعب عليه ، وعلى كنيسته أن يتحولا إلى فرقة كوماندوز تنزل البر البولندي لحساب البيت الأبيض ؟ . . أم لأنه عزّ عليه أن يرى بلده يحترق بنيران كونية ؟ . . أم هل كان مطلوبا فقط أن ينطلق الرصاص نحو البابا كيما توضع التهمة في عنق السوفيات وحلفائهم ، وتتحقق « نظرية » زعماء البيت الأبيض واختصاصيي معهد جوناثان القائلة بأن : « الارهاب الدولي » صناعة سوفييتية؟ . .

---

(٣٥) جريدة « السياسة » الكويتية ٢٣ تموز ١٩٨١ .

الفصل الثالث

الذئب الرمادي

في الثالث عشر من ايار ١٩٨١ ، دوت بضع رصاصات في ساحة القديس بطرس في الفاتيكان . كان عصر ذلك النهار مشمساً ، وقد احتشد الآلاف من شتى بقاع العالم لرؤية البابا ، والتبرك بملامسته . وكانت سيارته الليمونزين البيضاء بالكاد تستطيع شق الجموع المحتشدة ، حينما تدفقت الدماء على ثيابه الحريرية البيضاء ، وسقط فوق ارضية السيارة .

ورغم تمتع البابا بحراسة شديدة ، إلا أن الطلقات وجدت طريقها الى جسده ، وكادت تودي بحياته لولا ان أسرعت السيارة ناقلة اياه الى مستشفى (جيمللي) شمالي روما حيث حظي بالعناية الشديدة . ومع ذلك ، لم يبرأ من جراحه القاتلة إلا بعد أسابيع ، عاش العالم خلالها مرحلة ترقب وخوف من ان تحقق الرصاصات هدفها .

ورغم الاضطراب الشديد الذي ساد الساحة ، وحالة الذهول التي أصابت المؤمنين ، وهم يرون البابا مضرجاً بدمائه ، إلا أنه سرعان ما تم إلقاء القبض على القاتل وهرعت وكالات الانباء المتعطشة لكل جديد ، لنقل الأنباء المفاجئة المحزنة . وقد جاء في البرقيات الصحفية التي تناقلت النبأ أنه « تم إلقاء القبض على القاتل المشتبه به من قبل أناس كانوا يقفون بالقرب منه حال سماع الطلقات ، وقد تم تسليمه الى رجال الشرطة الذين هرعوا الى المشهد بعد ثوانٍ من الحادث » . كما أضافت تلك البرقيات التي ارسلت في حينه ، ان البحث جارٍ للكشف عن متعاونين محتملين مع القاتل ، ولاسيما أن الشهود العيان أكدوا بأنهم شاهدوا مسلحاً يفر من الساحة بعد محاولة الاغتيال[1] .

لكن وكالات الانباء لم تلبث ان كشفت اسم الجاني الذي كان « محمد علي أغجا » التركي ، ولم يكن اسمه جديداً على الأذهان . وبدأت الصحف والمجلات ودوائر الأمن في كل أنحاء العالم بالتنقيب في أضابيرها القديمة ، فكان أن تسارع الى العلن ملف ضخم لواحد من أخطر إرهابيي العالم . الاسم لم يكن غريبا البتة على المعنيين . ولطالما ملأ صفحات الجرائد ، ولطالما نشرت صورته في صحف بلاده . وفي صحف العالم باعتباره مطلوبا لأكثر من جريمة قتل . أعاد اسم محمد علي أغجا الى الأذهان ذكريات قديمة.فراحت الصحف.انتظارا لانجلاء المزيد من الأنباء ـ تتحدث عن الدوافع التي كمنت وراء اختياره للبابا كضحية جديدة في

---

(١) نص ماجاء في برقيتي (UP. IFP) راجع :
The Anatomy of Slander Campagin , Sofia Press agency . 1983 ,7

استذكار سيرة حياة هذا الارهابي .

فمن هو « محمـد علي أغجـا » ؟ ولمـاذا نفذ تهديده القديم باغتيال قداسة البابا ؟ ومن هي الجهات التي وقفت وراء هذه العملية والعمليات الاخرى التي نفذها في بلاده وفي بلدان أخرى ؟ هذه الأسئلة وغيرها تواردت على السنة المسؤولين وفي الصحف التي لم تجد في اليوم الـذي تلا المحـاولـة كبير عناء في التنقيب عن معلومات حول القاتل ، فهي بكل تأكيد تحتفظ بأرشيف كبير عن شخص ارتبط اسمـه باغتيال رئيس تحرير صحيفـة تركية رصينـة هي صحيفـة « ميليت ».وهو الارهـابي الـذي يحتـل المرتبـة الاولى في قائمـة المطلوبـين للبـوليس الـدولي (الانـتربول) . وقبل ان نمضي بالتعريف بأغجا ، لابأس ان نتوقف قليلا عند الاوصاف التي اعطيت لأغجا في التقارير الصحفية الاولى عن الحادث ، لأن ذلك وكما سنرى سيكون موضع جدل مستقبلي .

وكالة الصحافة الفرنسية اوردت مانصه « أن محمد علي أغجا المشتبه به في محاولة اغتيال البابا هو ارهابي يميني ومعروف جدا في تركيا ، وقد قام سابقا باغتيال مدير ورئيس تحرير صحيفـة « ميليت » المستقلة الصحفي « أبدي ابتشكي » في مطلع شباط ١٩٧٩ . وبعد هربه من السجن العسكري في تشرين الثاني من ذلك العام ، كتب رسالة الى صحيفة « ميليت » يهدد فيها بأنه سيقتل البابا الذي كان يزمع زيارة أنقره في ٢٨ تشرين الثاني ١٩٧٩ . وقد تدبر أغجا في ذلك الوقت امر هربه الى المانيا »[٢] .

والآن نعود الى السؤال: من هو « محمد علي أغجا » ؟

ولـد محمد علي أغجا في ٩ كانون الثاني ١٩٥٨ في قرية « غوزيليوت » في مقاطعة « مالاتيا » التركية التي جاء منها « عصمت اينونو » ثاني رؤساء تركيا والتي تزدان ساحتهـا الرئيسية بتمثال ضخم لهذا الزعيم التركي . ينتمي (أغجا) الى اسرة تركية فقيرة وقد امضى طفولته في قرية « حكمهان » القريبة من مالاتيا حيث تلقى دروسه الابتدائية عام ١٩٦٦ . توفي والده فكان عليه الى جانب دراسته ان يعيل اسرته المكونة من ام واخت تدعى « فاطمة » واخ يدعى « عدنان » . وطبقا لما روته والدته للصحفيين [٣]الذين قابلوها بعد ان حاول ابنها اغتيال البابا ، فقد

---

(٢) وكالة الصحافة الفرنسية (في ١٣ ايار ١٩٨١) المرجع السابق

(٣) انظر : Paul Hentze ,The Plot Kill the pope , Croom helm, 1984,P.27

Iona Andronov - On The Wolf's track - Sofia Press 1983 ,P. ,21

عمـل محمد علي أغجا في طفولته بائعا للماء في محطات القطار ، وعاملا في البناء بالاضافة الى دراسته التي اظهر فيها تفوقا .

وحسب رواية « بول هنتسه » فقد نقل له ان (أغجا) كتب الشعر في سن العاشرة والحادية عشرة ، وفي سن الثالثة عشرة كتب رواية ، وكان محبا للدراسة ، وبالاخص لمادتي التاريخ والادب . ولم يكن يبدي اهتماما بالرياضة ، او الفتيات او التسكع في الشوراع ، كما تذكر الام عنه احترامه الشديد للأسرة ولها بوجه الخصوص

والى الآن فإن الـوصف ينـطبق على اي طفل اعتيادي لم يتعرض لتقلبات الحياة ، ولم يتعرف الى التيارات السياسية ، رغم تأكيد الانباء انه تعرف في صغره على « الذئاب الرمادية » وهي منظمة فاشية كانت نشيطة في مقاطعته ، لكن الحياة الجامعية في انقرة مستقبلا سيكون لها على الارجح الدور الحاسم في صياغة انتمائه الفاشي الذي اتخذ من ذلك الوقت طابع الاحتراف ، ولاسيما ان الجامعة تعتبر الى حد كبير المكان الاساسي الذي يمارس فيه الشباب اول تجاربهم السياسية الناضجة والجدية .

وعـلى العمـوم ، فان زملاءه وأساتذته يذكرون عنه ميله الدائم الى العزلة وحتى الاستعلاء ، والتكبر . وباستثناء اجتهاده الدراسي ، فانه لايذكر انه لفت الانــظار اليه . وحسب ماتضيفـه المقـابـلات ، فقـد انتسب الى قسم التـاريخ والجغرافية في جامعة انقرة عام ١٩٧٦ ، وقد تقدم ايضا في امتحان للانتساب الى كلية الاقتصاد في جامعة اسطنبول ، غير ان مراجعة سجلات الدوام في الجامعة ، اثبتت انه لم يواظب على المحاضرات .

هذه الحياة التي قدمت لنا باعتبارها هادئة ستتمخض عن عواصف قادمة ، ولا بد من وجود اسباب تعود الى هذه المرحلة من حياته ، كي يتم الحكم على افعاله لاحقاً .

ان شباب العالم الثالث سريعو التقلب سياسيا ، ولاسيما في المرحلة التي تلي تخرجهم من الجامعة ، الا ان للحياة السياسية في تركيا تقاليد ربما كانت اكبر من مثيلاتها في بلدان اخرى من الدول النامية . فالصراع السياسي في تركيا حاد جداً ، ويدفع الشباب الى تكوين قناعات مبكرة . ويصل الدفاع عن هذه القناعات حد ارتكاب المذابح . فقد كانت تركيا في الاعوام الاخيرة على رأس قائمة البلدان التي مورست فيهـا أكثـر عمليات الاغتيال ، والاغتيال المتبادل . وبالطبع فقد كانت عمليات الاغتيال السياسي التي قامت بها احزاب اليمين هي الطاغية ، لما يلقاه

الكثير من هذه الاحزاب من دعم السلطة ، وما تستفيد به من وجودها العلني . ان تنافس الاحزاب على استقطاب المؤيدين والمناصرين لا حد له ، ويجري تجنيد الشباب منذ مراحل مبكرة ، لذا فإن من الصعب القبول بهذا الخواء السياسي الذي صورت به اجهزة إعلام الغرب حياة (أغجا) المدرسية ، اذ يصعب التصديق ان شابا بهذه المواصفات يتمخض في النهاية عن اخطر قاتل ، وعلى العموم بقي أغجا في الظل الى ان القي القبض عليه في ٢٥ حزيران ١٩٧٩ بتهمة اغتيال « ابتشكي » رئيس تحرير صحيفة « ميليت » التركية . ولكن ماالذي حدث قبل هذا التاريخ ؟ .

مساء الاول من شباط ١٩٧٩ ، كان الصحفي التركي البارز « ابدي ابتشكي » مدير ورئيس تحرير صحيفة « ميليت » الليبرالية المستقلة عائدا الى منزله لاصطحاب زوجته الى حفل عشاء بعد يوم مضنٍ امضاه مابين انقرة واسطنبول . وفي حديث لزوجته السيدة « سيبل ابتشكي » ، تقول واصفة ماجرى في ذلك اليوم :

« كان زوجي يوم الاول من شباط ١٩٧٩ في انقرة ، ولم يكن في نيته العودة الى البيت فقد حصل يومها على إذن بمقابلة رئيس الوزراء . كما التقى عدداً من الوزراء ومن معارفه ، وبعد ان اتم عمله عاد في ظهيرة ذلك اليوم الى اسطنبول بالطائرة دون ان يخبر احدا . وذهب من مطار اسطنبول مباشرة الى مكاتب جريدة « ميليت » ، وغادر منها الى البيت في ساعة متأخرة على غير عادته . وكان ذلك في حوالى التاسعة مساء »[٤].

في تلك الايام ، كانت تركيا تعيش في شبه فوضى[٥] نتيجة اعمال الاغتيال

←

(٤) انظر : On The Wolf's track op.Cit P .27

(٥) في سياق الحديث عن الاضطرابات السياسية وحوادث الاغتيال يحسن العودة بشيء من الايجاز الى تاريخ تركيا السياسي المعاصر ، فلربما ساعد ذلك في تفسير الخلفية التي تقف وراء الارهاب الذي تعاني منه تركيا . عندما تذكر تركيا الحديثة يذكر « كمال اتاتورك » . فالغالبية العظمى من المؤرخين يعتبرونه الاب الروحي للأتراك . وقد استطاع خلال سني حكمه الممتدة من ١٩٢٣ حتى ١٩٣٨ ان يوحد الشعب التركي حوله تحت شعار إحياء الامة التركية ، ووضعها بموازاة الدول الاوروبية .

دخلت تركيا عام ١٩٤٧ بموجب مبدأ « ترومان » في نطاق النفوذ الاميركي وعام ١٩٥٢ اصبحت عضوا في حلف شمال الاطلسي . وخاضت تركيا عام ١٩٥٠ انتخابات برلمانية اطاحت بحكم حزب الشعب الجمهوري الذي اسسه أتاتورك ، والذي كان يتزعمه آنذاك « عصمت

التي تقوم بها المنظمات اليمينية المتطرفة ولاسيما « الذئاب الرمادية » التابعة لحزب

→

(٥) . . . « إينونو » ثاني رؤساء تركيا الحديثة . وقد فاز في تلك الانتخابات عدنان مندريس زعيم الحزب الديمقراطي الحديث النشأة .

في أيار من عام ١٩٦٠ قام العسكر لأول مرة ، بانقلاب اطاحوا فيه بحكومة مندريس ، ونصبوا انفسهم حماة لأفكار اتاتورك ، ووضع الجنرال « جمال غورسيل » قائد الجيش وقائد الانقلاب بانقلابه ذاك ، احد الأسس الكبيرة لعدم الاستقرار السياسي الذي سيغدو طابعا تركيا .

وقد قام العسكر فور تسلمهم السلطة بحل الحزب الديمقراطي ، واعتقلوا زعيمه ، ولم يلبثوا ان اعدموه عام ١٩٦١ بحجة خيانته لتقاليد اتاتورك . وقد كلف العسكر عددا من المختصين بصياغة دستور جديد للبلاد ، يقوم على مبدأ الحصص في الانتخابات ، واقر الدستور مبدأ اقامة مجلسين احدهما للأعيان وآخر للنواب .

وكان من النتائج الاولى لذلك الدستور ان أياً من الاحزاب لم يحصل على اغلبية تمكنه من قيادة البلاد ، مما ألجأ العسكر في ١٢ آذار ١٩٧١ الى اقصاء حكومة « ديميريل » عن السلطة ، والى فرض الاحكام العرفية على البلاد . وفي تشرين الاول من عام ١٩٧٣ سمح العسكر باجراء انتخابات ، فحصل بولنت ايجيفيت زعيم « حزب الشعب الجمهوري » على ثلث اصوات الناخبين الاتراك ، مكنته وبصعوبة كبيرة من تشكيل حكومة جديدة في شباط ١٩٧٤ ، بالتحالف مع حزب آخر هو « حزب الخلاص الوطني » بزعامة « نجم الدين أرباكان ».

لم يمض على حكومة ايجيفيت تلك ، بعض من الوقت حتى نشبت الازمة القبرصية . وسرعان ماأدت هذه الازمة الى الاطاحة بحكومة ايجيفيت . فعاد « سليمان ديميريل » الى السلطة من خلال حكومة ائتلاف ضمت « حزب الحركة القومية » الذي يتزعمه البارسلان توركيش ، والذي تعتبر منظمة « الذئاب الرمادية » الفاشية ذراعه الضاربة .

في عام ١٩٧٧ جرت انتخابات جديدة في تركيا خرجت بموجبها حكومة ديميريل الائتلافية من السلطة ، وحصل ايجيفيت على نسبة اصوات اعلى من الاحزاب الاخرى ، الا انه لم يستطع تشكيل الحكومة ، فشكلها « ديميريل » بالاستناد الى حزب « ارباكان » و « توركيش » ، ولكن هذه الحكومة سقطت في نهاية ذلك العام اي ١٩٧٧ ، فقام ايجيفيت بتشكيل حكومة تركية بحلول الاسبوع الاول من عام ١٩٧٨ . في آب من ذلك العام رفعت ادارة كارتر الحظر الذي كان مفروضا على بيع الاسلحة الى تركيا ، بسبب غزوها لأراضي قبرص عام ١٩٧٤ ، وكان السبب الذي قيل في تبرير ذلك هو مواجهة احتمالات تطور الاوضاع في ايران .

في ذلك الوقت كان حزب « الحركة القومية » الفاشية التي يتزعمها « توركيش » الذي شارك في اكثر من وزارة سابقة ، قد حاز على نفوذ كبير داخل اوساط الحكومة وفي الوسط التركي ، وراح من اجل تسهيل عودته الى السلطة يدير عمليات اغتيال وتخريب كان المقصود منها خلخلة التحالف الهش الذي تقوم عليه حكومة ايجيفيت . في هذا المناخ تمت عملية اغتيال « ابدي ابتشكي » رئيس تحرير صحيفة « ميليت » التي كانت وغيرها من اعمال التخريب ، تمهد لعودة العسكر الى السلطة في ١٢ ايلول ١٩٨٠ بقيادة الجنرال « كنعان ايفرين ».

الحركة القومية الفاشي ضد الشيوعيين واليساريين عموماً ، تلك الفوضى التي مهدت لعودة العسكر في ١٢ ايلول ١٩٨٠ ، وفرض الاحكام العرفية في تركيا .
الذي حدث في الليلة الاولى من شباط ، ان طلقات (أغجا) كانت بانتظار الصحفي التركي ، فما إن استدار « ابتشكي » بسيارته من شارع « نيسانتاني » في اسطنبول ، متجها الى شارع « كاراكول » الذي يقطن فيه ، حتى انطلقت تحت ستار من العتمة الثقيلة لليلة باردة ، بضع طلقات اخترقت نوافذ السيارة واستقرت في صدر « ابتشكي » فقتلته على الفور .

اختفى القاتل تحت جنح الظلام ، واختفى معه معاونوه . ولم يتمكن البوليس التركي من القبض عليه ، الا بعد حوالى خمسة اشهر ، ولم يكن قاتل « ابتشكي » الا « محمد علي أغجا »، الذي سيغدو منذ ذلك التاريخ حديث الصحافة من حين لآخر ، ومثار اهتمام وتعقب دوائر الامن في العالم .

لم تكن تلك هي المرة الاولى التي يتعرض بها هذا الصحفي البارز الى المضايقات . فقد سبق للارهابيين ان مارسوا ضده اكثر من عملية مضايقة وتتذكر زوجته قائلة :[٦]

« قبل اسبوعين من اغتياله ، قام الاشرار سراً بالعبث بمحرك سيارة زوجي وتخريبه . وفي ذلك الوقت كان الارهابيون يتصرفون على هذه الشاكلة قبل ان يقوموا بزرع قنبلة داخل سيارة احد الناس . بعد الاعتداء الاول حدث اعتداء آخر ، فذات يوم صاح احدهم على زوجي واوقف سيارته ووضع فوهة مسدسه على صدر زوجي ، انما دون ان يطلق النار . . . في تلك الليلة سرق هؤلاء (الزعران) من مكتب زوجي في صحيفة « ميليت » دفتر ملاحظاته ومعه أوراقه الصحفية»[٧] .
وتضيف « سيبل » قائلة : « ان أولئك الذين خططوا لقتل ابتشكي قد قرروا دفن مخطوطاته معه ، تلك المخطوطات التي قد تكون فيها معلومات هامة عن اعدائه »[٨] .

لقد كانت اوضاع تركيا عصيبة في تلك الايام من عهد حكومة « بولند اجيفيت » . ويقول « سهير ايرمان » استاذ القانون في جامعة اسطنبول ومحامي عائلة ابتشكي :[٩]

(٦) انظر : On the wolf's track op- cit P.28

(٧) On the wolf's Track P.28

(٨) Ibid P.29

(٩) Ibid. 26

كانت ايام عصيبة من الفوضى العامة . وانعدام النظام والتطرف الدموي . كانت « الذئاب الرمادية » تغتال كل من تعتقد انه شيوعي ، وكانت تنظيمات اليسار المتطرف مسلحة ايضا ، لكن القسم الكبير من طبقات الشعب عزل نفسه سياسيا . فليقاتل اليمينيون اليساريين وليحطموا جماجم من يشاؤون الا جماجمنا . هكذا كان الشعور العام . في تلك الليلة الباردة من شباط افلح (أغجا) في الهرب والاختفاء ولكن ألقي القبض عليه في ٢٥ حزيران من ذلك العام ، اي بعد حوالى خمسة اشهر على ارتكابه جريمته . لقد القي القبض عليه في مقهى « مرمرة » اثر وشاية من شخص اغتيل فيما بعد . فور اعتقال (أغجا) اعترف بارتكاب جريمته ، وقال في تعليلها إنه قتل « ابتشكي » من اجل الارهاب . وإنه اختاره من دون الآخرين لأنه كان صيدا سهلا ، ولأنه لايسير بحماية البوليس .

لقد احدثت جريمة اغتيال الصحفي التركي « ابتشكي » ضجة واسعة في ارجاء تركيا . وبسبب من بشاعة الجريمة ، فقد سارعت جميع الاحزاب التركية الى استنكارها بما في ذلك الاحزاب اليمينية المتطرفة ، واعلن الجميع ادانتهم لهذا العمل . وبدا للوهلة الاولى كما لو أن « أغجا » قاتل يمارس عمله بمفرده ، ولأهواء خاصة به . لكننا سنكتشف لدى هربه من سجنه الرهيب ، ان من المستحيل على رجل بمفرده ان ينظم عملية هروب بهذا المستوى من التنظيم ، ليس ذلك فحسب ، بل إن عملية الاغتيال نفسها تؤكد ان من المستحيل على إنسان بمفرده ان يقوم بهذا العمل . فقد ذهب « ابتشكي » في الصباح الى انقرة ، وكان ينوي كما قالت زوجته ، ان يظل هناك ، ولكنه يقرر ظهرا ان يعود الى اسطنبول بالطائرة ، يمضي وقتا في صحيفته ثم يعود مساء ، ليجد القاتل ينتظره عند المنعطف المؤدي الى بيته ، بكل هدوء اعصاب وكأنما يعرف انه في هذه الدقيقة سينعطف من الشارع الرئيسي .

وبهذا تشير « سيبل ابتشكي » وبشكل دقيق « ان « أغجا » لم يكن بمقدوره ادراك زوجي قرب البيت والقيام بما قام به ، وان ينتظره ببرود دم . هل طار معه من انقرة الى اسطنبول ، وتبعه في المطار وفي مكتب الصحيفة ؟ إن من المؤكد ان هناك عصابة من المخططين راقبت ابتشكي طوال الوقت »[١٠]

اذن لابد ان مجموعة منظمة ، قد راقبت حركة هذا الصحفي ، الديناميكي ، وكانت تبلغ القاتل تباعا بالاماكن الواجب التواجد فيها ، والاعمال

---

(١٠) On the wolf's track, Op.cit.P.28

الواجب القيام بها من اجل إنجاح جريمته . فمن هي تلك الجماعة التي وقفت وراءه ، وأمرته باغتيال ابتشكي وزودته بالانباء اولاً بأول عن تحركات فريسته ؟ ثم من هو « ابتشكي » ولماذا اختير للقتل دون سواه ومن المستفيد في تركيا بقتله .

رغم إنكار جميع المنظمات والاحزاب السياسية التركية ـ على اختلاف انتماءاتها ـ ان يكون لها علاقة بحادث اغتيال « ابتشكي » ، الا ان الانظار اتجهت الى منظمة « الذئاب الرمادية » ، وهي الذراع العسكري لـ(الحركة القومية) الفاشية ، وقد انكر زعيم هذه الحركة اي صلة لحركته بهذا العمل . ومن المهم هنا إلقاء بعض الاضواء على فكر هذه الحركة ونشاطها .

انشيء حزب « الحركة القومية » التركية من قبل عقيد تركي متقاعد هو « البارسلان توركيش » وهو حزب فاشي الطراز والمبادىء وهو لاينكر ذلك . فقد تعاون زعيمه في سنوات الحرب العالمية الثانية مع الالمان الفاشست ، وراح فيها بعد يزرع بذور الفكر والممارسة الفاشية في بلاده تركيا . كما قام بتشكيل كتائب صاعقة على غرار تلك التي شكلها الفاشست الالمان ، وسمى كتائبه « الذئاب الرمادية » ، وكان يمهد من خلالها لاستلام السلطة في تركيا . وقد اتخذ لحزبه شعار (ذئب يعوي فوق صخرة) .

يعتمد هذا الحزب في تمويله بالدرجة الرئيسية على الضرائب التي يفرضها عنوة على العمال الاتراك في المانيا الاتحادية ، كما انه يتمتع بثقل كبير في ذلك البلد . بالاضافة الى عمليات تهريب الاسلحة ، والمخدرات التي تمارسها شبكات مافيا تابعة لهذا الحزب ، حيث تمتلك عناصر « الذئاب الرمادية » في اوروبا الغربية ، وبشكل خاص في المانيا الاتحادية زمام التهريب . لقد مارس هذا الحزب ابشع المذابح ضد اليساريين في تركيا . وقد استهدفت مذابحه المئات من الطلبة والمثقفين والعمال والنقابيين والاساتذة والسياسيين ممن عرفوا بميولهم اليسارية .

كما ان لهذا الحزب ، كما سيأتي ذكره مفصلا ، علاقة وطيدة بالمخابرات المركزية الامريكية التي توجه نشاطاته خارج تركيا وداخلها ايضاً . وقد تعرض الحزب مؤخراً وبعد الانقلاب العسكري عام ١٩٨٠ إلى ضربة كبيرة ، إذ قامت السلطات التركية باعتقال زعيم الحزب ومئات آخرين من أعضائه . وقدمتهم إلى المحاكمة بتهمة محاولة قلب نظام الحكم وإنشاء ديكتاتورية فاشية في تركيا . لقد أثرت الضربة التي تلقاها على نشاطه في تركيا ، إلا أن نشاطه ظل كما هو في المانيا الاتحادية ، حيث يتمتع بنفوذ واسع في أوساط المهاجرين الأتراك . ويكاد يكون نشاطه هناك شبه علني ، إذ أن له مكاتبه ونشاطه الارهابي ، ودوره في محاربة

اليساريين من العمال الاتراك من خلال بثه للدعاية الفاشية ، ومن خلال تعامله المباشر مع اجهزة الامن الالمانية .

لقد قال زعيم هذا الحزب في احدى زياراته الى المانيا الاتحادية معللاً الضرائب الكبيرة التي يفرضها الحزب على المهاجرين من العمال الاتراك : « كل مارك يكسبه الحزب هنا هو طلقة ضد الشيوعية » . هذا القول يفسر بشكل لايدع مجالا للشك تساهل السلطات الالمانية الاتحادية وتغاضيها عن نشاط الحزب . إن اجهزة الامن الالمانية التي تلاحق اليساريين من العمال الاتراك ، وتحارب اي نشاط لهم في صفوف الطبقة العاملة التركية الكبيرة العدد هناك ، تجد دون شك « الذئاب الرمادية » حليفا موثوقا .

والآن لماذا اغتيل « ابدي ابتشكي » ؟ . . .

لقد اختلفت التقييمات بصدد دوافع اغتيال هذا الصحفي البارز . واذا كان لابد من سبب فإنه بلاشك مهنته الخطيرة : الصحافة القادرة على صنع كل شيء ، القادرة على الكشف عن الحقائق وإخفائها . لم يكن « ابتشكي » صحفيا يساريا ، بل من المستقلين السياسيين الديمقراطيين . كان يميل الى حكومة « ايجيفيت » ، وكان يتمتع بثقة وصداقة كبار السياسيين الاتراك ، بالاضافة الى ثقة السلك الدبلوماسي ، واوساط الصحافة العالمية .

لقد كان « ابتشكي » يدير صحيفة تعتبر من ارقى الجرائد التركية . فهي بالاضافة الى امتلاكها لخيرة الصحفيين الاتراك كانت جريئة في مواقفها السياسية ، وفي فضحها للعيوب ، والمشاكل والجرائم ، وشبكات التهريب . كان ابتشكي يكن ميولا واضحة تجاه الولايات المتحدة الامريكية ، وكان احد المخلصين لعلاقات اوثق بين تركيا ودول حلف الاطلسي . ولكن مما هو ثابت واكيد ان صحفيا كابتشكي كان بطبيعته الليبرالية معاديا للعنف والفاشية وفاضحا للفساد . وكان دائب التحذير من عدم اتباع الحكمة ، فيما يتعلق بحل مشاكل تركيا الاقتصادية المستعصية ، لأن الخطط اللامسؤولة تقود لا محالة الى الهاوية ، والى اعطاء فرصة ذهبية للعسكر كي يستولوا على السلطة . وهذا ماحدث فعلاً ، ولكن بعد ان كان « ابتشكي » قد فارق الحياة .

ومن الارجح ان عيني « ابتشكي » اغمضتا الى الابد بسبب من ليبراليته التي لا تعجب الفاشيين ممن هم على شاكلة « توركيش » . لقد حلم قتلته باحداث مزيد من الفوضى السياسية في البلاد ، كي يتيحوا للعسكريين فرصة اقتناص المبادرة بحجة وضع حد للارهاب ، ومن اجل إعادة النظام والامن في تركيا . لقد قيل

الكثير في دوافع الاغتيال ، ولاسيما خلاف « ابتشكي » مع الناشرين حول خطة لبيع الصحيفة لمجموعة تحقيقات كانت ستنشرها عن شبكات تهريب السلاح والمخدرات في تركيا . ويسوق الصحفي السوفياتي « ايونا اندرونوف » ادلة واضحة ومقنعة في كتابه « على خطى الذئب » حول علاقة « بول هنتسه » الذي عمل ضابط استخبارات في السفارة الامريكية في تركيا بمقتل الصحفي التركي . فقد عثر الصحفي السوفياتي في مفكرة الصحفي على ملاحظة تقول : الساعة ١٦,٣٠ بول هنتسه .

ويدعي « هنتسه » انه التقى « ابتشكي » مرتين فقط ، الاولى في واشنطن في حزيران من عام ١٩٧٨ عندما حضر الاخير الى واشنطن لتغطية نتائج مناقشة الكونغرس الامريكي لمسألة رفع الحظر عن تصدير السلاح الى تركيا . والثانية في كانون الثاني ١٩٧٩ عندما ذهب « هنتسه » الى تركيا كعضو في اللجنة التي أنشأتها الادارة الامريكية برئاسة « وارن كريستوفر » نائب وزير الخارجية الامريكي للتباحث مع حكومة « ايجيفيت » حول سبل ازالة الخطر . ويتابع « هنتسه » انه التقى « ابتشكي » ظهر ١٣ كانون الثاني ١٩٧٩ . في جريدة « ميليت » وقبل عودته الى واشنطن بوقت قصير[١١] . ولم يعرف ماالذي دار في ذلك اللقاء بين « ابتشكي » و « هنتسه » . كل ماهو معروف ان « ابتشكي » قتل بعد ذلك بحوالى اسبوعين . وبعد ذلك في عام ١٩٨٠ لم يخف الامريكيون ومنهم « هنتسه » اغتباطهم بتسلم العسكريين للسلطة ، ذلك الحدث الذي كان « ابتشكي » دائب التحذير منه . وعلى العموم فأياً كانت الاسباب الحقيقية ، فإن السبب الاكثر يبقى اشاعة المزيد من الفوضى في البلاد . عندما اعتقل « أغجا » في ٢٥ حزيران ١٩٧٩ بتهمة اغتيال ابتشكي سارع فوراً الى الاعتراف بجريمته ، لكنه ادعى قائلا : « إنني ضد النظام الحالي ، وقد قتلت ابتشكي لأنه مع النظام ، ليس لي أية ارتباطات بأية منظمة . لقد قتلته من أجل الارهاب » .

بدأت محاكمة « أغجا » في ١١ تشرين الاول من ذلك العام ، وقد وضع في البدء في سجن « سيليمي » . . في اوسكودار ، ثم نقل الى السجن العسكري « كارتال مالتيب » الذي يعتبر من اكثر سجون العالم تحصينا . وبعد ايام على اعترافه بجريمته عاد « أغجا » وفي ٢٤ من الشهر نفسه الى التراجع عن اعترافاته ، وادعى انه لم يقتل « ابتشكي » لكنه يعرف القاتل . وجرت المحاولات في ذلك

---

(١١) Paul Hentze - The plot to kill the pope Op. cit P.141

الحين لمعرفة الذين تعاونوا مع « أغجا » في عمليته . وقد تم اعتقال « يافوز سايلان » السائق الذي قاد « أغجا » في تنفيذ مهمته ، وحكم عليه فيما بعد بالسجن ثلاث سنوات ، بعد ان ادعى انه لم يكن يعلم بنوايا « أغجا » لاغتيال « ابتشكي » . وقد ارتبطت اسماء اخرى بعملية الاغتيال هذه ، باعتبارها شريكة « أغجا » ، منها « محمد سنير» الذي استطاع الهرب من تركيا ، وهو معتقل الآن في سويسرا . و« عمر آي » الذي اعتقل في المانيا ثم اعيد تسليمه الى تركيا مع نهاية عام ١٩٨٢ . اما اهم الاسماء التي ارتبط اسمها بهذه الحادثة الى جانب « أغجا » الذي كان المنفذ فهو « اورال سيليك » الذي يقال بأنه كان الرجل الذي يخطط لأعمال « أغجا » في تركيا . وطبقا لما كتبه الكاتب ورجل القانون التركي « اوغور مومكو» تحت عنوان « ملف أغجا » فإن سيليك هذا احد زعماء « الذئاب الرمادية » ، وهو العقل المدبر وراء اغتيال « ابتشكي » ، وهو يميني متطرف ساهم باغتيال احد المدرسين في مالاتيا ، وتعزى له عملية الهروب التي نظمت لاحقا من سجن « كارتال مالتيب » .

ومنذ المحاكمة التي اجريت في ذلك الحين تبين ان « أغجا » شخص مراوغ ، يستطيع ان يخفي نفسه ، كما يستطيع ان يتحلل في أية لحظة من اقوال قالها قبل ايام . لقد اختفى فور تنفيذ الجريمة ، وهذا وحده كفيل بإلصاق التهمة به ، ثم سارع عند اعتقاله الى الاعتراف بتنفيذه لها ، ثم عاد بعد ذلك بأيام الى إنكار ذلك ، وتأكيد انه يعرف من نفذها ، الى ماهنالك من اعتراف وسحب الاعتراف ، وهذا ماسيغدو مستقبلا واثناء محاكمته بتهمة اغتيال البابا ، طابع تصرفاته التي سيستفيد منها المحققون ورجال الامن واجهزة الاعلام في حياكة قصتهم حول ماأسموه « علاقة البلغار » .

في الخامس من تشرين الثاني قام « أغجا » بمحاولة فاشلة للهرب ، ويبدو انها كانت تمرينا لعملية الهرب الحقيقية التي تمت في الرابع والعشرين من ذلك الشهر . لقد قامت المنظمة الارهابية « الذئاب الرمادية » التي تقف وراءه برشوة عدد من الحراس ، وتمكن « أغجا » من مغادرة السجن ، بعد ان ارتدى ملابس عسكرية مكنته من المرور بأبواب السجن الى حيث كانت احدى السيارات بانتظاره .

ومرة اخرى يأتي حادث الهرب هذا ليؤكد بأن « أغجا » لم يكن ارهابيا يعمل لحسابه الخاص . ان الهروب من سجن كهذا امر لايستطيع شخص بمفرده تحقيقه . ولابد من إطار اكبر من ذلك بكثير . لقد تم إثر تلك العملية اعتقال عدد

من الجنود والضباط الاتراك العاملين في السجن للتحقيق معهم . وحكم من جراء ذلك على عريف يدعى « بنيامين يلماز » بالسجن ١٥ عاما لقبضه رشوة من اجل تسهيل الهرب لأغجا .

في اليوم الثالث لهربه في ٢٦ تشرين الثاني ١٩٧٩ ، رفع سماعة الهاتف من مخبئه وتحدث مع صحيفة « ميليت » قائلا : إن المتحدث هو محمد علي أغجا وإنه ارسل لهم للتو رسالة يجدونها في صندوق البريد المجاور للصيدلية المواجهة لمكاتب الصحيفة .

هرع العاملون في الصحيفة الى المكان المذكور ، ووجدوا الرسالة التي كتبها قاتل رئيس تحرير جريدتهم السابق . فما الذي كانت تحتويه الرسالة ؟ . لقد احتوت الرسالة* تهديداً بقتل قداسة البابا الذي كان يزمع القيام بزيارة قريبة الى تركيا . وادعى بأنه هرب من السجن من اجل هذه الغاية . ولقد نظر في تركيا الى تهديده بشكل جدي ، واتخذت اجراءات امن مشددة لحماية البابا الذي زار تركيا بسلام . لم يتمكن « أغجا » حينذاك من تنفيذ تهديده ، وظل ينتظر الى ان حانت الفرصة في ١٣ أيار ١٩٨١ ، في ساحة القديس بطرس في الفاتيكان .

ولم تستطع السلطات التركية التي استنفرت كل اجهزتها الامنية الامساك به ، فنجح في إخفاء آثاره اينما حل . واستطاع اخيرا الفرار من تركيا ، فأجرت الحكومة التركية الاتصالات مع دوائر الامن المختصة في بلدان الناتو ، ودوائر الانتربول العالمية من اجل العثور عليه . ووزعت من اجل ذلك صورته وأوصافه على الاماكن التي يحتمل ان يرتادها . ولما يئست الحكومة التركية من الامساك به ، استأنفت محاكمته في تركيا ، وحكم بالاعدام غيابياً في ٢٨ نيسان ١٩٨٠ ، وصدقت المحكمة على هذا الحكم في ٢٨ آب من العام نفسه .

تمكن « أغجا » بعد ذلك من الاختفاء والانتقال من بلد أوروبي الى آخر

* نص الرسالة : « لقد سارع الامبرياليون الغربيون في هذا الوقت الحساس الذي يخشون ان تقوم فيه تركيا ، ومعها الدول الاسلامية الشقيقة ، بتشكيل قوة سياسية وعسكرية واقتصادية جديدة في الشرق الاوسط الى ارسال قائد الصليبيين الى تركيا تحت قناع ديني . واذا لم تلغ هذه الزيارة السيئة التوقيت والتي لاجدوى منها ، فإنني سأقوم بكل تأكيد باغتيال البابا . هذا هو السبب الوحيد الذي من اجله هربت من السجن . بالاضافة الى هذا ، فإن من الضروري ايضا ان تثار علاقة الامريكيين والاسرائيليين بقمع انتفاضة مكة . واخيرا الرجاء عدم تضخيم عملية هروبي السلمية الهادئة » .

كما ورد في : Paul Hentze , The plot to Kill the Pope. Op. cit.P.5

مستخدما وثائق سفر مزورة ، الى ان ظهر اخيرا في ساحة القديس بطرس في ١٣ ايار ١٩٨١ . فأين امضى الفترة التي تلت هربه ؟ وكيف استطاع اجتياز حدود عدد من الدول وهو المعروف والمطلوب من الانتربول الدولي ؟ . . بعد الرسالة التحذيرية التي ارسلها الى صحيفة « ميليت » تمكن « أغجا » من اجتياز الحدود التركية باتجاه اوروبا الغربية ، ولم يتضح الى الآن كيف شق طريقه وما هي المحطات التي توقف فيها قبل ان يحط عصا الارهاب في الفاتيكان .

مرة اخرى يمكن العودة الى « الذئاب الرمادية » التي كان باستطاعتها ، بمالديها من نفوذ ولاسيما في دوائر امن الحدود ، القيام بهذه المهمة التي تبدو مستحيلة على شخص بمفرده . لقد قلنا في اكثر من مكان ان هذه المنظمة الفاشية ، تقوم بإدارة العديد من شبكات تهريب الاسلحة والمخدرات داخل تركيا وخارجها . وشبكات التهريب تتمتع في العادة بعلاقات طيبة مع رجال الجمارك المتربصين على الحدود ، فليس صعبا والحالة هذه تأمين هروب شخص ما ، مقابل حفنة من الدولارات .

هذا هو التفسير الوحيد الذي يبدو معقولاً . بلاد تعيش فوضى سياسية وامنية ، تنظيم يعمل بحرية كبيرة ، ويحتفظ بعلاقات حتى مع مستويات عليا في اجهزة الدولة ، يضاف الى ذلك عراقة التقاليد الارهابية التركية ، والخبرات التي تراكمت لدى التنظيمات المتطرفة ، كل ذلك جعل هرب « أغجا » من بلده امرا في غاية السهولة .

لقد ركز الاعلام الغربي على هذه الفترة الغامضة من حياة « أغجا » ، وسيعود كما سنرى في فصل لاحق ، الى استغلال هرب « أغجا » من بلده من اجل صياغة قصص هي اقرب الى اساطير الف ليلة وليلة حول مروره المزعوم في بلغاريا . وكل ذلك من اجل استغلال القضية في الحرب السياسية مابين المعسكرين ، وسيتضح لنا انه قد يكون مر ببلغاريا في خروجه لكن الخلاف هو حول مايزعم الاعلام الغربي ان معقله هناك .

ان اضطراب الروايات حول سفر « أغجا » والأماكن التي تواجد فيها مابين هربه ، وبين اللحظة التي حاول فيها اغتيال قداسة البابا ، وعدم وجود ادلة قاطعة يمكن الركون اليها ، كانت احد الجوانب التي تستخدم لاحقا في إلصاق التهمة بالبلغار « ومن ورائهم الاتحاد السوفياتي » .

ها هنا مجال واسع للتخيل ، وقد ساعدت شخصية « أغجا » التي لايركن الى الاقوال التي تقولها ، ثم تكشفه مستقبلا عن شخص يمكن تلقينه معلومات

جاهزة كي يقولها ، كل ذلك ساعد على ان تشتد المعركة حول دوافع الجريمة ، ومن يقف خلفها ، وهي معركة لعبت الولايات المتحدة بأجهزتها المختلفة ، الاعلامية والامنية دورا بارزا فيها .

في تشرين الثاني ١٩٨٠ كتبت الصحيفة التركية « توركي انيفورميشين » الصادرة في المانيا الاتحادية تحقيقا قالت فيه : إن الارهابي « أغجا » موجود الآن في المانيا الاتحادية ، وقامت الصحف التركية الصادرة هناك بنشر صورته على صدر صفحاتها . كما طلبت منظمة اتحاد العمال في المانيا الاتحادية من وزير الداخلية الالماني إصدار مذكرة بإيقاف هذا الارهابي .

لقد تلقت السلطات التركية في انقرة من عملائها في المانيا الاتحادية تقارير ، تثبت وجود « أغجا » في اكثرمن مكان هناك . وقد ارسلت السفارة التركية في بون رسائل الى وزارة الخارجية تطلب فيها التحقيق في هذه التقارير . وحسب الانباء ، فإن اول تنبيه تركي كان في ١٣ تشرين الأول ١٩٨٠ ، ويفيد بأنه شوهد في فرانكفورت ، والثاني في ٩ تشرين الثاني ١٩٨٠ ، ويقول بأنه شوهد في برلين الغربية . لكن سلطات الامن الالمانية ، على مايبدو لم تول هذه التقارير أية أهمية امنية لأسباب لم تتضح حتى الآن وتبقى مجال تكهنات . فمن المؤكد ان « أغجا » عاش في المانيا الاتحادية في كنف المنظمة الارهابية التي ينتمي اليها ، والتي تتمتع هناك بنفوذ هائل ، ولا يمكن الركون هنا الى التفسير الذي قدمته دوائر الغرب ، وهو ان البيروقراطية والبطء اللذين يتمتع بهما الالمان كشعب ، مسؤولان عن عدم التدقيق في طلبات دولة تعتبر حليفة لالمانيا الاتحادية .

فالمعروف ان هناك تنسيقاً من نوع خاص وعال بين دول حلف شمال الاطلسي ، ولا سيما فيما يتعلق بالقضايا الامنية . وما كان بامكان هذه القضية ان تمر في اية ظروف اعتيادية ، فكيف اذا تعلق الامر بإرهابي ، دلت جميع المؤشرات على وجوده في المدن الالمانية الاتحادية ؟ . ويبدو ان التفسير الارجح ان هذا « الذئب الرمادي » ، كان يجهز للقيام بمهام جديدة ، ويخضع لاستشارات تتعلق بالآفاق الممكن استخدام مهارته فيها .

وسنعود لالقاء مزيد من الاضواء على الفترة التي قضاها « أغجا » في المانيا الاتحادية عبر تتبع الخط الزمني لحياته . وبالذات الفترة التي قال بأنه قضاها في بلغاريا ! إن هو قضاها فعلا .

لقد ادعى « أغجا » لاحقا بأنه زار بلغاريا أثناء خروجه من تركيا ، وأنه أمضى طيلة وقته هناك في فندق « فيتوشا » في صوفيا قبل ان يكمل طريقه الى دول

اوروبا الغربية كألمانيا الاتحادية ، وسويسرا ، واسبانيا ، وبلجيكا ، والدانمارك ، وفرنسا ، وبريطانيا . . . كما ادعى انه دخل بلغاريا بجواز سفر هندي مزور تحت اسم « يوجندر سينج » . ولدى تدقيق قام به الصحفي « ايونا اندرونوف » مؤلف كتاب « على خطى الذئب » في سجلات الامن العام البلغاري عن الداخلين الى بلغـاريا في ذلك العام ١٩٨٠ ، تبين له انه دخل الى بلغاريا ثمانية عشر شخصا يحملون ذلك الاسم .

والسؤال هو : إذا كان « أغجا » قد دخل بلغاريا حقا ، فأي واحد هو من هؤلاء الثمانية عشر ؟ . والسؤال الاهم هو : هل يمكن لأي رجل حدود مهما بلغ من السـذاجة ، ان يصدق بأن « أغجا » هو رجل هندي ، ولاسيما انه ليس في ملامحه ولا في لغته ما يدل على انه هندي ؟ . والارجح هنا انه اذا مر في بلغاريا ، فإن مروره ينبغي ان يكون بالضرورة سريا . وبلغاريا بالنسبة لهارب مثل « أغجا » لم تكن اكثر من طريق نحو اماكن اخرى ينعم فيها بالطمأنينة . وإذا كان « أغجا » حسب الاساطير التي نسجت حوله فيما بعد عميلا للبلغار ، ومن ورائهم السوفيات، منذ نعومة اظافره ، فلا حاجة والحالة هذه ان يتم ادخاله الى بلغاريا بجواز سفر مزيف . فاذا كانت المخابرات البلغارية قد قامت ومنذ وقت مبكر برسم تحركاته في تركيا وتخطيط مشاريعه ، ومن ثم مساعدته في اجتياز الحدود باتجاه بلغاريا ، فلا حاجة بها الى إدخاله بجواز سفر مزور ، كما يعرف ابسط المطلعين على النشاطات في هذا المجال . والحقيقي هنا ان اغتيال البابا جاء في مرحلة تحتدم فيها حدة العداء للاتحـاد السـوفياتي مع مجيء ريغـان الى السلطة ، ومعه الاحلام القديمة بمجد اميركا . جاءت هذه الحادثة في وقت كانت تفتش فيه دوائر الغرب ومنظرو الحرب البـاردة عن حقول يمكن استغلالها لمواصلة المعركة في جميع الاتجاهات . كانت المحاولة ضد حياة البابا إحدى الفرص الذهبية التي القيت في طريق دعاة تصعيد اجواء التوتر على الصعيد العالمي . فهذا البابا من اصل بولوني ، وبولونيا تضطرب بمشاكل معقدة ، ويلعب البابا دورا مميزا في وعي البولونيين .

امام هذا كله جرى التفكير في دوائر الغرب على هذه الصورة التي لامجال للتكهن بغيرها : لماذا لايتم الادعاء بأن السوفيات يقفون بشكل مباشر وراء الحادث الذي كان هدفه التخلص من البابا ؟ . وراحوا من اجل ذلك يخترعون الاجواء التي تناسب هذا الهدف ، فاخترعوا برقية زعموا ان البابا ارسلها الى الزعيم السوفياتي ليونيد بريجينيف ، وفيها يهدد بأنه سيعود الى بلاده لقيادة المقاومة إذا ماحدث تدخل سوفياتي . ورغم انكـار الفاتيكان لوجود مثل هذه الرسالة ، إلا ان دوائر اعلام

الغرب استمرت في اختلاق اشياء مشابهة .

واذا كان من المتعذر القبول المباشر بأن السوفيات هم قتلة البابا ، فلماذا لايتم التفكير بوجود وسيط آخر قام ، نيابة عنهم بهذه المهمة ؟ . لقد توزعت الاتهامات فكان ان تحدث البعض عن ليبيا ، واخترع الاعلام الغربي ، القادر بحكم امكانياته ، على صياغة رأي عام حول قضية ما ، أن الزعيم الليبي تعهد في آخر زيارة له للاتحاد السوفياتي بتخليص السوفيات من البابا ، كما وجهت دوائر اخرى الانظار الى منظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها احد المنفذين المحتملين لهذا العمل ، ثم استقرت التهمة اخيرا ضد بلغاريا ، فبلغاريا بلد مخلص للاتحاد السوفياتي ، ومجاور لتركيا ، ويعبره ملايين الاتراك سنويا من والى اوروبا الغربية . لقد ادعى البوليس الايطالي فيما بعد أنه عثر في جيب « أغجا » لحظة اعتقاله في محاولة اغتيال البابا على جواز سفر تركي مزور باسم « فاروق اوزغون » وعليه سمة الحدود البلغارية بالاضافة الى سمات دول اوروبية غربية اخرى .

وحتى اذا افترضنا صحة دخوله الى بلغاريا ، ووجود هذا الجواز في جيبه ، مع علمنا ان الذين استطاعوا تلفيق كل هذه الاساطير قادرون على تزوير جواز سفر عليه كل سمات الدول التي يرغبون فيها ، على الرغم من ذلك كله ، فإن المؤكد ، واستنادا الى إفادات السلطات البلغارية نفسها ان دخول « أغجا » الى بلغاريا لم يكن بالأمر المستحيل . قد يكون عبر هذا البلد باعتباره نقطة « ترانزيت » . الخلاف هو تفسير عبوره ، والخلاف حول مافعله هناك .

ومن المفيد في هذا السياق ، الاطلاع على الرسالة الرسمية التي بعثت بها السلطات البلغارية ردا على رسالة كان قاضي التحقيق الايطالي « مارتيلا » قد بعث بها في ٢٨ شباط ١٩٨٣ الى الحكومة البلغارية ، ويطلب فيها ايضاحات حول تحركات « أغجا » في بلغاريا ، وما إذا كان صحيحا ان « أغجا » قد اعتقل في بلغاريا في ٢٩ آب ١٩٨٠ ، في نقطة الحدود البلغارية التركية ، وبحوزته جوازا سفر مزيّفان ومبلغ ثلاثة آلاف دولار امريكي نقدا . لقد كان الرد الرسمي البلغاري على رسالة القاضي الايطالي هو الآتي :

دكتور مارتيلا المحترم

استنادا الى رسالتكم المؤرخة في شباط ١٩٨٣ ، فقد اصدر المدعي العام البلغاري التعليمات للسلطات القضائية البلغارية ، لاتخاذ الخطوات الضرورية للاجابة عما سألتم عنه .

إننا مخولون بإبلاغكم أنه بعد التدقيق المطول والتحقيقات الكثيرة ، فإن

ماثبت لنا حتى الآن هو الآتي :
١ ـ لم يقم في بلغاريا في الفترة مابين عامي ١٩٧٩ ـ ١٩٨٠ اي شخص تركي يدعى محمد علي أغجا ولا احد هنا في بلغاريا يعرف او سبق ان قابل شخصا بهذا الاسم او اي اسم آخر مثل « متين » او « سينج » او « كهف » . .

لذا فإن الاسئلة المتعلقة بإقامة « أغجا » المؤقتة في بلغاريا ، او تلك المتعلقة بمن قابل او اتصل، او في اي فنادق أقام بها. امور لايمكن الاجابة عنها ايضا .

إننا على استعداد لاستئناف التحقيقات اذا ارسلتم لنا صورة لأغجا وثبتا بأوصافه الخارجية ، وعلاماته الفارقة ، ومكان إقامته وماذا كان يفعل ، وما إذا كان يعرف احدا في بلغاريا ، او أية تفاصيل تختارونها ، كما نخبركم اننا لم نعثر على مايفيد ان اجنبيا باسم « حسين كهف » تواجد في بلغاريا حتى هذه اللحظة .

اما في تاريخ ٢٩/٨/١٩٨٠ فإنه لم يجتز الحدود مع تركيا شخص يحمل ثلاثة آلاف دولار كما ورد في رسالتكم .

كما نعلمكم انه لاوجود لبلدة او قرية ، او مكان باسم « كابي كول » على الحدود البلغارية مع تركيا . كما ان رقم الهاتف المشار اليه في رسالتكم هو رقم الاستعلامات في فندق « فيتوشا » في صوفيا ، وهو رقم ٥١ ـ ٤١ ـ ٦٢ ويمكن العثور عليه في الوثائق الرسمية العائدة للفندق ، وفي الدليل الرسمي لمدينة صوفيا ايضا .

كما نعلمكم ان لاوجود لهواتف بأرقام ١٢٤٣١ او ١٣٤٢١ في مدينة صوفيا ، ولا في المناطق القريبة منها . كما تبين لنا بعد تقص دقيق ان ثمانية عشر شخصا باسم « يوجندر سينج » قد دخلوا الى بلغاريا ، واقاموا فيها بشكل مؤقت ثم غادروها وكلهم يحملون الجنسية الهندية . ولم يصدف ان تواجد في نفس الوقت الواحد في بلغاريا الا شخصان او اكثر بهذا الاسم. ومع ذلك ولاجراء تحقيق اكثر عمقا ، وللتأكد مما اذا كان « أغجا » قد اقام فعلا في هذا البلد تحت اسم واحد من هؤلاء الثمانية عشر ، ينبغي ان تزودونا باعترافات « أغجا » واعترافات آخرين لتكون لنا عونا في مزيد من التدقيق .

اما بالنسبة لسؤالكم عن النتائج التي توصل لها التحقيق في بلغاريا ، فيما يتعلق بمحاولة اغتيال البابا ، فلا يسعنا القول سوى اننا قمنا بالكثير من التحريات والتحقيقات ، بخصوص التقارير الواردة في الصحف الايطالية ، والصحف الغربية الاخرى حول مساهمة المواطنين البلغاريين « ايفازوف » و « فاسيليف »

والتركي « بكير شيلينيك » في التحضير لاغتيال البابا ، فإنه قد ثبت لنا بما لايقبل الشك ان المواطنين البلغاريين لم يساهما في هذه المحاولة . أما « شيلينيك » الذي مازلنا نحتجزه ، فقد انكر خلال التحقيقات المطولة التي اجريت معه اي صلة « بأغجا » وعلى اي نحو .

ان جميع من حققنا معهم يقولون إنهم لايعرفون « أغجا » ، ولم يسبق لهم ان قابلوه . وقدموا قرائن تدعم اقوالهم . إننا مخولون بابلاغكم بأن السلطات القضائية البلغارية ، تعبر ثانية عن استعدادها للتعاون معكم ، ومع اجهزة القضاء الايطالية الاخرى للكشف عن الحقيقة الموضوعية . ان تبادل المعلومات المفصلة والمجموعة كشواهد يمكن ان يتم بيننا شريطة ان يتم التعامل بالمثل(١٢) .

ورغم هذه الرسالة الواضحة جدا ، فإن القضاء الايطالي ظل يصر كما سنرى لاحقا على اتهاماته على نحو لايقصد منه التحقق فعلا من وجود « أغجا » في بلغاريا بقدر ما يستهدف استخدام هذه القضية مدة طويلة في الحرب الموجهة ضد الدول الاشتراكية . وبالمثل ايضا يمكن الحديث عن اقامة « أغجا » المزعومة في كل من بيروت وتونس . فأثناء اعترافات « أغجا » ادعى انه امضى فترة اربعين يوما في بيروت عام ١٩٧٧ ، وتدرب خلالها على السلاح ، وعمليات الاغتيال في احد المعسكرات الفلسطينية .

لقد تم تكذيب ادعاءات « أغجا » حول علاقته مع المقاومة الفلسطينية فورا . وقد جاء ذلك التكذيب على لسان المطران « هيلاريون كبوتشي » مطران القدس في المنفى في المؤتمر الصحفي الذي عقده في ١٥ ايار إثر زيارة قام بها للاطمئنان على سلامة البابا . لقد قال المطران كبوتشي في مؤتمره الصحفي إن « أغجا » كاذب حينما قال بأن هناك تنظيما فلسطينيا يقف خلفه . وأضاف : مافعله « أغجا » لاعلاقة له بالاسلام . كما أكد بأنه مجرم ينتمي الى اليمين المتطرف(١٣) .

وتستحق زيارة « أغجا » المزعومة الى بيروت وقفة طويلة في سياق هذا الفصل ، فلقد صاغ منها الاعلام الغربي نظريات كان يقصد بها إظهار المقاومة الفلسطينية كطرف يرعى الارهاب الدولي ويؤمن تمويله .

---

(١٢) الرسالة التي تلاها « بويان ترايكوف » مدير وكالة الانباء البلغارية في مؤتمر صحفي عقده في ١٤ آذار ١٩٨٣ . انظر :

A Subversion of the new Crusaders , Sofia 1983 P.127

(١٣) Paul Hentze- The Plot to Kill the Pop.OP.cit.P.7

لقد قيل الكثير عن « اغجا » عندما عاد من زيارته تلك الى تركيا ، فقد بدأت الاموال تتدفق عليه ، وتوضع باسمه ارصدة في بنوك متفرقة في تركيا . الدفعة الاولى التي تسلمها في شهر كانون الاول ١٩٧٧ بلغت ٢٠ الف دولار ، والدفعة الاخيرة التي حصل عليها قبل اغتياله لـ« ابتشكي » عام ١٩٧٩ ، كانت مبلغ ١٠ آلاف دولار.ولكن من الذي دفع هذه المبالغ السخية « لأغجا » ولأي هدف ؟.

في ٢٧ آذار ١٩٨٢ نشرت صحيفة « صنداي برس » الايرلندية مقالا بقلم الصحفي الايرلندي المعروف « جوردون توماس »[١٤] ، جاء فيه ان المخابرات المركزية الامريكية على علم مسبق بالتخطيط لاغتيال البابا ، وان احد عملائها واسمه « فرانك تربل » اشرف على المراحل النهائية لاعداد الارهابي التركي « أغجا » لهذه العملية ، وقد اعتمد الصحفي الايرلندي في مقاله المذكور على مقابلة اجراها مع سكرتيرة تربل التي تعيش متخفية في مدن اوروبا الغربية ، وعلى مقابلة كان قد اجراها تربل مع الصحفيين الاجانب في بيروت ، اعترف فيها بأنه سلح ودرب عناصر « الذئاب الرمادية » بمساعدة رجال القبعات الخضراء الامريكية ، فمن هو فرانك تربل ؟

إنه اميركي يمتلك شركة تجارية لبيع الادوات الموسيقية في الظاهر ، اما في السر فإنها تبيع السلاح الاميركي ، وتسهر على رعاية الارهاب ، ومقر عمل « تربل » في بيروت التي زارها « أغجا » عام ١٩٧٩ . ويروي « ايونا اندرونوف » صاحب كتاب « على خطى الذئب » ، ان مهمة تربل كانت ترويج السلاح الاميركي . وتزويد المنظمات الارهابية بما يلزم من السلاح والخبراء من ضباط القبعات الخضراء من اجل اعمال القتل . ويضيف المؤلف ان تربل وحسب رواية صحيفة « نيويورك تايمز » ، قام بتزويد السلاح الى الحرس الشخصي للرئيس انور السادات و « السافاك الايراني » و « فرق الموت » في اوغندا و « الذئاب الرمادية » في تركيا[١٥] وتضيف رواية اخرى « للواشنطن بوست » ان تربل بدأ مهنته في الاستخبارات العسكرية التابعة للبنتاغون الاميركي ، وبعد ان عمل هناك لمدة ست سنوات انتقل بعدها للعمل في الاستخبارات المركزية الاميركية (C.I.A) مابين عام ١٩٦٥ و ١٩٧١ ، وكان مقر عمله في الشرق الاوسط . ويبدو انه راح فيما بعد ، يعمل لحسابه الخاص ويهدد بكشف الـ (C.I.A) التي ساهم فيها .

---

(١٤) The Bulgarlan connection- Sofia, 1983 P.42

(١٥) Iona Andronov- On the wolf's. track. op. cit P.23

حكم عليه غيابيا بالسجن ٥٠ عاما في واشنطن ، وقامت اجهزة الامن باعتقال زوجته « مارلين تربل » التي سبق لها ان عملت في الـ (C.I.A) . كما اعتقل مساعد تربل المدعو «جورج كيركيلو» بعد ان لوحق حتى مدريد، و «ايدوين ولسون » ، احد المقربين لتربل . كما عثر على احد مساعدي تربل ويدعى « كيفن مالكاهي » ، ميتا في شقته في واشنطن . اما مساعدة تربل التي اعتمد عليها الصحفي الايرلندي في مقاله المذكور ، وتدعى « ماري ماكارثي » فقد هربت من بيروت الى اوروبا الغربية ، حيث تنتقل بالخفاء من بلد الى بلد .

وعلى ضوء هذه المعطيات مجتمعة ، يمكن الاثبات بالبراهين ان زيارة « أغجا » لبيروت ، انها تمت من اجل اللقاء بتربل ، والتدرب على يد خبرائه في القتل . وما الاموال التي راح يتلقاها بعد عودته الى تركيا ، الا ثمنا لما سيقوم به من عمليات مستقبلية ، كان اولها اغتيال ابتشكي ، وآخرها محاولة اغتيال البابا . هذا هو التفسير المنطقي الوحيد لزيارة « أغجا » الى بيروت ، اما التفسيرات الغربية حول علاقته بمنظمة التحرير الفلسطينية ، فليست سوى حلقة من السلسلة التي نسجها الخيال الغربي حول الارهاب الدولي ، تلك السلسلة التي يقصد منها الاساءة الى الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية وحركات التحرر الوطني العالمية ، واظهار ان هذه الحركات والدول ترعى الارهاب وذلك في محاولة لتشويه صورتها في انظار العالم .

مثل هذا الاستنتاج ، ينطبق ايضا على زيارة « أغجا » المزعومة لتونس والتي تمت حسب اقواله في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٠ . لقد اعترف « أغجا » انه امضى بعض الوقت في مصيف الحمامات التونسي ، وانه رفض اثناء اقامته هناك عرضا باغتيال الرئيس التونسي « الحبيب بورقيبه » ورئيس الوزراء المالطي « دوم منتوف » ، وامام هذا الاعتراف ثار الخيال الاميركي والغربي واستنتج بعبقرية انه اذا كان « أغجا » قد زار الحمامات القريبة من الحدود الليبية ، فما الذي يمنع من التكهن بأنه التقى هناك بمسؤولين ليبيين فاوضوه على اغتيالات جديدة ، بالاضافة الى اغتيال البابا . فالليبيون في نظر الغرب هم وكلاء الاتحاد السوفياتي ! وكي لانبتعد كثيرا ، لابد ان نستكمل الجوانب التي مازالت خفية في رحلة « أغجا » بين بلاده وايطاليا . ونجيب على السؤال الذي ظل لغزا حتى الآن : من هم الاشخاص الذين التقى بهم « أغجا » في رحلته ؟. لأن في كشف هؤلاء نستطيع امساك الخيوط التي تقود الى الجهات الحقيقية التي تقف وراء محاولة اغتيال قداسة البابا .

كما قلنا سابقا ، لم يثبت بشكل رسمي انه عبر بلغاريا ، ومع ذلك فمن المحتمل ان يكون قد عبرها في طريقه الى اوروبا الغربية . واثناء التحقيق اللاحق معه قال : بأنه التقى في فندق « فيتوشا » ـ حيث اقام لمدة خمسين يوما ـ برجل تركي يدعى « بكير شيلينيك » وان بكير هذا وعده بمبلغ ثلاثة ملايين مارك الماني ان هو قام باغتيال البابا .

وبكير شيلينيك هذا تاجر تركي ، ترك بلاده عام ١٩٦٦ ، واشتغل منذ ذلك التاريخ في عدد من دول اوروبا الغربية ، وكون ثروة مكنته من اقامة شركة تجارية تتنوع اعمالها من الاتجار بالساعات والمعدات الكهربائية والسيارات الى استيراد الفواكه وتصديرها . ولهذه الشركة فروع في كل من ميونخ ، ولندن ، وبون ، ولوس انجلوس ، واسطنبول . واثناء الاعلان الذي صرح به قاضي التحقيق الايطالي « مارتيلا » بأن « بكير شيلينيك » مجرم دولي ، ومطلوب في قضية البابا . كان شيلينيك موجودا في بلغاريا . وقد سارعت السلطات هناك الى اعتقاله للتأكد من هذه الاتهامات .

ويتضح من اقوال بكير انه لايعرف « أغجا » ولم يصدف ان التقاه ، او تآمر معه او وعده بمبالغ . ولدى سؤاله عن السبب الذي دفع « أغجا » الى ذكر اسمه اجاب : بأن « الارجح ان شخصا ما قد لقن اسمي الى « أغجا » للاساءة الى سمعتي »(١٦).

وعلى العموم ، فقد عرضت السلطات البلغارية على المحقق الايطالي « مارتيلا » المجيء الى بلغاريا للتحقيق مع هذا الرجل الذي حظرت عليه مغادرة البلاد بانتظار انتهاء ملابسات القضية . وقد طالبت السلطات الايطالية ان يتم تسليمها هذا الرجل ، الا ان السلطات البلغارية رفضت ذلك لأسباب تتعلق بعدم وجود ادلة كافية على الاتهامات الموجهة ضده .

« أغجا » من جهته لم يذكر « بكير » هذا الا بعد مضي حوالى عام ونصف على اعتقاله وإبان اعترافه الشهير ، الذي سنأتي على ذكره ، والذي كان مقصودا منه وضع جميع المقدمات الضرورية لاتهام بلغاريا . لقد كان اعترافه الاول كالآتي : في ايار ١٩٨١ كان في منتجع « بالمادي ماجوركا » الاسباني ومن هناك اتصل بسردار سيليبي احد زعماء « الذئاب الرمادية » في فرانكفورت ، وقد نقل له سيليبي في ذلك الاتصال امرا بالتوجه لاغتيال البابا . وقد تم اجتماع الاثنين

---

(١٦) Iona Andronov - On the wolf's Track Op -Cit P.15

« أغجا » وسيليبي في محطة السكك الحديدية في ميلانو ، وهناك حصل « أغجا » على المسدس « البراوننغ » اداة جريمته ، مخبأ في آلة تصوير « كاميرا » . هذه الشهادة الاولية ، عاد « أغجا » وانكرها فيما بعد ، وادعى ان هذا الاجتماع تم في صوفيا ، وبحضور التركي « بكير شيلينيك » الذي عرض يومها على « أغجا » مبلغ ثلاثة ملايين فرنك لقاء اغتيال البابا ، وقد اضيف فيما بعد لهذا الاجتماع المتخيل شخصية اسطورية هي شخصية « مصطفيف » هذا الشخص الذي زعم انه تبع « أغجا » فيما بعد الى تونس وفاوضه هناك على قتل الزعيمين التونسي والمالطي .

وقد زاد « أغجا » في اعترافاته امام المحكمة الايطالية ان « الذئاب الرمادية » ارسلت احد رجالها الى صوفيا للاهتمام به ، وان ذلك الشخص حمل الى « أغجا » جواز سفر جديدا باسم فاروق اوزغون ، وهو الجواز الذي خرج به من بلغاريا ، بعد ان تم تغيير صورة حامل الجواز الاصلي بصورة اغجا ، وهو نفس الجواز الذي تجول به في بلدان اوروبا الغربية ، وعثر عليه معه بعد ارتكابه محاولة الاغتيال .

وقد تبين فيما بعد ، ان هذا الجواز صدر في تركيا بتاريخ ١١ آب ١٩٨٠ ، ويحمل رقم ١٣٦٦٣٥ ، وقد ادعى « اوزغون » الصاحب الحقيقي للجواز والذي يشتغل عامل نسيج في مدينة « نفسهير » التركية ، انه لايعرف « أغجا » وانه باع هذا الجواز لمعلم يدعى « ابراهيم كورت » ، وقد تسرب ذلك الجواز فيما بعد الى تركي يعمل في ميونيخ ويدعى « عمر مرسان » ومنه الى يد « محمد علي أغجا » ، اما كيف تمت هذه الدائرة العجيبة فهذا مايجيب عنه نشاط « الذئاب الرمادية » . ولو كان لأغجا ادنى علاقة بجمهورية بلغاريا الشعبية ، لما احتاج البلغار الى مثل هذا الطريق الطويل لتأمين جواز سفر ، اذا كان الامر يتطلب تأمين جواز سفر . ان هذا يبدو استنتاجا منطقيا بسيطا ، ولايحتاج الى كثير عناء للتوصل اليه .

نعود الآن الى رحلة « أغجا » لنقول ان اكبر فترة قضاها خارج تركيا بعد هربه كانت في المانيا الاتحادية . وقد ثبت وجوده هناك ، كما قلنا ، من خلال التقارير الامنية التي كانت ترد تباعا الى السلطات التركية في انقرة من خلال رجالها المنتشرين وسط التجمع التركي الكبير في المانيا الاتحادية .

وهناك عاش « أغجا » في كنف « الذئاب الرمادية » التي تنعم بسلطة قوية وبقدرة لاتحد على اخفاء المطلوبين عن اعين القضاء ، بما لها من سجل طويل في اعمال القتل والتهريب . ومما غدا ثابتا الآن ان « أغجا » لم يعش طيلة تواجده في الخارج في عوز الى النقود . فقد ثبت من خلال التحقيقات التي اجريت لاحقا انه نزل في افخم فنادق اوروبا ، ولم يقصّر في الانفاق على اي شيء . ويذكر جميع من

عرفوه من عمال الفنادق ، انه كان على الدوام يرتدي ثيابا انيقة ، يتناول افخم الاطعمة وارقى المشروبات[١٧] . وحسب تقدير المحققين الايطاليين ، فقد انفق في هذه الفترة القصيرة من تواجده في اوروبا الغربية مايزيد عن ٥٠ الف دولار اميركي .

ولن تفاجئنا هذه الارقام ، اذا تذكرنا انه بدأ ، كما قلنا ، باستلام دفعات من الاموال بعد عودته من بيروت . واذا وضعت اموال باسمه في بنوك تركية ، فلماذا لاتوضع باسمه اموال في بنوك اوروبية يحتمل ان يزور بلادها ؟ ! . التنظيم الذي تمت به عملية اغتيال « ابتشكي » وعملية الهروب المنظم من سجن « كارتل مالتيب » ثم الهرب من تركيا ، والتجول بحرية في اوروبا الغربية ، كل ذلك كان بحاجة الى تنظيم اكبر يقوم بتزويد « أغجا » باحتياجاته المادية ، اما بشكل مباشر وباليد او عن طريق تحويلات بريدية وارصدة . . الخ .

واذا كانت « الذئاب الرمادية » هي التنظيم الذي انفق على تحركات « أغجا » ، فإن ذلك يفترض ان يقودنا الى الجهات التي تقف وراء هذه الذئاب . ويتردد في هذا المجال اسم « روزي نازار » باعتباره الشخص الذي عاش « اغجا » في كنفه في المانيا الاتحادية ، او على اقل تقدير الشخص الذي كان يرعى بشكل مباشر تحركات « اغجا » من خلال رعايته لنشاط « الذئاب الرمادية » في المانيا الاتحادية .

ومرة اخرى في سياق التساؤلات التي تستدعيها مثل هذه القضية ، نسأل من هو « روزي نازار » ؟ .

انه احد موظفي السفارة الامريكية في بون . وهو ضابط الارتباط مابين السفارة الامريكية وبين منظمة « الذئاب الرمادية » التابعة « لحزب الحركة القومية » الفاشي التركي .

الاسم الحقيقي لنازار هو « ادمورزارف » وله سجل حافل في التعاون مع النازية . فقد هرب في عام ١٩٤١ من خط الجبهة السوفياتية ـ الالمانية ، والتحق بالجستابو الالماني . وفي عام ١٩٤٢ عينه الالمان مساعدا لقائد معسكر الاعتقال في « روجيشيانسك » ، وفي عام ١٩٤٤ ، اشتغل عميلا للالمان خلف خط الجبهة الالمانية مع الاتحاد السوفياتي . ظل تعاونه مع النازيين قائما الى ان شعر بقرب انتصار الحلفاء ، ففر الى منطقة الاحتلال الامريكي . وبفضل المعلومات التي

---

(١٧) Paul Hentze - The Plot to kill the pope.Cit.P.11

قدمها عن زملائه من النازيين حظي بالامان لدى الامريكيين الذين سرعان ماجندوه للعمل في صفوفهم .

عمل روزي نازار عام ١٩٥٠ في اذاعة صوت امريكا . وفي الاعوام مابين ١٩٥٩ - ١٩٧٠ عمل موظفا في السفارة الامريكية في انقرة . ويعمل حاليا ضابط امن في السفارة الامريكية في بون ، ومسؤول ارتباط مع التنظيمات الفاشية التركية(١٨) .

وقبل ثلاثة ايام من محاولة الاغتيال التي قام بها « أغجا » ضد البابا نشرت صحيفة « جمهوريت » التركية مقالا بقلم الصحفي التركي « عمر مومكو » ، لفت فيه الانظار الى الاهتمام الزائد الذي تبديه السفارة الامريكية في اسطنبول بمنظمة « الشبيبة » التابعة « للحركة القومية » الفاشية التركية .

فإذا كانت السفارة الامريكية في اسطنبول تبدي هذا الاهتمام بالشبيبة الفاشية في اسطنبول ، فلماذا لاتبدي نفس الحماس لنشاط « الذئاب الرمادية » في المانيا الاتحادية ولاسيما ان هذا الحزب يضع في مقدمة اهدافه القضاء على الشيوعيين اينما وجدوا . ان هذا يخدم تماما ماتريده الولايات المتحدة في تركيا ، في ذلك البلد الذي يلعب دورا مميزا في مخططاتها لهذا الجزء من العالم .

لذا فقد كان طبيعيا ان تتجه الانظار نحو « روزي نازار » باعتباره منسق اعمال الفاشيين ، ولاسيما ان اسمه ارتبط في ذاكرة الاتراك بقائد الحزب الفاشي التركي « توركيش » لما كان يربطهما من علاقات مميزة . وفوق هذا وذاك ما كان يربط بين « نازار » وبين « زعيم الذئاب الرمادية » في المانيا الاتحادية « موسى سردار سيليبي » .

في الثالث من تشرين الثاني ١٩٨٢ القى البوليس الالماني الغربي القبض على التركي « موسى سردار سيليبي » بتهمة الاشتراك مع « أغجا » في التخطيط لاغتيال البابا . وسيليبي هذا هو زعيم « الذئاب الرمادية » في فرانكفورت ، وصديق « نازار » ضابط الاستخبارات في السفارة الامريكية . في الايام الاولى من اعتقاله انكر « سيليبي » معرفته بأغجا ، ولكن بعد تراكم الادلة ، اعترف بأنه قابل « أغجا » مرتين قبل محاولة الاغتيال الاولى في ميلانو الايطالية في كانون الاول ١٩٨٠ والمرة الثانية في زيوريخ في آذار ١٩٨١ .

وحسب ماتأكد للقضاء الالماني الاتحادي ، فقد قام سيليبي في هذين اللقاءين

---

(١٨) Iona An dronov- On the wolf's Track op.Cit.P41

بتقديم اموال لـ« أغجا » ووعد باعطائه مبلغ مليون دولار ان هو قتل البابا .

وقد قامت السلطات الالمانية بتسليم « سيليبي » الى القضاء الايطالي ، وقد ثبت بما لا يقبل الجدل علاقته بأغجا من خلال اعترافاته هو ، ومن خلال اعترافات « أغجا » الاولى حول اتصالات هاتفية تمت بينهما في نيسان ١٩٨١ ، اي قبل محاولة الاغتيال بحوالى شهر ، وثبت ايضا ان المسدس الذي استخدمه « أغجا » في عمليته اتاه من « سيليبي » هذا مخبأ في آلة تصوير سلمت له في ميلانو . و« موسى سردار سيليبي » لم يكن الوحيد في هذه العملية . صحيح انه اشتهر باعتباره احد قادة « الذئاب الرمادية » في المانيا الاتحادية ، لكنه كما يقول « هازات يوزان » زعيم الاتحاد العام للعمال الاتراك في المانيا الاتحادية ، ليس اكثر من واجهة يتخفى تحتها زعماء اشد منه خطرا .

ويذكر « يوزان » من بين هؤلاء الزعماء المدعو . . « انيفر التايلي » ، وهو قاتل محترف فار من بلاده بتهم عديدة ، ويسيطر في المانيا الاتحادية على مصادر تمويل الفاشست الاتراك ، كما يعتبر المسؤول الاول عن اعلام ودعاية « الذئاب الرمادية » ، وعن علاقتهم بدوائر البوليس الالماني ، وانه دون موافقة « التايلي » هذا ماكان باستطاعة « سيليبي » ان يستأجر « أغجا » ، او يمول مشروعه لعملية الاغتيال في الفاتيكان .

ومهم هنا ان نشير الى تورط « أغجا » اثناء وجوده في المانيا الاتحادية بعملية قتل تم تنفيذها لصالح « الذئاب الرمادية » ولصالح حسم خلافات داخلية بين فئات هذا الحزب . ويحيل الصحفي التركي « اورسان ايمين » في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٨٠ ، مراسل صحيفة « ميليت » في بون،اغتيال كل من « نيكاتي اويغور » و « اوسوف عيلومو » في ٢٤ شباط ١٩٨١ ، الى خلاف بين « سيليبي » واثنين آخرين من زعماء « الذئاب الرمادية » .

اما من نفذ اغتيال هذين الشخصين، فهناك قصة يوردها « بول هنتسه » في كتابه « مؤامرة اغتيال البابا » عندما ذكر على لسان « اويغور » بائع الخضار التركي في بلدة عيتون من مقاطعة بافاريا ان قاتله صاح عليه بالتركية قبل ان يفر : « وهل تعرف أغجا » .

ويضيف هنتسه ان اغتيال اويغور « عجل في هرب أغجا » من المانيا الاتحادية التي غادرها منذ ذلك الوقت ، ولم يظهر بعدها الا في ساحة القديس بطرس في الفاتيكان .

والآن هل صحيح انه غادر المانيا في ذلك الحين ؟ . ربما كان ذلك صحيحا ،

وربما كان جزءا من التلفيق الذي احاط فيها بعد بكثير من تحركاته . لكنه وأيا كانت محطته فهو لم يفقد الاتصال « بسيليبي » الذي كان صلته الاساسية « بالذئاب الرمادية » . و « سيليبي » هذا ، الذي لم تتسرب معلومات من نتائج التحقيق معه منذ ان سلم الى السلطات الايطالية ، قد يتمخض عن شخصية محورية تقود الى الجهة الحقيقية التي وقفت وراء محاولة اغتيال البابا .

ولد « موسى سردارسيليبي » في قرية « دورتيول » قرب « الاسكندرونة » . هاجر الى المانيا الاتحادية في وقت مبكر من حياته ، ولم يعد الى تركيا بسبب من ملاحقته هناك بتهم عديدة ، وايضا بسبب المحاكمات التي جرت لاحقا لمئات من اعضاء « الحركة القومية » التركية الفاشية التي ينتمي لها « سيليبي » . وقد ارتبط اسم « سيليبي » هذا بشبكات المافيا والتهريب العاملة بين تركيا وبلدان اوروبا الغربية ، وقد اسس عام ١٩٨١ مجلة ناطقة بالتركية في المانيا الاتحادية تحت اسم « الهدف الجديد » ، وقد اعتبرت ناطقة باسم الحركة الفاشية التركية .

لقد انكر « سيليبي » في مؤتمراته الصحفية التي عقدها إثر محاولة اغتيال البابا اية علاقة له بأغجا ، كما دان محاولة الاغتيال في جميع اقواله . وقد اصر على انكار معرفته بأغجا ، حتى بعد ان تم اعتقاله من قبل الشرطة الالمانية ، لكنه عاد فادعى انه ذهب فعلا الى ميلانو ، وبعدها الى زيوريخ لمفاوضته حول اغتيال البابا ، وعرض مبلغ ثلاثة ملايين مارك (اي حوالى مليون دولار امريكي) ، تأكدت من خلال مكالمة التقطها البوليس الالماني بين « أغجا » الذي كان يقيم آنذاك في جزيرة ماجوركا الاسبانية و « سيليبي » ، الذي كان يقيم في فرانكفورت . وفي هذه المكالمة قال (اغجا) لـ « سيليبي » إنه تلقى النقود ، وإنه سيذهب الى روما لانهاء العمل . وبعد تثبيت هذه الحقائق تم تسليم « سيليبي » للسلطات الايطالية بتاريخ ١٤ كانون الثاني ١٩٨٣ .

ويضيف « بول هنتسه » في كتابه[١٩] ، إنه تأكد للسلطات الايطالية بعد القائها القبض على (اغجا) ، أنه كان قد زار « سويسرا » مرتين في خريف ١٩٨٠ ، حيث أقام ، من أيلول في فندق « ريوتلي » في زيوريخ ، وفي فندق « كروني » في مدينة « لوسرن » بين ٢٧ و٣١ تشرين الأول ، من ذات العام . ومن غير المعروف حتى الآن على الاقل ماالذي فعله (أغجا) هناك ، وما اذا قد مارس أعمالاً ارهابية ما ، إلا أن من المؤكد أن عودته منها الى المانيا الاتحادية ، شهدت

---

(١٩) Paul Hentze -The polt to kill the pope op. cit P.167

حوادث اغتيال لم تكن يد (أغجـا) بعيدة عنها . السلسلة التي تربط (أغجا) بالدوائر الفاشية عديدة الحلقات ، ويبدو ضرورياً لمزيد من ايضاح الصورة أن نلقي الأضواء على شخصية قد يكون لها أثر في السياق الذي يقود خطى (أغجا) باتجاه النـازية . . الشخصية المقصودة ، تاجر السلاح النمساوي « هورست غرلماير » الذي تعود له ملكية المسدس الذي استخدمه (أغجا) في ساحة القديس بطرس .

لقد استطاع « أغجا » عام ١٩٧٩ إخفاء السلاح الذي اغتال به « ابدي ابتشكي » ، ولم يكشف منذ ذلك الحين الى الآن ، وتعود اهمية السلاح في حالات كهذه ، بأنه قد يكون في كثير من الاحيان الحلقة الوسيطة التي تربط بين مرتكب الجريمة ، والمخططين لها . وفي شتاء ١٩٧٩ نفذ « أغجا » جريمته ليلا ، وبعيدا عن الانظار . اما في ساحة القديس بطرس فقد اشرع مسدسه امام الآلاف ، ولم يتمكن من الفـرار كي يخفي سلاحـه . لقـد عثـر بيده على مسـدس من طراز « براوننغ » . بعد التقصي اللازم اتضح ان المسدس من انتاج شركة « هرتسال » الـوطنية في بلجيكـا ، وهـو نصف اتـومـاتيكي من عيار ٩ ملم يحمـل الـرقم ٢٣٩٣٥ سي ٧٦ (76 C 23935) . وقد قادت قائمة متداولي المسدس الى التالي : المسدس بيع اولا الى بائع في نيوشاتل في سويسرا « هورست غرلماير » الذي يقطن في مدينـة « كرمس » الـواقعـة شمال غرب فيينـا ، وعـلى ضفاف الدانوب . ان « غرلماير » هذا نازي سابق يتقن التركية ، ويقيم صلات قوية بأوساط الفاشست والمهربين الاتراك ، ويؤمن لهم السلاح الذي يخدم الهدف المشترك لكليهما .

اما بالنسبة لتحركات « أغجا » قبيل محاولته الاثيمة بحق البابا فهي حسب رواية « هنتسه » كالآتي [٢٠] : عاد « أغجا » الى روما ، ونزل في فندق « ارشبيد » بين ٥ و ٧ نيسان.وفي ٨ نيسان « ابريل » ، غادر روما بالقطار متجها الى « بيروجيا » ونزل هناك في فندق « بوستا » تحت اسم « فاروق اوزغون » . في اليوم التالي سجل في جامعة لتدريس الاجانب ، بعد ان دفع قسطا يبلغ ٢١٠ دولارات . داوم على محاضرة واحـدة فقط في اللغـة الايطالية للمبتـدئـين ، ثم لم يشـاهـد بعـدها في « بيروجيا » . وعاد « أغجا » ثانية الى روما ، حيث نزل في فندق « تورينو » ليلة ١٢ نيسان ، حيث اجرى مكالمة هاتفية مع التركي « حسن تاشكين » المقيم في المانيا الاتحادية ، والعضو البارز في منظمة « الذئاب الرمادية » .

---

(٢٠) Paul Hentze - The polt to kill the pope op. cit P.167

ويهمنا أن نقول إن المعلومات الواردة هنا بحاجة الى تدقيق !

بعد ذلك جرى الابلاغ عن مشاهدة « أغجا » في اقليم « فور البرج » النمساوي في اواسط نيسان . في ١٩ نيسان امضى ليلته في فندق في مدينة « جنوة » الايطالية ، كما امضى في ذات اليوم ، وفي فندق آخر،بضع ساعات مع « عاهرة » تدعى جورجينا . ثم غادر من هناك الى ميلانو حيث سافر في رحلة الى ماجوركا الاسبانية في شركة « كوندور » للسياحة والسفر ، وتبقى اقامته في تلك الجزيرة محاطة بالالغاز ، الا ان اهم مافيها هو انه قام من هناك باجراء مكالمتين هاتفيتين الاولى مع « سيليبي » الموجود في فرانكفورت ، والثانية مع التركي « عمر باجشي » في سويسرا .

من هناك عاد « أغجا » الى ميلانو ، حيث تسلم المسدس من « سيليبي » ، وغادر الى روما لاعداد المراحل النهائية لعمليته التي تمت في الثالث عشر من ايار ١٩٨١ . هذا هو الوصف الذي قدم لنا حتى الآن عن رحلة « أغجا » من تركيا وصولا الى الفاتيكان . الرواية في قسم كبير منها ، ولاسيما اماكن تواجد « أغجا » غريبة ، وينبغي التأكد كثيرا قبل اقرارها . وربما كشفت نتائج التحقيق ماهو اكثر من ذلك ، ولكن لم يصلنا الا القليل . غير ان السؤال الاخطر هو : حتى وان تحدث « أغجا » في التحقيق اوبلقاءاته مع الصحفيين عن المحطات التي مر بها ، فهل يمكن الركون الى اقواله كشهادة ثابتة ؟ . هذا ماينبغي الاجابة عنه ، ومن اجل الاجابة يحسن ان نرى اية شخصية يظهر بها« محمد علي أغجا » .

بعد التقارير الاولية عن « أغجا » باعتباره احد المهووسين ، والذين يعانون من اضطرابات نفسية ، راحت التقييمات تستقر ، استنادا الى ماضي الرجل ، ومن ثم الى سيرته الجديدة في التحقيق الجديد . بدأت التقارير تخرج بانطباع جديد ، إنه شخص سوي فائق الذكاء ، يتمتع بمقدرة كبيرة على المناورة واتعاب محققيه . لديه مقدرة كبيرة على اخفاء اهدافه الحقيقية خلف اطر كبيرة . وواثق من نفسه ، وواثق قبل كل شيء من قدرة تنظيم « الذئاب الرمادية » على نجدته في اللحظة الحاسمة . هذا ماخرج به المحللون عن شخصية « أغجا » اثناء تنفيذه لجريمته الاولى . فقد اعترف فورا بالتهمة الموجهة اليه . وادعى بأنه قتل الصحفي « ابدي ابتشكي » من اجل « الارهاب » ثم عاد بعد ايام وانكر ، بذات البرود الذي اعترف به ، ارتكابه للجريمة وقال : بأنه مع ذلك يعرف من ارتكبها ، وقد فهم يومها من هذه الاشارة ان « أغجا » يطالب رفاقه بمد يد المساعدة له ، والا فهو على استعداد لأن يفضحهم .

هدوؤه العجيب آنذاك ، ورباطة جأشه التي كانت واضحة في تصرفاته ، لم

يكن مبعثهما قدرته على الكشف عن شركائه اذا لم يساعدوه ، بقدر ماكانا يدلان على ثقته الكبيرة في انهم قادمون في الوقت المناسب ، وما عليه الا ان يصبر ، واثناء ذلك ان يناور . ولو لم يكن « أغجا » على مثل هذه الاهمية في نظر « الذئاب الرمادية » لكان المنطق يفترض معاملة اخرى . لنتصور هذا التنظيم من الداخل . انه تنظيم يقوم على المبادىء الفاشية التي لاتفسح مكانا للرحمة في قاموسها . تنظيم يعيش في جزء كبير من ميزانيته على شبكات التهريب التي يديرها داخل تركيا وخارجها ، وعلى « الخوات » التي يفرضها على العمال الاتراك في المانيا الاتحادية .

ان تنظيما كهذا يضع قضية قتل خصومه في رأس المهام الواجب عليه تنفيذها ، ويعرف ان عليه في كثير من هذه الحالات ان يقوم باخفاء آثار فعلته حتى لو ادى الامر الى دفن منفذيها . لو كان « أغجا » مجرد ارهابي ، استأجرته « الذئاب الرمادية » ، ودفعت له كي يقتل « ابتشكي » ، لسارعت الى قتله بدل انقاذه .

ان الذين استطاعوا ، تنظيم عملية الهروب الضخمة لأغجا من سجن « كارتل مالتيب » ، يستطيعون مادامو قد تسللوا الى زنزانته ، ان يقوموا بتصفيته لاخفاء الآثار التي قد تقود اليهم . لكنهم بدلا من ذلك ، قاموا بإنفاق الآلاف ، وربما الملايين في رشوة حراس السجن . وبدل ان يقتل « أغجا » قتل الرجل الذي وشى به . لقد استطاع هذا التنظيم الوصول الى ذلك الرجل حتى قبل ان يتمكن من تسلم جائزة تبلغ (١٠٠) الف دولار امريكي ، كان اتحاد الصحفيين الاتراك قد وعد بها كل من يدل على قتلة « ابتشكي » . هذا القول يقود الى الاستنتاج المنطقي ، وهو ان « أغجا » لم يكن فردا عاديا من افراد « الذئاب الرمادية » . لقد عرف الحزب اهميته ، فحرص عليه من اجل اعمال مقبلة . وكانت قناعته ايضاً بهذا الحزب تدفعه كل مرة الى انكار علاقة حزبه بأعمال القتل . قام الحزب بتهريبه خارج تركيا ، وعاش في المانيا الاتحادية في كنف ذلك الحزب . وكان على صلة مباشرة بأوساطه القيادية التي تلقى منها الاوامر بالتوجه الى ضحية جديدة . وعندما القي القبض عليه ثانية ، وهذه المرة بتهمة محاولة اغتيال البابا ، اعاد نفس السلوك السابق ، لكن امرا مفاجئا اعترضه فغير الى حد كبير سير الامور . وكان ذلك الامر التقاء قناعة « الذئب الرمادي » المعادية للدول الاشتراكية برغبة الدوائر الغربية في استغلال هذا الحادث في معركتها . فكان ان عمد « أغجا » بعد فترة طويلة من اسدال الستار على اعترافاته الاولى الى اعترافات جديدة ، فكان واضحا لدى الجميع انه استعاد سيرته في الكذب كدأبه في المرة السابقة ، لكن كذبه هذه المرة كان اخطر بكثير لأنه صب في طاحونة توتير الاجواء العالمية . وساهم في تسميم

العلاقات بين بلغاريا الشعبية وايطاليا . وكان واضحا انه يكذب لخدمة من يريد ان يحصل منه على ثمن من وراء كذبه . لكن الماكينة الغربية التي لفقت اكاذيبه تلك ، لم تكن تريد له ان يخرج ، كانت تريده ان يظل في السجن لتطلع كل يوم بقصة جديدة !!

الفصل الرابع

المحاكمة

اندفع الناس لنجدة البابا الجريح ، وساد هرج كبير في ساحة القديس بطرس استطاع خلاله القاتل ان يضيع بين الجموع لدقائق فقط الى ان تم القبض عليه . لقد كان القاتل هو التركي « محمد علي أغجا » .

تذكر الناس فورا تهديده السابق عام ١٩٧٩ باغتيال قداسة البابا ان هو حضر الى تركيا ، وها هو ينفذ تهديده الان . لقد كانت حجته آنذاك انه لا يريد لهذه الزيارة ان تتم ، ولكن ما الذي دفعه الآن إلى ملاحقة البابا في حرمه . وثار السؤال من جديد : اهي ذات الاسباب التي وردت في رسالته إلى صحيفة « ميليت » قبل ثلاثة اعوام . ام ان هناك جديداً تخبئه جعبة هذا القاتل المحكوم في بلاده باعدام غيابي .

لقد اثارت محاولة الاغتيال موجة سريعة من ردود الفعل في الصحافة العالمية ، واطلق الخيال للتكهنات وبسبب من كونه مسلما تركيا ، انطلقت في الصحف الغربية تحليلات تعيد فعلته إلى كراهية يكنها المسلم إلى المسيحيين باعتبارهم صليبيين سابقاً ، ومستعمرين لاحقاً[1] .

اثناء اقتياد « أغجا » للتحقيق صرح للصحفيين انه غير نادم على اطلاق النار على البابا . ونادم على ان طلقاته قد جرحت اثنين من السواح . كان شديد الوثوق من نفسه . وظل على اصراره ذاك اثناء عمليات التحقيق الاولية معه . لم يحاول انكار جريمته ولم يتنصل ولم يندم . واعترف صراحة بانه نفذ عملية الاغتيال عن سابق اصرار وتخطيط . وكعادته ادعى انه قام بهذا العمل بمفرده ، وانه لاينتمي إلى اية منظمة .

وفي تركيا اتخذت الانباء طابعاً مختلفاً ، فها هو الارهابي يقع اخيرا في قبضة العدالة ، ولكن بعد ان سبب الاحراج لحكومته وشعبه في قضية ليست في وارد العسكرتاريا التركية ، التي جاءت الى السلطة في انقلاب عام ١٩٨٠ تحت دعوى مكافحة الارهاب التركي اينما وجد . لقد سارعت تركيا ، وفور سماع الانباء الى المطالبة بتسليمه إلى بلاده كي يلقى الجزاء عن جرائم سابقة . لكن الحكومة الايطالية رفضت اعادته إلى تركيا ليس فقط لأنها تريد محاكمته بسبب ان الجريمة الجديدة وقعت في ارض تعتبرها خاضعة للقوانين الامنية الايطالية ، بل لأن هناك قانوناً ايطالياً يمنع تسليم المجرمين إلى بلادهم اذا كان قد صدرت عليهم هناك احكام بالاعدام .

---

(١) Paul Hentze - The Plot to Kill the Pope , Op.cit P.6

قبل أن تبدأ محاكمته رسمياً جرت لاغجا عملية استجواب دامت شهرين وشارك فيها بصفة مراقب عناصر من الامن التركي ، كانت مهمتهم على الارجح مساعدة الامن الايطالي في فهم شخصية « أغجا » والتصرفات التي قد لا يجدون لها تبريرا ، بالاضافة إلى استجواب هامشي عن جرائمه السابقة في تركيا ، وعن شركاء محتملين له في تركيا نفسها .

في العشرين من تموز ١٩٨١ اي بعد شهرين من محاولة الاغتيال تمت محاكمة « محمد علي أغجا » في قصر العدل في روما . وقد ترأس هيئة المحكمة القاضي « سيفيرينو سانتيابيشي » يعاونه ستة محلفين واختصاصي في الشريعة الاسلامية . ويومها قال « أغجا » في كلمته امام هيئة المحكمة انه لم يكن ينوي قتل البابا ، ولو اراد ذلك لكان قد افرغ جميع الطلقات التي كانت في مسدسه . وعندما جاء دور محاميه « بيرودو فيديو » وهو محام كلفته المحكمة بالدفاع عن « أغجا » ، قدم طعناً بشرعية هذه المحكمة للنظر في جريمة ارتكبت على ارض دولة اخرى هي دولة الفاتيكان . لكن المحكمة ردت بدورها ان اتفاقية « لاتيران » المبرمة عام ١٩٢٩ ، التي ما تزال سارية المفعول حتى الآن تعطي البوليس الايطالي السلطة على ارض الفاتيكان. وان ايطاليا بموجب تلك الاتفاقية تقاضي الاعتداء على حياة البابا بنفس الكيفية التي تقاضي فيها عملا يمس رئيس دولتها . اعترض « أغجا » بدوره بانه لا يقبل القضاء الايطالي وادعى بانه يعيش في معتقله ضمن شروط لا انسانية ، وانه يعذب ويهدد بالقتل ، وناشد الفاتيكان التدخل ، كما هدد بانه سينفذ اضرابا عن الطعام بعد خمسة اشهر اي في ٢٠ كانون الأول اذا لم تحول محاكمته إلى ارض الفاتيكان . لكن الحكم صدر عليه بعد يومين من بدء المحاكمة اي في ٢٢ تموز ١٩٨١ وقضى الحكم بسجنه مدى الحياة . وقد نقلت الوكالات الغربية انباء الحكم كالتالي[٢] :

« اصدرت محكمة روما اليوم حكما بالسجن مدى الحياة على محمد علي أغجا التركي الذي ينتمي الى الفاشية الجديدة والذي حاول في ١٣ أيار اغتيال قداسة البابا يوحنا بولس الثاني ، وبالاضافة إلى هذه التهمة فقد حوكم « أغجا » على الحيازة غير المشروعة للسلاح واستخدامه لوثائق مزورة » .

وقد اثبت التحقيق القضائي ـ اضافة لوكالات الانباء الغربية ـ ان المتهم كان على صلة وثيقة بالدوائر اليمينية المتطرفة في تركيا ، وانه محكوم عليه بالاعدام في

---

(٢) The Anatomy of a Slander Compaign - Sofia Press.P.16

بلاده لمشاركته في اغتيال رئيس تحرير صحيفة « ميليت » التركية . وانه وبمساعدة الفاشيين الجدد نجح في الهرب من سجنه . ومنذ ۱۹۷۹ وحتى الآن تجول « أغجا » عبر اوروبا بوثائق مزورة[٣] . وقد اضافت وكالة الاسوشيتيد برس يومها[٤] ان « عمر باجشي » الـذي يعتقـد بانـه شارك محمـد علي أغجا في جريمته اعترف بانه زود « أغجا » بالسلاح الذي استخدمه في ۱۳ أيار ۱۹۸۱ . واضافت ان « باجشي » الذي قال امام المحققين بانه لم يكن يعرف شيئاً عن مخططات أغجا لاغتيال البابا ، تم القاء القبض عليه في سويسرا وسلم إلى ايطاليا ، كما تم القبض على تركي آخر في المانيا الاتحادية « موسى سردار سيليبي » في الاسبوع الماضي لعلاقته بمحاولة الاغتيال* .

كما قلنـا فقـد صدر الحكم على « أغجـا » بالسجن مدى الحياة . ورفض « أغجـا » ممارسة حقه في الاستئناف على الحكم . وانتهت المحاكمة بعد ان قرأ القاضي « سانتيابيشي » قرار الحكم الذي كان من خمسين صفحة تضمنت اعترافات « أغجا » والتحقيقات التي جرت معه ، وقد نشر نص هذا الحكم في ٢٥ ايلول من ذلك العام .

وهكذا طويت الصفحة سريعاً بايداع « أغجا » بين اربعة جدران ليقضي بقية حياتـه بعيدا عن الجنس البشري . وراح الظن يتجه إلى ان القضية انتهت باصدار هذا الحكم . غير ان أمراً آخر كان يحاك في الخفاء ، ولم يرد لهذا الأمر ان يظهر الا بعد مرور أكثر من عام ونصف على عملية الاغتيال . وكان من جراء هذا الأمر ان طبخت جيداً مسألة علاقة البلغار ومن ورائهم السوفيات بهذه الجريمة ، وتم في الخـامس والعشرين من تشرين الثـاني ۱۹۸۲ اعتقـال المواطن البلغاري « سيرجي انتـونـوف » نائب مدير مكتب شركة طيران « البلقان » في روما لعلاقة مزعـومـة بهذا الحادث ، وكان ان بدأت ابشع حملة غربية ضد الاتحاد السوفياتي وجمهورية بلغاريا الشعبية ومنظمة التحرير الفلسطينية وسوريا وليبيا .

وقبل ان نتتبع الخيط الزمني الذي اتخذه تصاعد الاتهامات ، سنقف قليلا

---

(٣) Ibid

(٤) Ibid

* ينبغي تذكر هذه البرقيات جيداً ، لأننا سنفاجأ بعد فترة بتغيير ما جاء فيها على لسان كتابها الأصليين

عند الفقرة الاستعراضية ، التي ظهر فيها اغجا في قسم البوليس في روما ليس من اجل التحقيق معه حول اغتيال البابا ، بل من اجل سماع شهادته حول حادث اختطاف الفتاة « ايمانيولا اورلاندي » ابنة موظف في الفاتيكان ، كانت قد اختطفت قبل ذلك بأيام من قبل مجهولين .

خرج أغجا من قسم البوليس فكان عشرات الصحفيين بكاميراتهم في انتظاره في المسافة بين درجات القسم والسيارة العسكرية المصفحة التي كانت بانتظاره . وجاءت الاسئلة لاغجا على النحو التالي(٥) :

● **هل كان البلغار هم الذين أرسلوك إلى ايطاليا ؟ .**

● **هل تتعاون مع السلطات الآن ؟ .**

ـ نعم . وقلت ان الاعتداء على البابا تم من قبل المخابرات البلغارية والـK.G.B

ـ نعم والـ K.G.B قلت بانني قد دربت خصيصا على يد الـK.G.B .

● **أين ومن دربك ؟ .**

ـ دربت في سوريا وبلغاريا . لقد قلت في كثير من المرات انني تدربت على يد خبراء مختصين بالارهاب الدولي .

● **هل سبق لك أن زرت الاتحاد السوفياتي ؟**

ـ زرت الاتحاد السوفياتي لكن لا علاقة لهذا بالقضية . الاتحاد السوفياتي ليس له صلات مباشرة بالارهابيين . انه يستخدم سوريا في الشرق الأوسط وبلغاريا في اوروبا .

● **هل كان لانتونوف علاقة بالحادث ؟**

ـ انتونوف مضبوط .

● **« وايفازوف » ؟**

ـ نعم . نعم . نعم . ايفازوف وكوليف انهم شركائي في هذا العمل .

هذا هو الوصف الذي قدم للقاء أغجا بالصحفيين كما جاء في تقرير مجلة « نيوزويك » الامريكية بتاريخ ٩ تموز ١٩٨٢ ، وصحيفة « نيويورك تايمز » الامريكية في عدد ذات اليوم ، وما جاء في كتاب « سترلينج » المعنون باسم « زمن القتلة » .

لقد بدا أغجا في ذلك اللقاء المرتب بعناية شديد التهذيب ، فقد زعم انه

---

(٥) Claire Sterling -The Time of the Assassins - Angus and Roberston Publishers P.140

ضد الارهـاب ، وقـال انـه نادم على الاعتـداء على حياة البابا ، وابدى اعجابه بشخص البابا ، وشكر القضاء الايطالي على المعاملة الممتازة التي يحيطه بها ، وقال بأنه مرتاح جداً في السجون الايطالية ، كما طالب ايضاً باطلاق سراح الفتاة المسكينة .

في ذلك اليوم ، كما قلنا ، ذهب أغجا للادلاء بشهادته حول اختطاف الفتاة « اورلاندي » وكان مختطفو هذه الفتاة القاصر ، قد طالبوا من اجل اطلاق سراح الفتاة ان يتم الافراج الفوري عن أغجا ، وتأمين سفره إلى المانيا الاتحادية ، وهددوا بقتلها في حال رفض السلطات الايطالية الاذعان إلى مطالبهم .

اذن ها هو « أغجا » وبعد عام ونصف من شهادته الأولى عن سوء المعاملة التي يلقاها على يدي القضاء الايطالي ، وبعد ان هدد بالاضراب عن الطعام ان هو لم يرحل إلى محكمة الفاتيكان ، ها هو الآن يشيد بالمعاملة الحسنة التي يلقاها ، فما الذي حدث حتى تغيرت المعاملة التي يلقاها قاتل مثل أغجا ؟ وهل صحيح انه قرر فجأة ان يخرج عن صمته ، ويتعاون مع محققيه في كشف المخططين الحقيقيين ؟ ولماذا ذلك التوقيت بالذات ؟ وما علاقة ذلك بحادث اختطاف الفتاة ؟ وما هي الاجـراءات التي اتخـذت لالقـاء مثـل هذه القنبلة ؟. في البدء نجيب عن سؤال التوقيت ، وعلاقته باختطاف الفتاة لأن ذلك ضروري استنادا إلى فهم الاطار الذي تحرك منه أغجا ، والقادر على التحرك منه مستقبلاً .

اختـطفت الفتـاة الايطالية ذات الخمسـة عشر ربيعاً بتاريخ ٢٢ حزيران ١٩٨٢ . وفور حادث الاختطاف ، اتصل رجل يتحدث الايطالية الركيكة بمكتب وكالة الانباء الايطالية (A.N.S.A) في روما . طالب ذلك الرجل بلهجته الركيكة باطلاق سراح « أغجا » مقابل اطلاق سراح الفتاة . وانتهت المكالمة ، واحيطت السلطات الايطالية علما بذلـك وجـرت عدة مكـالمات اخرى بين الخاطف وبين الجهات المعنية . وكانت مطالب الخاطف تتلخص بالتالي : اما اطلاق سراح أغجا او تعذيب الفتاة وقتلها . وامعاناً في اظهار نواياهم الصارمة ارسلوا شريطاً مسجلاً احتوى على صرخات تعذيب ، كانت تشير إلى ان مصيراً كهذا ينتظر الفتاة . لم يكتف الخـاطف (او الخـاطفـون لا خلاف) بذلـك ، بل ارسلوا إلى صحيفـة « ميساجيرو » الايطالية رسالة يحذرون فيها من مغبة الاستمرار في احتجاز « أغجا » و « سردار سيليبي » و « رفاقنا الاخرين » . (كما ورد في الرسالة التي هددت بالمزيد من الاعمال الانتقامية) .

وحتى الآن لا تزال القضية في اطارها الظاهري . والسؤال الذي يبرز هنا

هو : هل كانت حادثة الاختطاف تلك قضية حقيقية نفذها رجل او رجال مخلصون لرفاق لهم في السجن ، ام كانت حادثة مفتعلة قصد بها ان تكون ذريعة لأغجا كي يعلن التوبة والندم ؟.كان اختطاف الفتاة عملاً بشعاً ، ولابد لأي قاتل مهما بلغت قسوته الا ان يستنكر مثل هذا العمل ويدينه . وما دامت هذه العملية قد تمت لحساب أغجا ، فهي مناسبة ان يظهر إلى الملأ مستنكراً هذه الفعلة ومن يقف وراءها ، وفي الوقت ذاته مستنكراً فعلته السابقة باغتيال البابا . هذا الموضوع سيغير صورته إلى حد ما في اذهان الناس القلقين على مصير الفتاة ، من صورة قاتل إلى صورة تائب لا يستنكر فعلته فحسب بل يشي بمن خطط ووقف وراءها .

كانت التخريجة المناسبة لالصاق التهمة بجمهورية بلغاريا الشعبية والاتحاد السوفياتي من رجل وديع يبدي من التوبة ما تتفطر له القلوب ، فكل الاحتمالات المستخرجة من هذه القضية تشير إلى هذا الاستنتاج الذي لا ثاني له ، وإلا لماذا انتظر الخاطفون المزعومون كل هذه المدة الطويلة لانقاذ زميلهم اذا كان خيالهم الضعيف يهيىء لهم انهم قادرون باختطاف الفتاة على انقاذ حياة رفيقهم وايصاله إلى بر السلامة ؟ . التفسير الوحيد هو ان أغجا الذي راح منذ فترة ، ينصاع لما يؤمر به داخل السجن يريد مناسبة تعيده إلى صدر الصفحات ، حتى يستطيع بادانته لعمل لا اخلاقي من هذا النوع ان يدين فعلته السابقة . لقد وضع أغجا طيلة الفترة السابقة تحت الحراسة المشددة وكان الخوف من انقاذه من سجنه هاجساً مستمراً لسلطات الأمن الايطالية ، فقد سبق للتنظيم الذي يقف وراء أغجا « الذئاب الرمادية » ، أن استطاع تهريبه من سجن « كارتال مالتيب » الذي يعتبر اشد سجون تركيا ، وربما العالم ، تحصيناً .

لقد مضى اكثر من عام ولم يتقدم احد لنجدته ، ودون ان يدعي تبني العمل الذي قام به أغجا . وكان المطلوب ان تتم عملية يقصد بها اثارة الاشمئزاز في النفوس ، فكانت عملية اختطاف فتاة قاصر وتهديدها بالتعذيب والاغتصاب وربما القتل . لقد كادت القضية ـ اي أغجا ومحاولة اغتياله للبابا ـ تطوى رغم مقال هنا ومقال هناك . وكان من الضروري بعث المسألة بعثاً مأساوياً على نحو لا يجد القاتل معه سوى التبرؤ من عمله واظهار التوبة . لقد تم ولا شك ، درس الامر بعناية فائقة ، فأخذت كافة الاحتياطات اللازمة قبل ان تتم صياغة قصة هي من اعجب قصص الخيال القضائي حتى الآن . لقد جاءت الفرصة الذهبية من السماء ، او ربما صنعوها هم لا فرق ، المهم انها جاءت . فلماذا لا تتم الاستفادة منها حتى آخر الشوط في حرب الادارة الامريكية ضد هيبة العالم الاشتراكي في العالم ؟ .

هذا ما فعلته الادارة الامريكية عبر اجهزتها المتنوعة ، والمنتشرة في اكثر من مكان . وهكذا راحت جوقة الغرب بمجموعها ، تعزف على وتر العلاقة المزعومة لجمهورية بلغاريا الشعبية ، وراح الصحفيون الغربيون يعيدون رسم صورة أغجا كيساري يتخفى بثوب « ذئب رمادي » . غدا « أغجا » يساريا يستخدم المنظمات اليمينية والفاشية من اجل تنفيذ مخططات السوفيات في العالم .

ولم يقتصر الأمـر على اعـادة تشكيل صورة أغجـا من جديد ، بل راحت العقول الغربية البارعة في تضخيم خطر « الفزاعة السوفياتية » تصوّر الأمر كما لو ان جميع الاحـزاب في العالم ـ يمينها ويسارها ـ هي بيد الاتحاد السوفياتي ، فاينما وجدت ارهاباً فتش عن السوفيت هذا ما نصح به الاعلام الغربي قارئه ومستمعه .

وعلى ضوء هذا التحليل تتساوى الاشياء فلا ابيض ولا اسود ، ولا مبادىء للاحزاب ولا صراع بينها . الكل من اليسار إلى اليمين ادوات يستخدمها السوفيات بشكل مباشر لزعزعة استقرار بلدان حلف الاطلسي وذلك تمهيداً لاحتلالها ! او وضعها في الفلك السوفياتي ، او ـ على اقل تقدير ـ ابعادها عن الولايات المتحدة حليفة اوروبا البعيدة .

لقـد برع الاعـلام الغربي فراح يصور وجود الجواسيس السوفيات في كل مكان . وانطلاقاً من ذلك ، فزعيم حركة « الذئاب الرمادية » في المانيا الاتحادية ، تلك الحركة التي ما انفكت تقتل الشيوعيين اينما وجدتهم ، هو عميل للسوفيات ، والزعيم العمالي الايطالي « سكريسيولو » الذي لعب دوراً بارزاً في استقطاب العطف لحركة « ليش فاليسا » وكان من ابرز المنظمين لزيارته إلى ايطاليا هو أيضاً في الرواية الغربية عميل سوفياتي منذ الخمسينات ، ودعا فاليسا إلى ايطاليا من اجل التحضير لاغتياله بناء على اوامر من السوفيات .

وسنـأتي في سياق فصـل مستقل على تحليل النظرية الغربية والكشف عن جوانب الخلل والارتباك التي ظهرت بالرغم من كل الاتقان في الاخراج . لكننا سنستعرض الآن بعد ان تفاجأنا بتوبة « أغجا » الخيط الزمني الذي قاد إلى ذلك ، والـدور الـذي لعبتـه الصحـافـة الاوروبية الغـربية والامريكية وأجهزة الاعلام الاخرى ، ودوائر الامن والمخابرات في صياغة علاقة بلغاريا على هذا النحو .

في هذا الماراثون المعادي لجمهورية بلغاريا الشعبية والاتحاد السوفياتي كانت الصحفية الامـريكية « كلير ستـيرلنـج » السباقة حيث كتبت في ايلول من العام ١٩٨٢ مقالا في مجلة « ريدرزدايجست » الامريكية لفتت فيه الانظار إلى افكارها حول علاقة البلغار . وطبقاً لما تقوله « ستيرلنج » في هذا المقال ، فإن أغجا الذي

كان يعتقد بانه رجل يميني وفاشي ، انما هو في حقيقة الأمر ينفذ مخططاً شيوعياً تم الاعداد له منذ زمن طويل ، وادعت « ستيرلنج » في مقالها المذكور ان أغجا حصل على اداة جريمته ووثائقه المزورة في بلغاريا حيث امضى هناك فترة (٥٠) يوما ، ابلغ خلالها بالكيفية التي عليه بها ان ينفذ جريمته . « كلير ستيرلنج » كما يعرف قراء مجلتها صاحبة ارتباط لا شك فيه بالمخابرات المركزية الامريكية ، وكان لها باع طويل في نسج القصة عن علاقة أغجا بالبلغار . وقد ظهرت فكرتها تلك مطورة وموسعة في كتاب بعنوان « زمن القتلة » الصادر عام ١٩٨٣ عن دار نشر « انغوس وروبرتسون » في لندن . وسنأتي في فصل لاحق على مناقشة افكار هذا الكتاب بالتفصيل . ولكن ما تجدر الاشارة إليه هنا ان فكرة هذا الكتاب ليست بالجديدة ، فقد سبق لنفس الكاتبة ان ألفت كتاباً بعنوان « الشبكةالارهابية » وفيه تتناول مسألة الارهاب الدولي وتحيلها في النهاية إلى الاتحاد السوفياتي .

« بول هنتسه » كتب في كانون الأول ١٩٨١ مقالا في صحيفة « اتلانتيك كوميونتي » مفاده ـ ايضاً ـ ان « أغجا » لم يكن من النازيين الجدد ، بل كان عميلاً قديمًا لمجموعة يسارية متطرفة كانت تنفذ مخططات لحساب السوفيات ، ولم يقدم « هنتسه » في مقاله ذلك اية ادلة أو براهين على نظريته ، واكتفى بان قال في معرض تبريره لهذا الاستنتاج : « كما نعرف حتى الان فقد اقام أغجا لبعض الوقت في بلغاريا عام ١٩٨٠ » . والسؤال هو ما دام « هنتسه » لم يكن بهذا الوثوق من الادلة المتوفرة لديه ، فلماذا وضع هذه الاشارات والاتهامات ؟ . هل كانت تهيئة لمقالات أخرى في هذا السياق ؟ . كان المقال في جوهره ، كما كان مقال « ستيرلنج » ، افتتاحاً للمعركة التي لم تنته حتى الآن . لقد الحق « هنتسه » مقاله ذاك بمقال آخر في مجلة « وول ستريت جورنال » الامريكية ، وادعى فيه بأن الاتحاد السوفياتي في سعيه الحثيث لزعزعة استقلال تركيا ، يستخدم الارهابيين اليمينيين واليساريين . واستشهد على نظريته تلك باغجا باعتباره اقرب النماذج الحية . ومثل « ستيرلنج » ، فان « هنتسه » سيفرد لاحقاً كتاباً لهذه الغاية تحت عنوان « مؤامرة اغتيال البابا » وسيفرد فصلا عما اسماه « مساعي السوفيات لتهديد امن واستقرار تركيا » .

التقطت فكرة « ستيرلنج » و « هنتسه » شبكة التلفزيون الامريكية (N.B.C) فقدمت فيلمًا وثائقياً تحت عنوان « الرجل الذي اطلق النار على البابا » . في ذلك الفيلم ظهر اسم « ستيرلنج » و « هنتسه » باعتبارهما مستشارين لمعدي البرنامج « ماروين كالب » و « بل ماكدفين » . قام الفيلم المذكور بتقديم الفكرة

اياها ، وحسب الوكالات الغربية[٦] فقد تضمن الفيلم بثاً وثائقياً بالاحداث ابتداءً من ١٣ أيار ١٩٨١ وهو التاريخ الذي حاول فيه أغجا اغتيال البابا حتى ساعة اعـداد البرنامج . وتعرض الفيلم الوثائقي إلى الودائع التي كانت باسم أغجا في البنوك التركية ، وخلص منها إلى ان الشخص الذي اودعها لم يكن أغجا ، بدليل اختلاف توقيع المودع عن توقيع أغجا الذي سحب بعضاً منها .

ثم انتقل معدا البرنامج إلى المكان الذي تم فيه اغتيال « ابتشكي » وصورا عملية هروب أغجا اللاحقة من سجن « كارتل مالتيب » وقالا : ان مساعدة أغجا على الهـروب من سجنـه كانت عملية خطيرة ، وكـانت تعني انـه سيستخدم في المستقبل كاداة ، كقاتل . ثم توصل معدا البرنامج إلى إقامته المزعومة في بلغاريا فرددا نفس النظريات التي خرج بها مستشارا البرنامج .

« كلير ستيرلنج » عادت فجددت ما جاء في مقالتها في « الريدرز دايجست » امام لجنة رئاسية امريكية لمراقبة تنفيذ اتفاقيات هلسنكي في ٢٣ ايلول ١٩٨٢ ، وجاء في وصف اعمال هذه اللجنة كما أوردت اذاعة صوت امريكا في ٢٣ ايلول ١٩٨٢ ما يلي :

« استمعت اللجنـة الرئاسية المكلفة بملاحقة اتفاقيات هلنسكي اليوم في واشنـطن إلى شهـادات من اشخـاص موثـوقـين فيما يتعلق بالمعلومات الواردة في الصحافة الحرة عن الاشتراك المحتمل للمخابرات السوفياتية والبلغارية في المحاولة التي تمت في العام الماضي ضد حياة البابا يوحنا بولس الثاني[٧] . الشاهد الرئيسي امام هذه اللجنة كانت الصحفية الامريكية الاصل« كلير ستيرلنج » التي تقيم في ايطاليا ، والتي كانت قد نشرت في عدد ايلول من مجلة « الـريدرز دايجست » ، نتـائج التحقيق المثير الذي اجرته طيلة عام لحادث الاغتيال الذي نفذه الارهابي التركي البالغ من العمر ٢٣ عاما .

وقـد شكـرت رئيسة اللجنة السيدة « فينويك » ستيرلنج على جهودها التي لولاها لمرت الحادثة دون ان ينتبه لها احد » .

الحكـاية ان شئنـا ، تعـود إلى وقت ابكـر من ذلك بكثير . ففي ١٧ أيار ١٩٨١ ، اي بعـد اربعـة ايام من حادث الاعتـداء على حياة البـابا كتبت مجلة « الكـريستيان ساينس مونتيور » الأمـريكية مقـالاً قالت فيه : « إن أوساط روما

---

(٦) The Anatomy of a slander Campaign - Sofia Press P.14

(٧) Ibid - P.17

تتداول ، قصة مفادها ان أغجا ارهابي يعمل لحساب القذافي . وان القذافي كان قد زار الاتحاد السوفياتي في نيسان ١٩٨٠ ، وعرض على السوفيات انه يتكفل بتخليصهم من البابا كجزء من الخطة لوقف الاضطرابات في بولندا(٨) . بعده بأيام كتب « سدني هو » الصحفي الامريكي عمودا في صحيفة « واشنطن ستار » ١٤ حزيران ١٩٨١ ، تحدث فيه عن مؤامرة دبرتها الـ K.G.B لاغتيال البابا ، وانهى عموده بالنتيجة التالية : من يصدق هذه الحكاية يكن معتوها .

هكذا اذن ابتدأ الأمر بشباك القتها وسائل الاعلام الغربية ، وكان الهدف منها التقاط الانتباه من اجل عملية الصيد الكبيرة القادمة . وظهر الأمر كما لو كان متعلقاً بجرأة الصحفيين ومقدرتهم في الوصول من تحقيقاتهم إلى نتائج تخصهم . وقد استقطبت رصيداً كبيراً من القراء ، وكان مطلوبا بين الفينة والاخرى احياء الموضوع لأمر جديد يكون له طابع الطرافة . فهذه « الباري ماتش » المجلة الباريسية المغرقة في يمينيتها تطلع على قرائها في كانون الأول ١٩٨٢ بتحقيق من صفحتين عن حادث الفاتيكان . لقد تضمن التحقيق صورا لمشهد محاولة الاغتيال . وفي زاوية من الصورة بدا وجه احد الحاضرين بنظارتين وشارب كث . وحملت الصورة في اسفلها التعليق التالي : البلغار يهاجمون البابا . اما قراءة نص المقال فانها تعلمنا أن الشخص المشار إليه في الصورة هو المواطن البلغاري « سيرجي انتونوف » نائب مدير شركة خطوط « البلقان » في روما .

بعد نشر الصورة تبين ان الرجل المعني لم يكن « انتونوف » بل كان سائحاً اميركيا تعرف على صورته واعترف بذلك . وقد اقر قاضي التحقيق الايطالي « مارتيلا » بهذه الحقيقة ، غير ان الحملة مع ذلك لم تقف ، وراح العقل الغربي يخطط لمزيد من الاقاصيص . وقبل ان ننتقل إلى طرف من هذه الاقاصيص التي تحتاج إلى مجلدات لاستيعابها كاملة ، لا بأس ان نقف قليلا عند الصورة المذكورة . فقد نشرت مجلة « كوفرت آكشن » الامريكية المتخصصة في فضح العمليات السرية ، التي تقوم بها المخابرات المركزية الامريكية ، لدعم الحركات الرجعية في مسعاها لقلب حكومات بلادها الثورية ، في عددها رقم ٢١ والصادر في آذار ١٩٨٤ ، تعليقاً مطولاً على الصورة : ومما جاء في تعليق هذه المجلة المستقلة :

« ظهر في عدد مجلة « التايم » ٢٧ كانون الأول ١٩٨٢* صورة قصد منها

---

(٨) Baul Hentze-The Plot to Kill the Pope , Op.cit P.10

* مقال مجلة « التايم » الأمريكية هنا ظهر متزامناً مع مقال مجلة « الباري ماتش » الآنف الذكر .

تعزيز القناعة العامة حول المؤامرة البلغارية ـ السوفياتية لاغتيال البابا . نظريتهم تقول ان التركي محمد علي أغجا الذي اطلق النار على البابا ، كان اجيراً للمخابرات البلغارية ، والتي هي صنيعة المخابرات السوفياتية التي كان يرأسها ذات يوم يوري اندروبوف . . ان البلغاري الوحيد الذي اعتقل واتهم بمحاولة الاغتيال هو « سيرجي انتونوف » العامل سابقاً في شركة خطوط « البلقان » البلغارية في روما . وما ان مضى على اعتقاله بضعة ايام حتى نشرت الصورة التي نشاهدها هنا لرجل يشبه « انتونوف » شبها كبيراً ، ويقف إلى جوار البابا لحظة اطلاق النار عليه . . » .

وبعد ان يخلص مقال المجلة إلى التأكد من وجود « انتونوف » في مكتبه بشركة الخطوط الجوية اثناء الحادث وذلك بشهادة العديدين واقتناع قاضي التحقيق « مارتيلا » بذلك ، يصل إلى السؤال التالي : اذن من هو ذلك الشخص الذي بدا كما لو كان توأما « لانتونوف » . ويرى ان هناك احتمالا بان تكون الصورة قد زورت باضافة وجه « انتونوف » لما لا يجاد دليل على وجوده في الساحة اثناء تنفيذ العملية .

ويضيف المقال : ان تقنية من هذا القبيل ليست مستحيلة ، وهي منتشرة في العالم على نطاق واسع وان هناك جهازاً يسمى « هل كروماكوم كومبيوتر » نسبة إلى مخترعه الالماني « رودلف هل » يستطيع اضافة اي شخص إلى اي صورة دون ان تتم ملاحظة الأمر ، وهكذا يخلص المقال إلى القول « وفي السعي المستميت إلى خلق علاقة للبلغار بحادث الاغتيال فان صورة مزورة لا تغدو نشازاً قياسا بالعمليات السابقة(٩) .

ونعود مجدداً إلى الحملة التي قادها الغرب لنقول ان الأمر لم يقتصر على الصحافة ووسائل الاعلام فحسب ، بل تعداه إلى الاستنجاد بالمنشقين . فها هي « النيويورك تايمز » في عددها الصادر في ٢٣ آذار ١٩٨٣ تكتب ان المعلومات التي جمعتها تؤيد الاقوال التي جاءت على لسان « أغجا » من انه عمل بوحي من المخابرات البلغارية ، ومن ورائها السوفياتية . فما هي المعلومات التي جمعتها هذه الصحيفة المحترمة ؟ . انها استشهادات من المنشق البلغاري « يوردان مانتروف » الذي كان ـ حسب ادعاءات الصحيفة ـ نائبا للملحق التجاري في السفارة البلغارية في باريس ، والذي طلب حق اللجوء السياسي في فرنسا عام ١٩٨١ .

« مانتروف هذا ـ حسب ما تقول الصحيفة ـ اخبر دوائر الامن الفرنسية ان

---

(٩) Convertaction . Magazine, no.21, March 1984 , Washington D.C.

مؤامرة اغتيال البابا خطط لها كل من الـ K.G.B والمخابرات البلغارية . وحسب رأيه فان هذين الجهازين يعتقدان ان البابا يلعب دورا متميزا في نشاط الولايات المتحدة لاسقاط الحكومة البولندية ، وبابعاد بولندا عن المعسكر الاشتراكي . ووفقاً للمجلة فقد قال « مانتروف » الذي كان اثناء محاولة اغتيال البابا ما يزال موظفا في السفارة البلغارية في فرنسا ، انه كان صديقا لاحد المسؤولين في فرع الاستخبارات المضادة في بلاده وهو « ديميتر ساسوف » وان « ساسوف » هذا اخبره ان الـ K.G.B وصلت عام ١٩٧٩ إلى قناعة مفادها ان انتخاب البولوني « كارول فويتيلا » بابا ، قد خطط له بريجنسكي والهدف منه اثارة مزيد من عدم الاستقرار في بولندا .

وتابعت الصحيفة اراء « مانتروف » من ان السلطات السوفياتية رأت في تصفية البابا ضرورة ، واوكلت الأمر للبلغار . وان أغجا اختير لهذه المهمة القذرة لأنه معروف على نطاق العالم بانه يميني ولا تربطه اية روابط باي بلد شيوعي .

انتهت رواية الصحيفة . وفي هذا السياق من المهم ان يعرف القارىء شيئا عن « مانتروف » هذا ، الذي يحاط في الغرب بهالة منشق كبير . فقد جاء في رسالة بويان ترايكوف مدير عام « وكالة الانباء البلغارية » إلى « اثر سلزبيرغر » رئيس تحرير صحيفة « نيويورك تايمز » : ان « مانتروف » لم يكن في يوم من الايام موظفا في السفارة البلغارية في باريس ، بل كان موظفا في شركة « اغروماشين ايمبكس » كميكانيكي ، وقد تورط في اختلاسات مالية تطلبت استدعاءه إلى بلاده ففر إلى الغرب وهو من اجل هذا على استعداد لقول اي شيء .

ومثل الصحف ووكالات الانباء ووسائل الاعلام الغربية ، فقد عمد مؤلفو الكتب حول الحادث إلى الاستنجاد ايضاً بشهادات المنشقين . فقد عمد « بول هنتسه » في كتاب « مؤامرة اغتيال البابا » إلى الاستشهاد بآراء سفير بولندا السابق في اليابان « يبسلاف رورارز » الذي هرب إلى الغرب في كانون الأول ١٩٨١ ، وكانت تأكيداته كالعادة هي ان الاتحاد السوفياتي يقف وراء محاولة الاغتيال[١٠]

والان وقبل ان نعود إلى « أغجا » لنعرف ما الذي جعله يغير من افادته الأولى ، ينبغي ان نجيب عن سؤال حول مغزى هذه الحملة ولماذا اتخذت هذا الاتساع ؟ . لماذا صمتت الصحافة منذ لحظة الاغتيال في ١٣ أيار ١٩٨١ وحتى ايلول ١٩٨٢ ؟ لماذا نسي الموضوع - رغم اشارات هنا واشارات هناك ؟ .

هل كانت تجري في الخفاء عملية توزيع الادوار بحيث تُعطى لكل جهاز

---

(١٠) Paul Hentze - The Plot to Kill the Pope , Op.Cit P.16

مهمةٌ محددة ودورٌ يبدأ بانتهاء غيره ؟ . لماذا كان الاعلام الغربي يبتلع القصة بعد ان يتضح انها غدت كذبة ، ويقوم سريعا بطرح غيرها ؟ . للاجابة عن هذه الاسئلة ينبغي النظر إلى الحملة ضد بلغاريا في سياق الحرب الطويلة بين النظامين الاشتراكي والرأسمالي . لقد جاءت في اعقاب المحاولات الفاشلة التي بذلتها الولايات المتحدة بخاصة والغرب عامة من اجل قلب نظام الحكم في بولندا .

انها مرحلة في حملة اعداء الاشتراكية ضد الاشتراكية . لقد ارادوا من خلال اتهام بلغاريا بقتل زعيم ديني يحظى بحب واحترام الملايين ، تشويه سمعتها في العالم كمقدمة لتشويه الاشتراكية ذاتها . كان المقصود استقطاب عطف اكثر من جهة . فهناك اولا ملايين الكاثوليك في الاتحاد السوفياتي وبولندا ، والدول الاشتراكية الاخرى . ولا شك انهم سيغضبون لاي ضرر قد يصيب رأس الكنيسة الكاثوليكية . كانت الادارة الامريكية تأمل بان يتحرك هؤلاء ضد حكوماتهم . كان مقصوداً ايضاً الغرب نفسه . فقد نشطت فيه - في السنوات الاخيرة - دعوات احياء التعايش السلمي . وكانت تسوده رغبة حقيقية في انجاح محادثات الحد من الاسلحة النووية ، التي كانت ستقود إلى ابعاد الصواريخ الامريكية عن ارض اوروبا . وكان المطلوب ايضا تشويه النموذج الاشتراكي في اذهان شعوب العالم الثالث ، ولا سيما أن الكاثوليكية في كثير من دول امريكا اللاتينية ، دين الاغلبية ، وتلعب دورا هاما في وعي الناس . كان المطلوب ان ينحرف النضال من صبغته الطبقية الاجتماعية المعادية لمخططات الولايات المتحدة العدوانية إلى عداء للأنظمة الاشتراكية التي يتم تصويرها ، باعتبارها دولا لا تخدم الدين ولا رموزه .

لقد نشطت عمليات غسل الدماغ الامريكية في حملة لم يسبق لها مثيل . ولم يطل التشويه النظام الاشتراكي في بلغاريا فحسب ، بل طال الشعب البلغاري نفسه . فهو كما تكشفت عنه عبقرية « الريدرز دايجست » شعب يتمتع بتقاليد ارهابية ، فكل ما هو سيء يحاك في صوفيا وبين ظهراني هذا الشعب . فهناك يجتمع القتلة ومهربو المخدرات والسلاح وتجار الرقيق ، وما شئت من هذه القائمة ، في ضيافة الشعب البلغاري الذي يساعدهم على تنفيذ اعمالهم التخريبية في اوروبا الديمقراطية .

هكذا اذن تتحول صوفيا وبفعل الماكينة الاعلامية الامبريالية - إلى عاصمة للارهاب الدولي ، في حين انها في حقيقة الأمر الجارة التي تزود تركيا بثمانين بالمائة من احتياجاتها من الكهرباء ، والجارة التي تتحمل يوميا مرور عشرات الالوف من الاتراك العائدين إلى بلادهم او المغادرين منها .

هكـذا وبحـركة دراماتيكية سيتم استدعاء السفير الايطالي من صوفيا إلى بلاده ، وتوضع العلاقات بين البلدين في ثلاجة الحرب الباردة التي لا يستفيد منها سوى الـولايات المتحـدة ، وتقـطع العـلاقـات الدبلوماسية ، وتتوقف المشاريع الاقتصادية والتجارية التي تعود على البلدين بالخير .

وينبغي الاشـارة هنـا إلى ان الحكـومة الإيطالية تجاوزت حدود العلاقات المتعارف عليها في حالات مماثلة . ولم يقتصر الأمر على انحياز قضاتها ـ كما سنرى ـ نحـو الخطة التي حيكت لتوريط البلغار ، بل راح وزراؤها ولا سيما وزير الدفاع « لاجـوريو » ، يتحـدثون علنا عن خطة سوفياتية لزعزعة استقرار ايطاليا ، وان الاتحاد السوفياتي ارتكب شيئا مماثلا يشبه اعلان حرب ! . يجري ذلك كله دون ان يكلف الوزير والمخططون الاصليون لقصة علاقة البلغار انفسهم عناء الكشف عن مزيد من الاثباتات ، غير ان « أغجا » مر في طريق خروجه من تركيا ببلغاريا . فقد مر واقام في بلدان اوروبية كالمانيا الاتحادية والنمسا وسويسرا ، وفرنسا ، واسبانيا ، وقد امضى في كل بلد من هذه البلدان اضعاف المدة التي قضاها في بلغاريا ، كما امكن التحقق من ذلك .

فلماذا اذن بلغـاريا من بين هذه الـدول جميعـا ؟ . الجـواب لأنها المحطة الاشتراكية الوحيدة ، ولأن الحرب الباردة ، مبرر في سبيل اشعالها ، كل شيء ، بما في ذلك الاكاذيب . وقد يكون مهما ـ هنا ـ الاستماع إلى شهادة احد الخبراء الدوليين الامريكيين ممن لا يعتبر صديقا للسوفيات ، انما وجد نفسه مضطرا للحديث نتيجة تفاهة الاتهامات .

« لا موسكو ولا صوفيا وراء محاولة اغتيال البابا »[11]

تحت هذا العنـوان نشرت الـوكالة الوطنية الايطالية للمعلومات السياسية والاقتصـادية (A.N.I.P.E) مقـابلة مع « لويجي كافالو » عضو معهد الدراسات الاسـتراتيجية في واشنـطن ، الصحفي والكـاتب والخبـير في الشؤون العسكرية والاسـتراتيجية ، ومن المـطلعين جيدا على الوسائل التي تعمل من خلالها اجهزة الاستخبارات في العالم . جاء في بعض الفقرات ما يلي :

سؤال : يعتقد الدكتور « ايلاريو مارتيلا » قاضي التحقيق بان « محمد علي أغجـا » شاهد تحقيق موثوق . هل تعتقد بان وصف الطريقة التي تم بها تنظيم محاولة الاغتيال كما جاءت على لسان وزير الدفاع « لارجوريو » امام مجلس النواب

(١١) Asubversion of the neocrusaders . Sofia Press 1983 , P.36

الايطالي تستند إلى اسس حقيقية ؟ .

جواب : ان ممثلي اجهزة الاستخبارات في كل من واشنطن ولندن وبون وانقرة والقدس ، يشككون بالوصف الذي قدمته المخابرات الايطالية عن وجود « مؤامرة » عالمية . ان الوزير الاشتراكي « لاجوريو » وبعض القضاة ممن افرحتهم الشعبية التي يحظون بها في العالم من خلال بياناتهم ، باتوا يقلقون من ان نظرياتهم الافتراضية عن وجود مؤامرة عالمية في واد ، ونتائج التحقيق في واد آخر . وما يقدمونه من دلائل لم يصمد امام التحليل البسيط .

سؤال : مع ذلك فقد كان هناك وما يزال أدلة ؟ .

جواب : خلال ستين عاما من عمره لم يقم الاتحاد السوفياتي بتصفية اي زعيم دولة حتى ولو كان اسمه « ادولف هتلر » . كما ان الـ K.G.B لم تقم بعمل مضاد لرجالات دول العالم الرأسمالي . او حتى ضد البابوات السابقين من ذوي الميل الاطلسي مثل البابا بيوس السادس ، او يوحنا بطرس الثاني .

سؤال : لماذا اخترع القاتل التركي العلاقة مع البلغار ؟ .

جواب : كي يبرىء « الذئاب الرمادية » حسب ما اعتقد . والسؤال هو : هل وجد الحجج المضادة للسوفيات والوعود التي قدمت له من قبل اجهزتنا الامنية مرضية ؟ انها ولا شك ـ اي الاجهزة الامنية الغربية ـ هي التي زودته بالمادة اللازمة لحديثه وبالاجوبة اللازمة لقاتل .

بعد هذا الحديث الضروري عن الاشكال التي اخذتها الحملة ضد بلغاريا ، صار لزاما ان نفحص بتدقيق اكبر الذين يقفون خلفها ، وسنبدأ « بكلير ستيرلنج » ، مع اننا سنكرس فصلا لمناقشة الافكار الواردة في كتابها وكتاب زميلها « بول هنتسه » .

في مقال لصحيفة « هيلسينن سانومات » الفنلندية البرجوازية بعنوان « الـ K.G.B ومحاولة اغتيال البابا »[١٢] حديث تفصيلي عن « كلير ستيرلنج » الصحفية ذات الاصل الاميركي . ومما جاء في المقال انها عاشت سنوات طويلة في ايطاليا ، وان الارهاب هو موضوعها المفضل . وقد كان موضوع كتاب ألفته عام ١٩٨١ تحت عنوان « الشبكة الارهابية » . تخلص « ستيرلنج » إلى نتيجة ان الاتحاد السوفياتي هو مصدر الارهاب الدولي . ليس ذلك فحسب ، بل تضع في قائمة المشجعين على الارهاب الدولي مجلس السلم العالمي ، والمهاجرين التشيليين في اوروبا . كما تعتبر

---

(١٢) Ibid . P50

« الوف بالمه » رئيس وزراء السويد السابق احد المدافعين عن الارهاب ، كما تعتبر عاصمته استوكهولم مأوى الارهابيين !

حسناً لقد وصلت « ستيرلنج » إلى هذه الاستنتاجات . ولكن من الذي ساعدها على ذلك ؟ . يظهر من قائمة المصادر الموثوقة التي تعود لها « ستيرلنج » في كتاباتها اسماء مثل « براين كوريير » و « روبرت موس » و « م. ليدين » و « زابورشغريف » . ولكن ما الذي تعرفه عن هؤلاء » ؟ .

اولا - يمكن اعتبار « كوريير » و « موس » عميلين رسميين للمخابرات المركزية الاميركية ، وقد اقام هذان الشخصان وبمساعدة الأموال المأخوذة من الـ C.I.A مركزا لدراسات النزاعات الدولية . كما عمل « موس » كاتبا لخطب رئيسة الوزراء البريطانية مارغريت تاتشر النارية التي لم تخل إحداها ومنذ ان نزلت في ١٠ دوانغ ستريت من هجوم صريح أو مبطن على الاتحاد السوفياتي .

هؤلاء المشهورون بتجنيدهم للحرب الباردة ، كانوا المرجع الذي استندت له « ستيرلنج » التي عملت حتى عام ١٩٦٨ في مجلة « ريبورتر » التي توصف بانها « صوت الحرب الباردة » . وانتقلت بعدها للعمل في « الريدرز دايجست » - المختار ، التي هي مجلة المخابرات المركزية الاميركية الانيقة . ولكن اذا كان « أغجا » ارهابياً يعمل بإمرة موسكو ، فما هي الحيثيات التي اتبعتها « ستيرلنج » للكشف عنه ؟ . تجيب صحيفة « زاروبيجوم السوفياتية » في عددها الصادر في ١١/ شباط ١٩٨٣ بما يلي :

١ - اذا كان الارهابي أحمر فهو يعمل بإمرة موسكو .

٢ - اذا كان الارهابي يمينيا فانه يتعامل سراً مع الحمر وبامرة من موسكو .

٣ - اذا كان السلاح المستخدم في العملية روسيا فهذا دليل على ان الارهابي يتلقى أوامره من موسكو .

٤ - اذا كان السلاح المستخدم في العملية من دول الناتو فإن « الالوية الحمراء » هي التي سرقته وهي تعمل بأمر من موسكو .

٥ - واذا قادت جميع الدلائل إلى استنتاج معاكس فعلينا ان نتذكر ان الارهابيين الحمر واليمينيين يعملون بشكل مشترك .

ورغم ذكاء الاجهزة الغربية الاعلامية فيما يتعلق بصياغة القصص الصحفية وخبرتها الطويلة في هذا المجال ، الا ان جميع القصص احتوت نقاط خلل فاضحة . ومع ذلك فقد تواصلت العملية ضمن جوقة منظمة شاركت فيها الادارة الاميركية وجهازها الرئيسي الـ C.I.A ، والصحافة الغربية والقضاء الايطالي في

صياغـة رأي عام دولي معـاد لبلغـاريا . وانتهت إلى اعتقـال المـواطن « سيرجي انتونوف » من مقر عمله في روما .

لقد تم اعتقال « انتونوف » في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٨٢ ، وقد سبق ذلك كما قلنا ، كتابات مسهبة عن علاقة البلغار بحادث الاغتيال . تبعتها قصة اخرى عن علاقاتهم بمحاولة اغتيال « ليش فاليسا » زعيم نقابة التضامن البولندية اثناء زيارته التاريخية إلى ايطاليا . لقد روقبت حركة « انتونوف » بكل تأكيد واعطيت اوصافه واوصاف شقته للقاتل ، الذي لقن ايضا بأرقام هواتف مواطنين بلغار اخرين تمهيدا للخطة التي سيقوم فيها وبالعلن باتهام جمهورية بلغاريا الشعبية . قلنا ان ذلك كان في ٩ تموز ١٩٨٣ ، وكان أغجا يهم بصعود الحافلة العسكرية المصفحة التي كانت بانتظاره . ألقى « أغجا » قنبلته واستقل السيارة الى سجنه . وراح الاعلام الغربي الـذي سبق له وبعبقـرية تبعث على الريبة ان ملأ الصحف حكايات مشابهة ، يصفق لانتصارات صنعها من قبل .

اذن قد تحققت نبـوءات السبق الصحفي الـذي طلعت به « ستيرلنج » و « هنتسـه » وغيرهما . وها هي الشكوك تغدو يقينا ، وها هو « انتونوف » شريك أغجا الذي طال البحث عنه يقاد إلى السجن ! . وهاهم البلغار والسوفيات يقعون في الشرك الـذي لن ينهضوا منه . غير ان الايام ستثبت ان الفرحة بهذه الاكتشافات لن تدوم طويلا فحبل الكذب مهما طال قصير ، ولابد للكذبة ، مهما اتقنت ، من نقاط ضعف تسهل اكتشافها مع الايام . وكل الدلائل والقرائن والبراهين ، وما يحتاجه القضاة في مثل هذه الحالة يشير ، بلا ابهام ، إلى ان أغجا وقائمة المتآمرين معه على حياة البابا ، هم من منظمة « الذئاب الرمادية » الفاشست الاتراك الذين يرتبطون بعرى لا تنفصم مع المخابرات المركزية الاميركية ، وهم الذين تستخدم منظمتهم لقمع اليساريين الاتراك في المانيا الاتحادية وفي تركيا نفسها .

في يوم ٢٥ تشرين الثـاني ١٩٨٢ نقلت وكـالات الانبـاء نبأ اعتقال« سيرجي انتونوف » ولم تنس ان تشير في برقياتها إلى ان « انتونوف » شريك لأغجا في جريمته وانه زود القاتل بالمسدس الذي نفذ به جريمته . وادعت وكالة الانباء الايطالية (A.N.S.A) في اليوم التـالي ، ان مهمـة « انتـونوف » انطلاقا مما تقوله سلطات التحقيق كانت تأمين هروب أغجا من ساحة القديس بطرس ، بأسرع ما يمكن في سيارة تنتظر من اجل ذلك . وان مهمة « انتونوف » كانت في السابق تأمين اقامة أغجـا في رومـا قبـل تنفيذ العملية ، وتـأمـين هربـه بعدها . وبمناسبة اعتقال

انتونوف ، تمت الاشادة بجهود ودأب قاضي التحقيق الايطالي « ايلاريو مارتيلا » الذي أمر بعدم طي صفحة أغجا بعد نطق الحكم عليه ، بل تابع القضية إلى ان توصل إلى قناعة بان « انتونوف » كان شريكا لأغجا .

فهل كانت تلك حقا قناعة اصيلة ، أم ان وراء الاكمة ماوراءها . ان من المعروف ان « مارتيلا » قام بزيارة إلى الولايات المتحدة.وحسب ما جاء في صحيفة « ميليت » التركية[١٣] :

لقد اتخذ « مارتيلا » على عاتقه دراسة مقال الصحفية المعروفة المتخصصة بشؤون الارهــاب « كلير ستــيرلنــج » المنشــور في عدد ايلول من مجلة « ريدرز دايجست » ، بالاضافة إلى البرنامج الذي بثته شركة N.B.C في ٢١ ايلول . هل كان لهذه الـزيارة علاقـة بالـزيارة السرية التي قام بها « وليام كيسي » مدير وكالة المخـابـرات الامـيركية في تشرين الأول ١٩٨٢ ؟. فحسب ما نقلتـه صحيفـة « جمهوريت » التركية ، فقد امضى مدة ٢٦ ساعة في تركيا حيث وصلها في طائرته الخاصة التي اقلته من نيروبي في كينيا .

كما انه من المعروف ان الرئيس الاميركي ريغان كان قد اقام مجموعة خاصة في الـC.I.A مهمتها التحقيق في قضية اغتيال البابا . وقد كتبت « النيويورك تايمز » في ٢٦ كانـون الثاني ١٩٨٣ ان مسؤولا في الـ C.I.A ارسل إلى تركيا ليبحث في العلاقة بين أغجا وجمهورية بلغاريا الشعبية[١٤] .

بعد ذلك بأيام وفي اوائل شباط ١٩٨٣ قام السناتور الجمهوري « الفونس داماتو » بزيارة إلى ايطاليا ، وقد شرح سبب الزيارة لاحد الصحفيين قائلا : « لقد ذهبت هناك ، كي اجمع ما امكن من معلومات عن محاولة الاغتيال وعن ارتباطاتها الدولية المحتملة »[١٥] . وقد سمح لهذا السناتور الذي اشتهر بانه احد اشد دعاة الحـرب البـاردة بالاطـلاع على النتـائـج السرية للتحقيق ، كما سمـح من قبـل لـ« ستيرلنج » وغيرها ! . فهل كان لهذه الزيارات المتبادلة بين العواصم الثلاث : واشنطن ـ روما ـ انقرة علاقة ما في صياغة الموضوع على النحو الذي صيغ به . ان ذلـك بات الان بحكم المؤكد ولولا ذلك لما استطاع قاض بحجم « مارتيلا » ان يوصي باعتقال « انتونوف » مع علمه ان ذلك يتنافى مع ابسط القواعد القانونية .

---

(١٣) The Anatomy of a slander Campaign - Sofia Press . P.18

(١٤) The Bulgarian Connection . Sofia . 1983. P.41

(١٥) Asubversion of the neocrusaders . Sofia press 1983. P.18

فكل ما كان يملكه « مارتيلا » حتى ذلك الحين مجرد اعتراف من قاتل لا يمكن الركون إلى اقواله دون تمحيص .

ان خلاصة الاتهامات التي توجه بها أغجا هي الآتي : تم التخطيط لاغتيال البابا بتاريخ ١٠ أيار ١٩٨١ في منزل « انتونوف » بحضور ابنته وزوجته واثنين من البلغار الاخرين . وفي اليومين التاليين ذهب معه هذان البلغاريان إلى ساحة القديس بطرس لتفقد مسرح الجريمة ، كما كانا بانتظاره يوم ١٣ أيار لمساعدته على الهرب بعد تنفيذ مهمته .

فما الذي اثبته التحقيق ؟ .

هناك دلائل ثابتة تشير إلى غياب زوجة انتونوف « روزيتسا » وابنته عن ايطاليا في الفترة المشار لها . فقد غادرت « روزيتسا » وابنتها ايطاليا في الثامن من ايار . وهناك ختم السلطات الايطالية على وثائقهما . كما ان هناك اثباتات انهما سافرتا مع عائلة « كروسيت » البلغارية بسبب انتهاء مدة اقامتها في ايطاليا ، وعبرتا نقطة الحدود في « تريست » متجهتين إلى يوغسلافيا حيث امضتا ليلة في طريقهما إلى بلغاريا .

كما ظل البلغاريان (ايفازوف) و (فاسيليف) في روما اكثر من عام بعد محاولة الاغتيال ، فهل يعقل ان يكونا قد شاركا فعلا في العملية وظلا طيلة هذه الفترة يعرضان حريتهما للخطر ؟ . وهل يعقل ان يتم التخطيط لعملية بحضور نساء واطفال ؟ . ولماذا يتم الاجتماع في بيت مدبر الخطة ؟ . ولماذا يتم الاتصال مباشرة بالفاعل ؟ . كل هذه الاسئلة طرحت وتناقلتها الاقلام الموضوعية . ولكن كان مقررا للحملة التي بدأت من واشنطن ان تستمر ! .

وقد ردت بلغاريا بقوة على الاتهامات : ففي مؤتمر صحفي عقده « بويان ترايكوف » المدير العام « لوكالة الانباء البلغارية » في ٢٧ أيار ١٩٨٢ رد بوضوح وصراحة على هذه الاتهامات واشار إلى الحقائق التالية :

١ ـ الفاتيكان اعلن صراحة وبشكل رسمي ان البابا بولس الثاني لم يرسل رسالة إلى بريجينيف (وهي الرسالة التي قيل ان البابا هدد فيها بالذهاب إلى بولونيا لقيادة المقاومة اذا حدث تدخل سوفياتي) .

٢ ـ تساءل عن التاريخ الذي بدأت فيه أزمة بولونيا ، وقال بأن اول اضراب جرى فيها ، كان بتاريخ ٢٥ تموز ١٩٨٠ ، وان منظمة « تضامن » لم تكن موجودة آنذاك . فكيف يمكن ان تكون جمهورية بلغاريا الشعبية قد خططت لاطلاق سراح « أغجا » من سجن « كارتل مالتيب » في تشرين الثاني ١٩٧٩ لقتل البابا المتعاطف

مع « تضامن » التي لم تكن قد وجدت بعد ؟ ! .

امام ضغط الحقائق راحت بعض وسائل الاعلام الغربية تتراجع عن نظرياتها السابقة . وكان من اوائل من تراجع شركة التلفزيون الاميركية N.B.C التي كانت قد قدمت بالاشتراك مع « ستيرلنج » برنامجاً وثائقياً في ايلول ١٩٨٢ يتهم جمهورية بلغاريا الشعبية والاتحاد السوفياتي بمحاولة اغتيال البابا .

عمدت هذه الشركة ومعد البرنامج نفسه « مارفن كالب » بعد ان امضى اربعة اشهر زار خلالها اثني عشر بلدا إلى الاستنتاجات التالية :

١ ـ البابا لم يرسل رسالة تهديد إلى بريجينيف .

٢ ـ الوصف الذي اعطاه أغجا لشقة « انتونوف » لم يكن دقيقا .

٣ـ ثبت ان زوجة « انتونوف » لم تكن في ايطاليا في التاريخ الذي ادعى أغجا فيه انه التقى بها .

٤ ـ « ايفازوف » لم يكن في مكان الحادث في التاريخ الذي ادعى أغجا فيه انه ذهب برفقته في جولة استطلاع لساحة القديس بطرس .

٥ ـ لم تكن لدى أغجا والبلغاريين لغة للتفاهم .

واشار البرنامج إلى ان أغجا ارتكب عدداً من الاخطاء في وصف الشقة . وكان اشنع هذه الاخطاء وصفه للابواب ، ذلك الوصف الذي لا يطابق الاصل . وكذلك ادعاؤه بان زوجة « انتونوف » وابنته حضرتا النقاش الذي دار حول اغتيال البابا . وهكذا فان الشركة الاميركية التي كانت سباقة في مجال الاتهام ، تصل إلى استنتاجات مغايرة لاستنتاجاتها الأولى .

ولم يقتصر الأمر على N.B.C بل تعداها إلى الـ C.I.A ففي ١٠ شباط ١٩٨٢ ، نشرت صحيفة « جيورناديتاليا » الايطالية مقالا جاء فيه ان ريغان غاضب بسبب اخفاق الـ C.I.A في العثور على ادلة شافية ، فيما يتعلق بمحاولة اغتيال البابا . وقد طلب ريغان إلى مسؤول الاستخبارات « وليام كيسي » المضي ـ رغم الفشل ـ قدما في تعقب آثار السوفيات في تلك العملية .

وقد عمد كيسي بعد ذلك بسبب عدم ملاءمة نتائج التحقيق لما يشتهيه ريغان إلى ارسال سبعة من رجاله إلى روما لمساعدة السلطات الايطالية في الكشف عن غوامض العملية . اذن لماذا لم تصمد هذه الضجة التي لا اساس من الصحة لادعاءاتها ؟ .

هذا ما تجيب عن جانب منه مجلة « باس اي غيرا »الايطالية في عددها الصادر في ١٣ تموز ١٩٨٣ . ففي هذا العدد نشرت المجلة خبراً مفاده انها تلقت

من مصور مجهول نسخة عن وثيقتين تساعدان في القاء الضوء على قضية « انتونوف » فما هاتان الوثيقتان ؟ . كانت الوثيقتان عبارة عن برقيتين ارسلهما السفير الامريكي في ايطاليا السيد « ماكسويل راب » إلى وزارة خارجية بلاده في الفترة الواقعة ما بين شهري آب و كانون الأول ١٩٨٢ .

وحسب رواية المجلة الايطالية فان الخطة الموضوعة في البرقيتين تهدف إلى الاساءة إلى بلغاريا ، والقادة السوفيات و الدول الاشتراكية ، عن طريق اختلاق المزيد من القصص عن ارتباطاتهم بالقاتل المحترف محمد علي أغجا . وقد نشرت وكالة يونايتدبرس بعد ذلك نص البرقيتين العتيدتين . تقول البرقية الأولى :

« ان تشويه سمعة بلغاريا التي تعتبر اكثر الدول الاشتراكية ولاء للاتحاد السوفياتي سيكون خطوة باتجاه تشويه سمعة القادة السوفيات ، الأمر الذي سيجعل موسكو تبدو مركزا للارهاب الدولي . وسيتم من خلال التأكيد لايطاليا وحلفائها ان هدف السوفيات زعزعة استقرار اوروبا الغربية ، مما يثير الشك حول جدوى اي حوار معهم » .

امـا البرقية الثانية ، فقد اشير فيها إلى اتمام العملية . . « يقصد بها ربط جمهورية بلغاريا الشعبية باغتيال البابا » . . بنجاح. وإلى « تعاون السياسيين الايطاليين وزعماء النقابات الايطالية في هذا الخصوص » .

ينبغي النظر إلى الاتهامات الموجهة ضد جمهورية بلغاريا الشعبية على ضوء هاتين البرقيتين وليس عن طريق الوقائع ، لأن الوقائع اظهرت ان الاتهامات ليست اكثر من اختلاقات ، ما ان يثبت بطلان أحدها حتى يصار إلى اختراع آخر . فهذا الرجل الذي يظهر في الصورة التي نشرت لساحة القديس بطرس أثناء الجريمة هو « سيرجي انتونوف » ، عندما يأتي سائح اميركي ويعترف بان الصورة المشار اليها هي صورته ، ويثبت لقاضي التحقيق الايطالي ، عبر كل الدلائل ، ان « انتونوف » كان موجودا في مكتبه لحظة الاعتداء ، يختلق الاعلام الغربي قصة اخرى . وها هو أغجا يثبت بالف دليل انه من « الذئاب الرمادية » الفاشية . مع ذلك فانه يصور باعتباره عميلا شيوعيا ! . كيف يتم ذلك ؟ . كيف يتعاون شيوعيون ونازيون ، اهو الارهاب ؟ . ولكن من الذي يمارس الارهاب ويقوده في هذا العالم الذي نعيش فيه ؟ . ألم يرتبط اسم المخابرات المركزية الاميركية على الدوام بقتل « باتريس لومومبا » و « مارتن لوثر كنج » والرئيس التشيلي سلفادور الليندي ، وعشرات الانقلابات واعمال التخريب في العالم ؟ . اليس المقصود كما لاحظ « ديمتر شيشمانوف » المعلق في « وكالة الانباء البلغارية » هو تغيير هذه الصورة ومحاولة اقناع

المــواطن الغــربي ان الارهــاب الـذي يتـدفق على بلاده انـما يأتي من الـدول الاشتراكية ؟ . انها محاولة لتحويل الانظار عن المسؤولين المباشرين عن قتل البابا وعن الارهاب في العالم .

لقـد كان واضحـا منذ ان فر أغجا من سجنه في تركيا ان لديه نوايا لقتل البابا ، اوضحها في رسالته إلى صحيفة « ميليت » . واذا كانت سلطات الغرب قد وضعت اللوم على البلغاريين لانهم لم يلقوا القبضْ على أغجا اثناء مروره المزعوم في بلغاريا ، فلماذا لم تلقِ هي القبض عليه ؟ .

لقد امضى بضَعة اشهر في سبع من دول حلف شمالي الاطلسي « الناتو » . وقد سجلت مكالمته مع زعماء « الذئاب الرمادية » في المانيا الاتحادية . كما ان تركيا كانت قد ابلغت ايطاليا والمانيا الاتحادية بالتقارير المتوفرة لديها عن وجود القاتل في عدد من الاماكن ، فلماذا لم تسارع هذه الدول إلى اعتقاله ؟ . الانها تتمتع بالمزيد من الديمقراطية ؟ . ام ان هناك خطة مرسومة « لأغجا » تبدأ باغتيال البابا وتنتهي بالصاق التهمة بجمهورية بلغاريا الشعبية ؟ . هذا السؤال يقودنا إلى سؤال خطير ، بالاجابة عليه ، نجيب على الكثير من جوانب هذه الحملة . متى جاءت اعترافات أغجا وتوبته النصوح ؟ وكيف ؟ .

لقد جاءت هذه التوبة النصوح بعد مرور أكثر من عام على تنفيذ جريمته . بعد ان اعدت جيدا بالتنسيق مع اكثر من مطبخ . لم يؤذن لهذه الرواية بان تنشر إلى العلن الا بعد ان غدا بطلها الرئيسي أغجا على معرفة تامة بدوره ، وبالاعترافات الجديدة التي يتنكر من خلالها لاعترافاته السابقة . وهنا نفاجأ بتحول أغجا ـ بين عشية وضحاها ـ من قاتل إلى ضحية من ضحايا السوفيات ، من ذئب إلى حمل وديع غرِّر به .

لقد اصرت السلطات الايطالية على ان أغجا وضع ، وبعد ان صدر الحكم بسجنه مدى الحياة ، في زنزانة منفردة،ولم يسمح لاحد بمن في ذلك حراس السجن من الاتـصــال به او الـتكلم اليه . وحسـب ادعــاءات وزير العــدل الايطالي « سيليودرايدا » فقد كان التحدث اليه يتم من خلال كاميرا تلفزيونية ونافذة زجاجية مصفحة ! . ولكن إلى اي حد يتفق هذا والحقيقة التي غدا جزء كبير منها ملك العالم . ففي ايلول ١٩٨٢ سافر ـ كما قلنا ـ قاضي التحقيق الايطالي « مارتيلا » إلى الولايات المتحدة في مهمة ظاهرها التحقق من التقارير التي نشرتها « ستيرلنج » ، اما باطنها فقد كان اتفاقاً على خطة اميركية ذهبت إلى ضرورة اقناع « أغجا » بقول ذلك، ومن اجل هذا كان لابد من رؤية « أغجا » في زنزانته وهذا ما حدث . كما ان وزير

الدفاع الايطالي اعترف في جلسة للبرلمان الايطالي ان اقوال « أغجا » الجديدة التي ابتدأت منذ كانون الأول ١٩٨١ جاءت بعد محادثة بين « أغجا » واحد رجال الامن الايطاليين ممن سمح لهم بذلك . اوساط المحكمة الايطالية في روما نفت انها سمحت لرجل الامن ذلك باللقاء مع « أغجا » لكن الانباء اللاحقة تحدثت عما هو اكثر من ذلك .

في برنامج تلفزيوني ايطالي وفي الصحافة الايطالية تم الحديث باستفاضة عن الدور الذي لعبه « رافائيلي كوتولو » في توبة أغجا عن طريق التهديد بالقتل او الوعد بالسعي لتخفيض مدة سجنه . و « كوتولو » هذا اسم غني عن التعريف فهو زعيم منظمة « كامورا » الارهابية التي هي احد تفرعات المافيا الايطالية .

مسؤول سجن « اسكولي بيسينو » وهو السجن الذي ينزل فيه « أغجا » ، والاب « ماريو سانتيني » قاما بدور هام في اعادة توجيه « أغجا » بمساعدة احد زعماء « الالوية الحمراء » المدعو « جيوفاني سنزاني » ومما ترويه الصحف الايطالية ان الاب « سانتيني » ، كان اول من تلقى التعليمات باقناع أغجا بتغيير افادته الأولى ، وان أغجا عندما واجه الصحفيين باعترافاته الجديدة ، لم يعد بحاجة إلى مترجمين لأنه كان قد تعلم الايطالية على يد « جيوفاني سنزاني » زعيم « الالوية الحمراء » التائب الذي يقضي سجنه في زنزانة مجاورة لأغجا .

هذا الرأي يحمل كثيرا من الصحة . انه اولا يخالف تأكيدات القضاء الايطالي بان أغجا موجود في الحجز الانفرادي المشدد . وربما كان ذلك صحيحا ولكن كان باستطاعة الذين يراد لهم ذلك ان يروه ، والا لثار سؤال مشروع وهو : كيف يتعلم « أغجا » اللغة الايطالية التي لا يعرف منها الا بضع كلمات ، وبالرغم من انه لا يلتقي احدا ، ولا تصله الصحف والجرائد ولا يسمح له بسماع الاذاعة ومشاهدة التلفزيون ؟ .

اذن لابد من وجود شخص لقنه اللغة ولقنه معها ما ينبغي ان يقوله عندما يحين الحين . كما ان اشتراك « كوتولو » زعيم منظمة « كامورا » الارهابية في رد « أغجا » إلى طرق الصواب مؤكد ايضا . وهي ليست المرة الأولى التي يتعاون فيها البوليس الايطالي مع المافيا المحلية . فقد سبق لدوائر الامن الايطالية ان طلبت المعونة من المافيا في عدد من القضايا الامنية الكبيرة . واسطع مثال قريب على ذلك ، عندما طلبت الحكومة الايطالية من المافيا مساعدتها في الكشف عن خاطفي الجنرال الامريكي « دوزيير » والمكان الذي خبأه فيه الخاطفون . ويومها سارعت

المافيا إلى ارشاد السلطات إلى المكان الذي يوجد فيه « دوزيير » بما لها من معرفة بالعالم التحتي لايطاليا .

المخابرات الايطالية بفرعيها (S.I.S.M.I) و (S.I.S.D.E) اللذين يرتبطان برباط وثيق مع المخابرات المركزية الاميركية قرّرت بالاشتراك مع « الموساد » الصهيوني الالتقاء باغجا واقناعه بتغيير افادته ضمن وعود بتخفيض مدة حكمه إلى عشر سنوات . وقد كتبت مجلة « اسبرسو » الايطالية ان الميجور « بيتروسيلي » من S.I.S.M.I وهي الاستخبارات العسكرية ومعه الخبير بشؤون الامن الايطالي « بوتاغورا » قاما بزيارة « أغجا » في زنزانته لاول مرة بتاريخ ٢٩ كانون الأول ١٩٨١ وعرضا عليه في ذلك اللقاء التعاون مع القضاء .

في ذات الوقت تلقى قادة الـ C.I.A في روما تقريرا نقلته ـ النيويورك تايمز ـ من وزير الداخلية الايطالي ، يفيد بان الايطاليين ابلغوا أغجا « انهم ينوون عدم ابقائه في الحجز الانفرادي ، وهو الامر الذي يعني ان على أغجا ان يواجه احتمال قتله على يد السجناء الاخرين عندما يحشر بينهم » .

في مقالها المؤرخ في ١٠ كانون الثاني ١٩٨٣ نشرت مجلة « اسبرسو » الايطالية مقالا بقلم الصحفي الايطالي المعروف « بيرلوجي ميكونيري » بعنوان « احزر من الذي يجيء الى الزنزانة ! » ومما جاء في المقال :

في نهاية ايلول ١٩٨١ وبمناسبة الاجازة السنوية لحراس السجن طلب المطران المونسنيور « مورجانتي » من السجان في سجن « اسكولي » ان يسمح له بالتحدث إلى الرجل الذي ارتكب جريمة الاعتداء على البابا . دامت المحادثة حوالى ساعتين ولم يعد المطران لزيارة « أغجا » ثانية ، واوكلت مهمة التحدث إلى قاتل البابا والاتصال به إلى قسيس سجن « مارنيودل تورنتو » الاب « سافيرير » وقد قام ذلك الاب بعدة رحلات مكوكية بين زنزانة التركي والابرشية .

في الثاني عشر من تشرين الثاني من ذلك العام ، تم كسر طوق الحجز الانفرادي الذي وضع فيه « أغجا » ، وقام عمال شركة « سبالغييري » التي تقوم بتصنيع السجاد والبلاستيك والمواد غير القابلة للاشتعال بالدخول إلى الزنزانة . وتم خلالها تجديد اثاث الزنزانة . لماذا تمت كل تلك الاجراءات الاحترازية ؟ . اهي للتخفيف من الحياة القاسية التي عانى منها هذا السجين الشهير؟ ام لمنعه من الانتحار عبر تحطيم رأسه بالحائط كما ادعى في حينه وزير العدل ؟ .

بعد اكثر من شهر على ذلك ، وفي ٢٩ كانون الأول ١٩٨١ تمت زيارة ثالثة لاغجا وكانت الاخطر . كان الزائران من رجال الامن ، وقدما نفسيهما باعتبارهما

الميجـور « بيتروسيلي » من S.I.S.M.I جهـاز الامن والاستخبـارات التابع لوزارة الدفاع والدكتور « بوتاغورا » من S.I.S.D.E جهاز الامن والمعلومات التابع لوزارة الـداخلية . وقد عرضا اذنا بالدخول موقعا من الدكتور « جيانجيركو » من قسم معاهد العقوبة والوقاية التابع لوزارة العدل الايطالية .

ومن المؤكد ـ تضيف الصحيفة ـ ان هذين الرجلين قد امضيا في ٢٩ كانون الأول وقتا طويلا في زنزانة أغجا . فما الذي اراداه منه ؟ . وما الذي عرضاه عليه في المقابل ؟ . لقد جاء الجواب بعد خمسة وثلاثين يوما فقط !

كان ذلـك في ٢ شباط ١٩٨٢ اثناء زيارة قام بها محامي الدفاع عن أغجا المحامي « بيتروباولو » وحثه فيها على التعاون مع المحققين . لقد سأله أغجا حينها بعض الاسئلة الغـريبـة ، مثل : « اذا اخبرتهم ما اعرف فكم ينقصون من فترة عقوبتي». اجابه « بيتروباولو » : « لا اعرف ، انه امر يعتمد على ما ستخبرهم به ، قد تقضي عشرين او خمسة وعشرين عاما بدلا من السجن المؤبد » . فقال « أغجـا » : ايكون إلى هذا الحد ؟ لقد وعدني رجال المخابرات بان امضي عشر سنوات على الاغلب ، ان انا تحدثت ! .

في وقت لاحق من ذلك اليوم قابل أغجا قاضي التحقيق « ايلاريو مارتيلا » لاول مرة . ومنـذ ذلك اللقاء راح أغجا يتحدث عن بلغاريا . (نعم لقد زرت بلغاريا ايضا) ولم يضف شيئا عن ذلك .

عندها مارس « مارتيلا » فرصته الذهبية بدفعه للكلام قائلا : لا استطيع ان اعدك بشيء . لكنك تعرف ان هناك قانونا على وشك ان يقر بخصوص تخفيض الاحكام الصادرة بحق من يتوبون عن افعالهم . من يدري . ربما نجد مادة قد تساعد في قضيتك ايضا .

كان ذلـك في السجن ، امـا في رومـا فقـد كان وزير الشؤون الـداخلية « روجنوني » ينتظر إجابات عن هذه الاسئلة وكانت فرصة للتشاور مع مختصين من مختلف الاحزاب .

ألمـح الوزير يومها إلى امكانية اقرار قانون يخفف الحكم عن اولئك الذين يتعاونون مع السلطات بعد ادانتهم .

راح القـادة السياسيون الـذين تشـاور الـوزير معهم يسألون ويستشيرون مسـاعديهم ، وبذلوا جهودا كبيرة لمعرفة من الذي كان يقصده الوزير بحديثه . ولمصلحة من ستكون هذه القضية . وقد اجمع الكل على ان الشخص المعني هو « الفريدوبونافيتا » احد زعماء الالوية الحمراء وممن تنكروا للارهاب . عاد الخبراء

إلى روجنوني وعرضوا عليه موافقتهم على توسيع المنافع المقترحة من القانون . وسألوه ما اذا كان الامر يخص « بونافيتا » . لكن جواب الوزير كان : إن « بونافيتا » لم يكن المقصود بل هناك شخص آخر لا يستطيع التصريح باسمه لانه سجين من طراز خاص . لقد كان المعني بكل تأكيد ـ محمد علي أغجا ـ ففي نهاية الربيع بدأ « أغجا » الكلام ، وكان في ذلك بداية الحديث عن التورط البلغاري .

ان السيناريو المتخيل لما جرى بعد ذلك قد يكون اتخذ الآتي :

بعد موافقة « أغجا » على التعاون مع رجال الامن ، بدأ هؤلاء بتعريفه على صور عدد من المواطنين البلغار : انتونوف ـ ايفازوف ـ فاسيليف ـ روزيتسا وغيرهم . وقد تم تدريبه جيدا على حفظ عناوينهم وارقام هواتفهم ، وارقام سياراتهم واوصاف شققهم . من اجل ذلك فقد رددها طويلا قبل ان يقوم بعرضها علنا . ومع ان هذه العملية كانت شاقة ، الا انها لم تحل دون ارتكاب أغجا اخطاء كثيرة ، وضعت الاسافين في روايته كلها . فمثلا بعد ان اعترف بان الاجتماعات التي خطط فيها لاغتيال البابا كانت تتم في شقة « انتونوف » ، اعطى اوصافا لتلك الشقة ، تبين انها اوصاف لا تنطبق تماما على شقة « انتونوف » فقد ارتكب اخطاء قاتلة فيما يتعلق بوصف الابواب وغيرها . وفي وقت لاحق راح يتحدث عن الاجتماعات التي تمت في فندق « فيتوشا » في صوفيا ، من اجل التحضير لعملية اغتيال البابا .

لقد ادعى أغجا ان ثلاثة من البلغار خططوا معه لاغتيال البابا . والسؤال المشروع : لماذا لم يخش هؤلاء البلغار الاعتقال منذ اللحظات التي تم فيها اعتقال أغجا ؟ . ألم يخش هؤلاء ان يسيء لهم أغجا تحت ضغط التعذيب اذا كان صحيحا انهم كانوا وراء حادث الاغتيال ؟ .

ان المنطق يستدعي ان يهربوا تاركين أغجا لمصيره المظلم ، . ان يهربوا منذ اللحظة التي انتهت فيها عمليتهم بالفشل . لقد اتجهت اصابع الاتهام إلى بلغاريا في وقت مبكر . هل كان « فاسيليف » جريئا بما فيه الكفاية حتى يمكث في ايطاليا اكثر من عام بعد حادث محاولة الاغتيال ؟ . وهل كان « ايفازوف » اكثر جرأة عندما مكث في ايطاليا مدة عام ونصف ان كان ممن شاركوا في العملية ؟ . وهل كان « سيرجي انتونوف » اشجع عندما قرر الا يغادر ايطاليا مطلقا ؟ .

هذه الاسئلة المشروعة طرحها البلغار دفاعا عن مواطنيهم الابرياء . فالمواطنان اللذان تتهمها ايطاليا بمشاركة أغجا عمليته ، هما من موظفي السفارة البلغارية في روما . وقد غادر « فاسيليف » الذي يعمل مساعداً للملحق العسكري

روما في السادس من حزيران ١٩٨٢ ، عندما انتهت مدة اقامته في ايطاليا . وغادرها « ايفازوف » الذي يعمل محاسبا في السفارة في ١٢ تشرين الثاني من ذلك العام . اما زوجة « انتونوف » فقد اثبتت ـ كما قلنا ـ بالوثائق انها لم تكن اصلا في روما في التاريخ الذي ذكره « أغجا » ، اما ابنته فقد كانت تتابع دراستها في مدارس صوفيا .

والحقيقة ان حكومة جمهورية بلغاريا الشعبية توجست خيفة من تصاعد الحملة ضدها . وقد شعرت ببوادر هذه الحملة من المضايقات التي راح مواطنوها يتعرضون لها . فقد غدا من الطبيعي ان يعود البلغاري إلى شقته فيجد زوارا مجهولين قد عبثوا بمحتوياتها . او ان يذهب صباحا إلى مكتب عمله فيجد ادراجه وقد اختفت منها بعض الاوراق .

وسنأخذ احدى برقيات وكالة A.N.S.A (١٦) الايطالية كشاهد على ما تعرض له المواطنون البلغار في ايطاليا . تقول A.N.S.A في برقيتها المؤرخة في ٥ كانون الثاني ١٩٨٣ : « حدثت في الآونة الاخيرة بضعة احداث غريبة في الشقق الواقعة في شارع جيالني ٣٦ ، حيث يقيم المسؤولون البلغار بمن فيهم « ايفازوف » المتهم بالاشتراك في محاولة اغتيال البابا ، مما دعا السفارة البلغارية في روما إلى التقدم بسلسلة من الاحتجاجات إلى وزير الخارجية والداخلية . ويدعي البلغار انه جرت منذ حزيران الماضي عشرات المحاولات لاقتحام بيوتهم وكان بعضها ناجحا . وقد كانت شقة « ايفازوف » محاسب السفارة عرضة لمثل هذه المحاولات قبل ان يستدعى إلى وطنه . لقد كانت آخر سلسلة من محاولات اقتحام المنازل قبل حوالى عشرين يوما ، عندما اقتحم مجهول احدى الشقق وسرق مبلغ (١٥٠) الف لير . وقد استطاع السكان رؤية شخصين او ثلاثة يبتعدون خارجين من البيت وبأيديهم الات تصوير ويصعدون في سيارات عليها ارقام بلغارية مسروقة . وفي الفترة الاخيرة وبعد التحقيق الصاخب في محاولة اغتيال البابا والذي بلغ ذروته باعتقال « سيرجي ايفانوف انتونوف » تمت زيارة البيت ايضا من قبل فريق تلفزيوني قام بالتقاط بعض الصور .

لقد حدث ذلك كله . لكن البلغار لم يتصوروا ، ان تصل الامور بالقضاء الايطالي ان يعتقل مواطناً بريئاً كل ماوُجّه اليه مجموعة اكاذيب طبخت خارج ارض ايطاليا . ولم يكن نصيب جمهورية بلغاريا الشعبية فقط اتهامات بصدد البابا ، بل

---

(١٦) Asubversion of the neocrusaders . Sofla Press 1983 , P.57

راحت التهم تنهال دون رقيب . فقد حيكت قصة لا تقل غرابة عن علاقة أغجا بالبلغار ، وكان زعيم هذه القصة النقابي الايطالي « لويجي سكريسيولو » الصديق القديم لليش فاليسا ومنظمته « تضامن » .

اعترف هذا النقابي العتيد فجأة انه خطط مع البلغار ايضا لاغتيال فاليسا اثناء رحلته إلى ايطاليا في العام ١٩٨١ . وهنا اعيد أغجا ثانية إلى واجهة الاحداث ليدعم رواية « سكريسيولو » وليقول انه قابل ـ انتونوف ـ في ذلك الحين وتباحثا في امر اغتيال « فاليسا » ولكن لسبب او لآخر لم تتم عملية الاغتيال* .

والسؤال هو : اذا كان هذا النقابي ـ المعروف بانتماءاته المشبوهة ـ يمتلك هذه المعلومات ، فلماذا اخفاها طيلة ذلك الوقت كله . فلو كان صحيحا ما قاله لما انتظر الايطاليون هذا الوقت كله من اجل الانقضاض على انتونوف واعتقاله .

التبرير هو نفسه ! فالمستفيد من اغتيال « فاليسا » هو الاتحاد السوفياتي . اما بالنسبة لمن يقوم بهذا العمل فمن هو غير البلغار . نفس النظرية التي صيغت عن محاولة اغتيال البابا . اما ماذا يجمع « سكريسيولو » المعادي للشيوعية واحد انصار « تضامن » الاقوياء والسوفيات، فهو ذات النظرية : إن للسوفيات اشباحا في كل مكان ووراء كل شيء ، وان العالم ليس اكثر من دمى لموسكو تحركها وقت الحاجة .

لقد مورست في الحقبة التي ابتدأت منذ محاولة الاغتيال اقسى حملة ضد بلغاريا والدول الاشتراكية الاخرى استنادا إلى معلومات لم يثبت منها الا انها جاءت على لسان « أغجا » . اما لماذا صدق القضاء الايطالي قاتلا ، اتسمت اعترافاته منذ المراحل الاولى بالتناقض والكذب ؟ لماذا يصدق القاتل وتكذب الاف الادلة التي تثبت العكس ؟ ، فإن السبب على الارجح أن أغجا لم يكن صاحب هذه الاقوال ، فكل ما فعله هو انه حفظها وراح يرددها كلما اعطي الاوامر . وبالنسبة إلى البلغار فقد كان الامر مؤلما ، فقد ذكرهم بعام ١٩٣٣ عندما قام النازيون باتهام الشيوعيين البلغار باحراق الرايخستاغ الالماني في محاولة لتشويه الشيوعية . وقد استطاع جيورجي ديميتروف يومها ان يرد الحملة إلى اعناق الفاشست ويضعهم في قفص

---

* في اعتراف أغجا أمام القاضي « فرديناند إيمبوسيماتو » و « روزاريو برويوري » قاضي التحقيق في مشروع اغتيال « فاليسا » ، قال إنه كان ينوي الهجوم على « فاليسا » بالقنابل ، ولكنه لم يستطع الوصول إليه بسبب الحراسة الشديدة . وقد سارع وزير العدل الايطالي في ٢٨ شباط ١٩٨٣ وعلى أثر هذه الاقوال إلى الاعلان عن أن أغجا وأنتونوف ، قد يواجهان بتهمة التآمر لقتل « فاليسا » ، ولكن طي هذه القضية فيما بعد دلل على أنها كانت مختلقة من أساسها .

الاتهام . وهذه المرة تكرر المأساة ، انما على نحو هزلي ، يتهم البلغار بالتخطيط والمساعدة لاغتيال البابا ، والسبب هو تشويه سمعة الحكومة البلغارية والشعب البلغاري .

ان اتهام البلغار بالعلاقة مع هذا الفاشي ، عضو « الذئاب الرمادية » والقاتل المحترف ، ينكره تاريخ الشعب البلغاري ، كما قال بويان ترايكوف في مقابلة مع التلفزيون البلغاري في ٢٢ شباط ١٩٨٣ .

« فالحزب الشيوعي البلغاري كتب صفحات مضيئة وبطولية في النضال ضد الفاشية . ان بلغاريا هي ارض اول ثورة ضد الفاشية ووطن « جيورجي ديميتروف » عملاق المقاومة العالمية للفاشية . لقد ولد النظام الاشتراكي في بلغاريا في خضم النضال الظافر ضد الفاشية . كما ان جوهر هذا النظام هو معاداة الفاشية . وموقفه من الفاشية القديمة والحديثة ما كان سوى ادانتها والنضال ضدها . اذن فكيف يمكن لاحد ان يتخيل او يتحدث عن علاقة تربطنا بالفاشيست » .

نعود إلى قضية « لويجي سكريسيولو » لنسأل هل كانت الفصل الثاني من المسرحية بعد ان وصل الفصل الاول إلى نهاية غير حميدة ؟ . كان واضحا أن اتهامات « أغجا » بدأت تنهار تحت وقع الحقائق . لذلك كان لابد ان يتلوها التحقيق الشكلي مع مسؤول العلاقات الدولية في الاتحاد الايطالي للعمل (U.T.L) الذي ادعى انه خطط ايضا لاغتيال فاليسا بالتعاون مع الاتحاد السوفياتي وجمهورية بلغاريا الشعبية .

ابتدأ الفصل الثاني والموضوع ما زال هو ذاته : بولندا . الاتهام الأول طال البابا البولندي الاصل ، وهذا هو الاتهام الثاني يطال فاليسا زعيم نقابة « تضامن » المحظورة في بولندا . هل كان المطلوب ابقاء الجرح البولندي مفتوحا ؟ . بالطبع كان ذلك مطلوباً . وكان مطلوباً ايضا ان ينجح المخطط الرامي إلى تخويف الغرب من الخطر المزعوم القادم من الشرق . وبذلك تضعف حركات السلام الاوروبية المناهضة لنشر الاسلحة النووية ، وتحضر اوروبا نفسيا لقبول الصواريخ تحت دعاوى ان الشرق يستغل الطيبة التي يعامل بها كي يزرع الارهاب والدمار في العالم الحر . هكذا ترابطت الامور وكان كل واحد منها يقود إلى الاخر . فلا شيء يأتي من الفراغ .

بقي ان نشير في نهاية هذا الفصل إلى ان جمهورية بلغاريا الشعبية قد تقدمت بالكثير من المبادرات من اجل حسن سير العملية القضائية . واعلنت انها تسهل لمن

يريد من المحققين المجيء إلى بلغاريا الاطلاع عن كثب على نتائج التحقيق هناك مع الذين ذكرت اسماؤهم في اعترافات أغجا . وقد جرى تعاون وحيد وكان مثمرا . فعنـدمـا تم الكشف في ايطاليا عن شبكة لتهريب السلاح والمخدرات في مدينة « بالرمو » الايطالية ، حضر القاضي الايطالي ، كارلو باليرمو إلى بلغاريا في ٥ آذار ١٩٨٣ وبرفقته كريستوفورو لاكورث احد كبار ضباط البوليس الايطالي ، واجريا تحقيقا طويلا مع التركي « بكير شيلينيك » وقد صرح القاضي باليرمو بانه قد أتيحت له الفرصة للتحقيق مع « شيلينيك » مباشرة ووفقا للقوانين الايطالية . وانه لم يثبت بـعد التحقيـق مـا يـبرر طلـب اعتقالـه . وقـال بانـه تمـتع بحريـة تامـة فـي الاستجواب[١٧] .

لماذا لم يتكرر ما جرى في شبكة التهريب تلك مع ما جرى في قضية محاولة اغتيال البـابـا ما دام احـد الاطـراف المتهمة في العملية واحداً وهو التركي بكير شيلينيك الموجود حاليا في بلغاريا ؟ . هل لذلك علاقة باختلاف القضاة ، وان قاضي التحقيق في حادث البابا القاضي مارتيلا عنيد ، ولا يقتنع بما يتحقق بين يديه ؟

على العموم فقد تحدثت السلطات الايطالية طويلا عن أنها لا تبحث إلا عن الحقيقة ، ولكن السؤال الذي يبرز هنا ، هو كيف استنتجت هذه الحقيقة ؟ . ولماذا اعتمد عليها من لسان « أغجا » ؟ هل لان الاستماع إلى الصوت الآخر كان يعني ـ بالضرورة ـ ايقاف اسطوانة الحديث عن بلغاريا والسوفيات ؟ . قد يكون ذلك هو ارجح احتمال ! .

---

(١٧) Ibid P. 165

الفصل الخامس

متهم بدون تهمة

في طفولته او صباه ، او في مقتبل شبابه ، ربما كان البلغاري سيرجي ايفانوف انتونوف يحلم كثيرا ، مثل الملايين غيره ، في ان يكون نجما رياضيا او موسيقيا . في ميدان السينما والمسرح او في الحياة الاجتماعية . لكنه من المؤكد لم يتمن لنفسه مثل هذا النوع من النجومية الذي جاءه مع صباح الخامس والعشرين من تشرين الثاني ١٩٨٢ .

كان « انتونوف » في ذلك اليوم ، كما هو الامر في ايامه الاخرى الكثيرة التي امضاها في العاصمة الايطالية ، يجلس الى طاولته يرد على مكالمة هاتفية ، او يبحث مع زميل له في مكتب شركة الخطوط الجوية البلغارية « بلقان » في امور تتعلق بحركة طائرات شركته او بطالبي حجز التذاكر لزيارة بلده بلغاريا . وربما كان « انتونوف » يفعل اشياء اخرى غير هذه ويفكر في اشياء مختلفة عندما فوجىء وزملاءه ـ وكانت الساعة في حدود العاشرة من صباح ذلك اليوم ـ بأفراد من الشرطة الايطالية يدخلون المكتب ويسألون عن انتونوف نفسه .

لا بد ان الخاطر الاول الذي جال في ذهن « انتونوف » ، وهو يدرك للوهلة الاولى انه مطلوب شخصيا للشرطة الايطالية ، ان الامر ربما تعلق بشؤون مكتب « بلقان » الذي يقع تحت مسؤوليته باعتباره المدير المساعد له ، وان هنالك بضعة اسئلة في هذا الصدد سيجيب عليها ، وينتهي كل شيء عند هذا الحد في ظرف دقائق معدودات . ولم يدرك ساعتها ان الامر اكبر من ذلك بكثير ، وانه ، اعتبارا من ذلك اليوم اصبح رجلا ونجما من الدرجة الاولى ، تظهر صورته على شاشات التلفزيون ، وعلى الصفحات الاولى للصحف وعلى اغلفة المجلات . فللوهلة الاولى لم يصدق « انتونوف » ، وهو يستمع من قائد قوة الشرطة الى التهمة الموجهة اليه ، انه مطلوب لقضية تتصل بمحاولة اغتيال البابا يوحنا بولس الثاني . ثم كان اكثر استغرابا حين قيل له في مكتب التحقيقات انه « متورط » او « شريك » في المحاولة . ولا بد ان المواطن البلغاري ، ظن في البداية ان هناك سوء فهم من الذين امروا باعتقاله . والا كيف يتخيل عاقل ان يظل « متورط » او « شريك » في قضية خطيرة ذات تبعات سياسية ودبلوماسية وايديولوجية جسيمة ، فضلا عن تبعاتها الشخصية ، ان يظل قريبا من مسرح الجريمة لاكثر من عام ونصف ؟ .

في الخبر الذي طار من روما وتناقلته وكالات الأنباء يوم ٢٥ تشرين الثاني ١٩٨٢ ، جاء ان سيرجي انتونوف متهم بالمشاركة الفعلية في حادث الاعتداء على حياة البابا ، الذي تم في ١٣ ايار ١٩٨١ من قبل الارهابي التركي محمد علي اغجا ، وان الشرطة الايطالية اعتقلت الموظف البلغاري للتحقيق معه ؛ ورفض ممثل

الشرطة اعطاء تفصيلات عما يجري لانتونوف . لكن وكالة الانباء الايطالية « انسا » نقلت عن مصادر الشرطة قولها ان الجزء المتعلق بانتونوف من القضية بالغ الحيوية .

وقالت البرقية : ان الشرطة الايطالية اعلنت ان « انتونوف » متورط بصورة خطيرة في محاولة اغتيال البابا يوحنا بولس الثاني ، وأنه قد زود الشخص الذي أطلق النار على البابا « محمد علي أغجا » بالسلاح[1] ، كما قدم له ايضا مساعدات اخرى بطرق مختلفة . وأعلن محققو الشرطة الذين فتشوا مكاتب شركة الخطوط الجوية البلغارية ، وشقة الموظف المعتقل انهم صادروا وثائق مثيرة للاهتمام مكتوبة باللغة البلغارية[2] . وقد بدأ استجواب الشرطة لانتونوف ، الا ان التفاصيل لن تعلن على الصحافة .

وجاء في البرقية ايضا : « ولم تتضح حتى الان الكيفية التي جعلت المدير المساعد لشركة الخطوط الجوية البلغارية في روما ، يدخل دائرة الشكوك ولا الكيفية التي جرى بها جمع الادلة التي تسوّغ اعتقاله » .

وتم اعتقال « انتونوف » بامر من قاضي التحقيقات في روما « ايلاريو مارتيلا » الذي سبق أن اعلن باصرار ، قبل اية جهة حكومية ، ان التحقيق في حادث الاعتداء على حياة البابا سوف لن ينتهي عند ادانة اغجا . ومنذ وقت غير بعيد كان مارتيلا قد زار الولايات المتحدة .

بثت وكالة الانباء الايطالية « انسا » في اليوم التالي خبرا يقول : انه بالاضافة الى محمد علي اغجا كان هناك في ساحة القديس بطرس بعد ظهر يوم ١٣ ايار

---

(١) كانت أجهزة الاعلام ومصادر المعلومات ، وبينها مصادر سياسية أميركية وغربية قد رددت قبل ذلك بوقت طويل ، وتأسيسا على النظرية التي أقامها بول هنتسه وكلير ستيرلنج ، أن « أنتونوف » هو الذي زود « أغجا » بالمسدس الذي استعمله في إطلاق النار على البابا . إلا أنه قبل أقل من ثلاثة أسابيع من اعتقال « أنتونوف » كانت صحيفتا « كوريرا دي لاسيرا » و« ريبوبليكا » الايطاليتان قد ذكرتا ـ يوم ٦ تشرين الثاني ١٩٨٢ ـ أن التركي عمر بقجي هو الذي أعطى « أغجا » المسدس وأنه اعتقل في سويسرا على هذا الأساس ، وسلم إلى ايطاليا . (انظر صحيفة « النهار » اللبنانية بتاريخ ٧ تشرين الثاني ١٩٨٢) ، كما أن رقم المسدس وصنفه ، قادا البوليس الدولي « إنتربول » إلى أن « أغجا » تسلم المسدس في ميلانو في ربيع ١٩٨١ من بقجي الذي حصل عليه من « هورست ويلماير » ، العضو في إحدى المجموعات الفاشية الجديدة في النمسا والذي كان يقوم بتهريب الأسلحة إلى الارهابيين الفاشيين في تركيا . انظر :

Iona Andronov - On the wolf,s track, Op. cit P.10

(٢) لم تتبين حتى اليوم ماهية تلك الوثائق المصادرة ولا الأشياء المثيرة للاهتمام فيها .

١٩٨١ البلغاري سيرجي انتونوف وشخص اخر لضمان تغطية من اطلق النار مرتين من المسدس . وطبقا لسلطات التحقيق فان مهمة الموظف البلغاري كانت تتمثل في نقل « اغجا » من الساحة في اسرع مايمكن بسيارة كانت متوقفة بالقرب من مكان الحادث . وبالاضافة الى ذلك فان « انتونوف » كان قد عهد اليه بتوفير سكن مأمون لاغجا في روما عند وصوله اليها بعد تنفيذ عملية الاغتيال ، وكذلك مساعدته في مغادرة ايطاليا .

رفض « انتونوف » في دائرة الشرطة تناول الطعام وقال عندما سمع الاتهام الموجه اليه : « ذلك كله تلفيق » . وفيما بعد فسرت الاوساط المعادية للاشتراكية والشيوعية اعتقال « انتونوف » ، حتى قبل ان تجري التحقيقات الاولية معه ، دليلا على تورط بلغاريا والشيوعية الدولية في محاولة اغتيال البابا[٣] . ونقلت الوكالات في ٢٦ تشرين الثاني ١٩٨٢ عن بيان اصدره القاضي مارتيلا ان « التكهنات بوجود مؤامرة دبرتها جهات دولية لاغتيال البابا سابقة لاوانها ولا اساس لها في هذه المرحلة » مشيرا على مايبدو ، الى مابثته شبكة N.B.C الاميركية للتلفزيون عن وجود دليل على ان الاستخبارات البلغارية دبرت محاولة الاغتيال بمساعدة من الاستخبارات السوفياتية K.G.B[٤] .

وجاء في تقرير لوكالة « اسوشيتدبرس » في روما بتاريخ ٢٧ تشرين الثاني ١٩٨٢ :

« قال قاضٍ ايطالي امس : إن الموظف البلغاري في الخطوط الجوية البلغارية الذي اعتقل باعتباره الشريك الرابع في حادث الاعتداء على حياة البابا يوحنا بولس الثاني ، تواجهه تهمة ارتكاب عمل اجرامي بالاتفاق مع الارهابي التركي محمد علي اغجا لقتل البابا .

ولاحظ تقرير لوكالة الانباء الايطالية ، انه بالاضافة الى اغجا وانتونوف ، فان شريكا اخر كان في الساحة اطلق رصاصة او اثنتين . وقد رفض رئيس قوات

---

(٣) في بلداننا العربية اعتبر البعض الأمر كذلك ، فقد افتتحت صحيفة « العمل » الناطقة بلسان حزب « الكتائب » الرجعي في لبنان متابعتها الاخبارية لقضية « انتونوف » في يوم ٢٧ تشرين الثاني ١٩٨٢ ، بقولها : « دعم اعتقال المواطن البلغاري سيرجي إيفانوف أمس الأول في إيطاليا للاشتباه بعلاقته في محاولة اغتيال البابا في ١٣ أيار ١٩٨١ في روما الافتراض القائل بأن محاولة الاغتيال كانت لحساب دولة شيوعية » .

(٤) جريدة « النهار » اللبنانية ٢٧ تشرين الثاني ١٩٨٢.

الشرطة الخاصة بمكافحة الارهاب ، انزونيو اندرياسي هذه المزاعم قائلا : هذه الرواية للاحداث ليست صحيحة على الاطلاق ، وملفقة .

وفي ٢٨ تشرين الثاني بثت وكالة الانباء الايطالية « انسا » خبرا قالت فيه : « كذب قضاة التحقيق الاشاعات التي انتشرت في الايام الماضية والقائلة بان زوجة « انتونوف » لعبت دورا أكثر اهمية من دور الموظف البلغاري في المؤامرة . وحتى الان لم يثبت ان لانتونوف علاقة بالاموال التي اكتشفتها الشرطة في خزانة بمطار « فيومشينو » .

وقد اصدرت وكالة الانباء البلغارية بيانا رسميا في ٢٩ تشرين الثاني جاء فيه :

« جرى في ٢٥ تشرين الثاني اعتقال المواطن البلغاري سيرجي ايفانوف انتونوف ، مساعد ممثل الخطوط الجوية البلغارية في العاصمة الايطالية . وحتى هذه اللحظة لم يبلغ الجانب البلغاري رسميا بأية تهم موجهة اليه . لكن طبقا للمعلومات المستقاة من اجهزة الاعلام الايطالية فان موظف الخطوط الجوية البلغارية في روما ، والذي جرى اعتقاله ، نسبت إليه المشاركة في المحاولة التي تمت في ايار من العام الماضي ضد حياة البابا يوحنا بولس الثاني . وفيما يتعلق بهذا الامر ، فان وكالة الانباء البلغارية مخولة بالاعلان بما يلي : ان اعتقال المواطن والموظف البلغاري سيرجي ايفانوف انتونوف من جانب ممثلي الشرطة الايطالية يعد تحريضا غير مقبول ضد جمهورية بلغاريا الشعبية . انه عمل غير شرعي بالمرة واعتباطي وعدائي وغير عادل تماما ، هدفه تغذية حملة سخيفة ومنافية للعقل من التلفيقات الكاذبة والمثيرة ، الهادفة الى الاضرار بالعلاقات التقليدية الطيبة لجمهورية بلغاريا الشعبية مع ايطاليا ، وتشويه سمعة بلغاريا الاشتراكية امام الرأي العام العالمي . انه لامر واضح ، ان الحملة تتبع خطوط سيناريو اعد بحبكة مسبقا . ويمكن ملاحظة ذلك فيما ينشر من دعاية صاخبة ومعتنى بها وموجهة في الصحف ، ويذاع من محطات الاذاعة والتلفزيون في ايطاليا وغيرها من البلدان الأخرى . ولا يمكن التغاضي في ذلك عن حقيقة ان الحملة تجري على نحو مطّرد وباتجاهات متنوعة .

انها لحقيقة معروفة جيدا ان جمهورية بلغاريا الشعبية برهنت في الواقع ادانتها وشجبها التامين للارهاب ، وساهمت بفعالية في اوقات عديدة في الكفاح ضده على النطاق العالمي ، وبينت ذلك وقائع كثيرة ومعطيات عالمية رسمية . ان التهمة الموجهة الى المواطن والموظف البلغاري لا ترتكز على سند ، وهو امر يبدو جليا ايضا ، ولا ريب فيه من خلال السؤال المنطقي الذي يمكن أن يطرحه المرء على

نفسه : كيف كان على انتونوف ان يبقى طيلة اكثر من سنة ونصف السنة في روما اذا كانت له اية علاقة بمحاولة اغتيال البابا ؟ . .

ان المواطن البلغاري المعتقل بصورة غير شرعية لم تكن له ، ولا يمكن ان تكـون له صلة بأي حال من الاحـوال بالعمل الاجرامي . وهو لم ينتهك حرمة القانون الايطالي في اي شكل من الاشكال ، يمكن ان يسوّغ القيام بعمل ضده . ان الجانب البلغاري يرفع صوت الاحتجاج القوي ضد الاعتقال التعسفي تماما للمـواطن والمـوظف البلغـاري سيرجي ايفانوف انتونوف ، ويطالب بقوة باطلاق سراحه فورا وهو امر تقره مبادىء الشرعية والعدل والقانون الدولي والعلاقات الطيبة القائمة بين جمهورية بلغاريا الشعبية والجمهورية الايطالية[٥] »

واذا مانظرنا في الظروف والكيفية التي ورد فيها اسم سيرجي انتونوف في قضية محاولة اغتيال البابا يوحنا بولس الثاني ، والأدلة التي جمعها قاضي التحقيق الايطالي ايلاريو مارتيلا ضد انتونوف ليأمر باعتقاله ، وهو امر كان محمل استفهام واستغراب التقارير الصحفية التي خرجت من روما في يوم اعتقال انتونوف ، فاننا لانجد دليلا مؤكـدا او شاهـدا ثابتـا يدمغ المواطن البلغاري ، دون شك او تحفظ ، بوصمة المشاركة او التورط في المحاولة.فقد استند مارتيلا الى معلومات متضاربة ومتناقضة احيانا ، نشرت خارج ايطاليا من اشخاص وجهات معادية لبلغاريا وللشيوعية ، واعيد نشرها في ايطاليا ، والى تصريحات نسبت الى محمد علي اغجا وهو في السجن وهي تصريحات اعطيت في ظروف مريبة ، وتضمنت معلومات غير دقيقة .

والبـداية في ذلـك ترجـع الى المقـال الـذي نشره « بول هنتسـه » في مجلة « اتلانتيك كوميونتي » في كانون الاول ١٩٨١ ، والذي قال فيه ان محمد علي اغجا ليس فاشيا جديدا ، وانما هو عميل « متطرفين يساريين » ، وانه اقام في بلغاريا لبعض الوقت في عام ١٩٨٠ ، دون ان يقيم الدليل على ذلك . وبعد ذلك باسابيع كشفت الصحـافة الايطالية والاميركية عن ان ممثلي اجهزة المخابرات الايطالية ، زاروا اغجا في سجنه ووعدوه بتخفيض مدة محكوميته ، ان هو تعاون معهم . ولم تؤكد ذلك الصحف التركية وحدها وانما ايضا وزير الدفاع الايطالي ليليو لاغوريو الـذي اعلن في البرلمان الايطالي ان احد رجال المخابرات الايطالية زار اغجا في كانون الاول ١٩٨١ في سجن « اسكولي بيشنو » وان المحكمة هي التي اجازت تلك الزيارة ، لكن المحكمة نفت ذلك على الفور . كما اعلن القاضي مارتيلا انه منع

---

(٥) The Anatomy of a slander Campaign- Sofia Press.P.P.23-24

زيارة اخرى كان سيقوم بها رجال المخابرات الايطالية برفقة عدد من نظرائهم الاتراك الى اغجا[٦]!

وفيما بعد ، نشرت معلومات عن ان رجال المخابرات الايطاليين ، قدموا لاغجا صوراً عديدة لموظفين بلغار يعملون في ايطاليا ، شارحين له اوصافهم وما يتعلق بشخصياتهم وعناوينهم وارقام هواتفهم وسياراتهم . وجعلوا اغجا يحفظ ذلك عن ظهر قلب . وفي هذه الاثناء ظل هنتسه يبشر بـ« نظريته » في مختلف وسائل الاعلام الاميركية . وعلى اساس افتراضاته غير المستندة لوقائع او معطيات محددة وثابتة ، بدأت حملة واسعة ومنظمة في الولايات المتحدة خصوصا لالقاء مسؤولية الارهاب الدولي على عاتق صوفيا وموسكو . وشارك فيها مسؤولون حكوميون حاليون مثل « ريتشارد بايبس »* مستشار الرئيس الامريكي ، وسابقون مثل هنري « كيسنجر » و« زبيغنيو بريجنسكي » و « ريتشارد هيلمز » المدير السابق لوكالة المخابرات المركزية الاميركية . وفي البيت الابيض اعلن الرئيس الاميركي رونالد ريغان بصورة رسمية حملته لمكافحة الشيوعية ، واعطى تعليمات لوكالة المخابرات المركزية لاستغلال قضية « اغجا » الى اقصى حد في هذه الحملة .

بيد ان الحملة برمتها ظلت تتحدث في العموميات ، ولم تقدم الدليل على « الصلة » البلغارية او السوفياتية بمحاولة اغتيال البابا ، او في قضايا الارهاب بشكل عام . بل ان المعلومات التي نشرت اتسمت بالتضارب والتناقض ، فعلى سبيل المثال نشرت في ذلك الوقت قصة تقول : ان موسكو القلقة من الدعم الذي يقدمه البابا البولندي يوحنا بولس الثاني لنقابة « تضامن » البولندية ، كانت قد طلبت في عام ١٩٧٩ من جهاز الاستخبارات البلغارية ايجاد شخص يستطيع ان يقتل البابا . هذه القصة لم تتورع صحيفة مهمة ومرموقة مثل « نيويورك تايمز » عن نشرها على الرغم من التناقض الواضح الكامن فيها ، فالطلب السوفياتي المزعوم يحصل في عام ١٩٧٩ بينما نقابة « تضامن » لم تكن قد تأسست الا في النصف الثاني من عام ١٩٨٠ !

وحاولت كلير ستيرلنج تصحيح الخطأ الذي وقع فيه زميلها هنتسه ، فكتبت في مجلة « ريدرز دايجست » انه جرى تجنيد اغجا لقتل البابا ليس في عام ١٩٧٩ ، وانما اثناء رحلته السرية من تركيا الى اوروبا الغربية في صيف ١٩٨٠ ، حيث مر

---

(٦) Ibid P.105

* حول « ريتشارد بايبس » انظر الفصل السابع من هذا الكتاب .

ببلغاريا في تموز . وهنا ايضا وقعت « ستيرلنج » في خطأ فاضح . فنقابة « تضامن » تأسست في اب من ذلك العام وليس في تموز . وعلاوة على ذلك ، فان هنتسه وسيترلنج نسبا الى اغجا قوله إنه حصل على المسدس الذي اطلق منه النار على البابا في فندق « فيتوشا » في صوفيا اثناء مروره ببلغاريا . ولم يوضحا كيف استطاع « اغجا » ان يظل محتفظا بالمسدس مدة عشرة اشهر ، تنقل خلالها في عدة بلدان اوروبية دون ان يضبط معه ! فضلا عن ان البوليس الدولي اثبت ان المسدس اعطي لاغجا في ايطاليا في ربيع ١٩٨١ ومن قبل ارهابي تركي اخر حصل عليه من ارهابي نمساوي كما مر بنا .

لقد ظل التضارب والتناقض سمة اساسية للمعلومات التي كانت تنشرها وسائل الاعلام الاميركية والغربية بشكل عام . ففي ايلول ١٩٨٢ ـ على سبيل المثال ـ وبينما كانت كلير ستيرلنج ، تعلن في مقالها في الـ« ريدرز دايجست » ان اغجا حصل على مسدس الـ« براوننغ » من شخص سوري لم يعد اغجا يتذكر اسمه ، في فندق « فيتوشا » في صوفيا ، قدمت شبكة N.B.C التلفزيونية الاميركية في مساء ٢١ ايلول ١٩٨٢ فيلما وثائقيا عن محاولة اغتيال البابا بولس الثاني وعن حياة اغجا،وشكك الفيلم في رواية ستيرلنج . واوضح ان المسدس وصل الى اغجا في رزمة مهربة من النمسا وتعود ملكيته الى هورست ويلماير ، ابن النازي المشهور المتعاون مع المهرب التركي اوغورلو(٧) . وبين الفيلم ايضا ان سجلات احد البنوك توضح بان اغجا حينما كان في التاسعة عشرة من عمره كان يوجد باسمه مبلغ بالليرات التركية يعادل ٢٠٠٠ دولار اميركي . وان الشخص الذي كان يودع المبلغ ، كان يضع ذلك تحت اسم اغجا . وفيما بعد حينما قام اغجا الحقيقي بسحب المبلغ فان توقيعه اختلف عن توقيع المودع . كما ان العناوين التي تضمنتها السجلات كانت وهمية . ووجدت مبالغ مودعة باسم اغجا في عدة بنوك في اسطنبول ، وبلغ مجموعها خلال ١٢ شهرا فقط ١٨ الف دولار .

وعبّر الفيلم عن القناعة بان مساعدة اغجا في الهرب من السجن في تركيا بعد قتله الصحفي التركي ابتشكي كانت عملية خطيرة ، وهي تعني انه كان مرسوما لاغجا ان يكون في المستقبل ايضا اداة لعملية قتل ، فقد اصبح اغجا معروفا باقتحاميته وعدم تورعه في ارتكاب جرائم القتل . ولقد هدد اغجا ، فور هربه من

---

(٧) المصدر السابق

السجن ، بقتل البابا يوحنا بولس الثاني الذي كان سيصل الى تركيا بعد ذلك بيومين[٨] .

وقد استخدمت على نحو واسع الاكاذيب في الحملة المعادية للبلغار والسوفيات ، ولم يتردد اعضاء في الكونغرس الاميركي عن المشاركة في ذلك . ففي مقابلة مع مجلة « بانوراما » الايطالية في كانون الاول ١٩٨٢ قال السيناتور الاميركي الفونس داماتو : ان مسؤولين مقربين من الكرسي البابوي في الفاتيكان ابلغوه ان محاولة اغتيال البابا يوحنا بولس الثاني كانت نتيجة لرسالة بعث بها البابا الى الرئيس السوفياتي الراحل ليونيد بريجينيف حذره فيها من مغبة غزو بولندا ، وان المسؤولين في الفاتيكان مقتنعون بان السوفيات شاركوا في المؤامرة التي استهدفت حياة البابا . وقد نفى الفاتيكان رسميا ماجاء في تصريحات السناتور الاميركي ؛ فقد صرح الناطق باسم الفاتيكان ، الاب روميو بانشيرولي ، في ١١ كانون الاول ١٩٨٢ قائلا : « ان ماورد اخيرا في مقابلة اجرتها مجلة اسبوعية ايطالية مع السناتور الفونس داماتو لايعكس الحقيقة . كذلك ليس صحيحا ان السناتور استقبل في الفاتيكان لاجراء مشاورات في شأن الهجوم الذي تعرض له البابا[٩] .

وفي ١٥ كانون الاول ١٩٨٢ ، قالت اذاعة « ناشيونال بابليك » : ان البابا يوحنا بولس الثاني ابلغ وزير الخارجية الاميركي جورج شولتس ، انه يعتقد ان جهاز المخابرات السوفياتية « K.G.B » كان وراء محاولة اغتياله في العام الماضي . ونسب مراسل الاذاعة ، دانيال شور ، الى مصادر في البيت الابيض ـ لم يسمها ـ قولها ان شولتس احاط الرئيس رونالد ريغان علما بالمحادثة التي جرت بينه وبين البابا ، والتي دارت اساسا حول سبل التخفيف من الاحكام العرفية في بولندا .

وقال تقرير الاذاعة ان شولتس تلقى خلال زيارته لروما تقريرا حول التحقيقات التي تجريها الشرطة الايطالية حول صلة بلغارية مزعومة بحادث محاولة الاغتيال . وقال شور : « لقد قيل ان البابا اخطر شولتس خلال محادثاتهما امس الاول بانه يعتقد ان المخابرات السوفياتية التي كان يرأسها في ذلك الوقت الزعيم السوفييتي يوري اندروبوف كانت وراء محاولة اغتياله »، واضاف الاذاعي الاميركي يقول « إن اعتقال بلغاري مشتبه به في روما في الأسبوع الماضي ، يبدو انه ادى الى المزيد من الادلة المباشرة على تورط المخابرات البلغارية التي يقال انها تعمل تحت

---

(٨) Ibid

(٩)صحيفة « النهار » اللبنانية ١٢ كانون الأول ١٩٨٢ ,

الاشراف المباشر للمخابرات السوفياتية » .

وفي واشنطن اعلن متحدث باسم الامن القومي الاميركي انه ليست لديه معلومات عما نشرته اذاعة « ناشيونال بابليك » . وفي مدريد قال شولتس ، الذي كان يزور اسبانيا ضمن جولة اوروبية : ان مانسبته الاذاعة الاميركية اليه حول اغتيال البابا « خطأ تماماً » . وأضاف إن « الرواية لا اساس لها من الصحة . ولا استطيع ان اتصور من اين اتوا بها »[10] .

وقد ادلى كل من هنري كيسنجر وزير الخارجية ومستشار الامن القومي الاميركي الاسبق وخليفته في منصب مستشارية الامن القومي زبيغنيو بريجنسكي بدلوهما في الحملة ، واطلقا دون حساب « تأكيداتها » بضلوع بلغاريا وتورط الاتحاد السوفياتي في محاولة اغتيال البابا . ففي مقابلة مع شبكة التلفزيون الاميركية « كابل نيوز نيتورك » مطلع العام ١٩٨٣ ، اعرب كيسنجر عن اعتقاده بان المخابرات السوفياتية تقف وراء محاولة الاغتيال . وقال : انه « بدراسة الوقائع المعروفة يمكن بسهولة التوصل الى هذه النتيجة » . ولم يفصل كيسنجر في تلك « الوقائع المعروفة » لكنه زعم بان السوفيات قرروا في عام ١٩٨١ غزو بولندا ، لسحق نقابة تضامن . وانطلاقا من هذا الاحتمال فان البابا يشكل مشكلة نفسية لها قيمتها الكبرى[11] .

اما بريجنسكي فقد صرح لصحيفة « لاستامبا » الايطالية في ٢ كانون الثاني ١٩٨٣ ، معربا عن يقينه بان اجهزة المخابرات السوفياتية قد لعبت دورا في محاولة اغتيال البابا . وقال : لاشك في ان التحقيق الذي اجرته السلطات الايطالية قد كشف عن تورط بلغاريا في محاولة الاغتيال . . ويمكن لمن يعرف بواطن الامور في اوروبا الشرقية ان يستنتج تلقائيا ان الاتحاد السوفياتي واجهزة المخابرات السوفياتية التي يرأسها يوري اندروبوف منذ خمسة عشر عاما هي التي اشرفت على هذه العملية[12] .

والجدير بالذكر انه حتى ذلك الوقت لم يكن القاضي مارتيلا ، المحقق الرسمي في القضية قد افصح عن اي شيء فيما يتعلق بالقضية ، او بالدور الذي زعم ان المواطن البلغاري انتونوف قد اضطلع به . بل ان مارتيلا كان في الثلاثين من كانون الاول ١٩٨٢ قد استجوب ٨ اشخاص من زملاء انتونوف في مكتب

---

(١٠) صحيفة السفير اللبنانية ١٦ كانون الأول ١٩٨٢ .

(١١) صحيفة « الشرق الأوسط » الصادرة في لندن ٢ كانون الثاني ١٩٨٣ .

(١٢) صحيفة « الأنباء » الكويتية ٣ كانون الثاني ١٩٨٣ .

شركة الخطوط الجوية البلغارية في روما ، ومن الاشخاص الذين كانوا مسافرين على طائرة تابعة للشركة في ١١ ايار ١٩٨١ ، وهو اليوم الذي زعم فيه اغجا ان انتونوف كان معه في ساحة القديس بطرس للكشف على موقع محاولة الاغتيال . وقد شهد هؤلاء بوجود انتونوف في مطار فيومشينو الايطالي في ذلك اليوم(١٣) .

لقد ذكرت الحملة الغربية ضد بلغاريا والاتحاد السوفياتي والشيوعية العالمية الكثيرين بما حدث في المانيا قبل ذلك بنصف قرن . فقد كان الشيوعيون البلغار والاتحاد السوفياتي والشيوعية العالمية ، الى جانب الحزب الشيوعي الالماني محل تهمة ملفقة ، فقبل اسبوع واحد فقط من موعد الانتخابات البرلمانية الى الرايخستاغ الالماني في آذار ١٩٣٣ ، شبت النيران في مبنى الرايخستاغ . ومع انه القي القبض على الفاعل متلبسا بجرمه المشهود ، وهو الهولندي مارينوس فان درلوبه ، فان التهمة القيت منذ اللحظات الاولى على عاتق الحزب الشيوعي الالماني ، والحركة الشيوعية العالمية ، والاتحاد السوفياتي ، حتى قبل البدء بالتحقيق مع الفاعل . وجرى في تلك الليلة ـ ليلة السابع والعشرين من شباط ١٩٣٣ ـ اعتقال الآلاف من الشيوعيين الالمان ، وعمت المانيا حملة هوجاء معادية للشيوعية وارتفع عاليا وبقوة شعار مكافحة الشيوعية تحت ذريعة مكافحة « الارهاب البلشفي » . وقد قاد الحملة هتلر وغورينغ وغوبلز شخصيا وغيرهم من زعماء النازية . وكان من بين الذين طالتهم حملة الاعتقالات التي استمرت في الايام والاسابيع اللاحقة ثلاثة من قادة الحزب الشيوعي البلغاري الذين اضطروا الى العيش في المنفى بعد حظر نشاط حزبهم ، ومطاردته في بلغاريا ، وتوجيه تهم ملفقة اليهم لتبرير ملاحقتهم . ولم يكن اولئك الثلاثة سوى جورجي ديمتروف قائد الحزب ، وبلاغوي بوبوف ، وفاسيل تانيف عضوي المكتب السياسي للحزب .

كان الحزب النازي يواجه في تلك الايام عقبة كبرى في سعيه الى الهيمنة الكاملة على الحياة في المانيا . فقد اسفرت انتخابات خريف ١٩٣٢ عن فقدان الحزب النازي حوالى مليوني ناخب بالمقارنة مع الانتخابات السابقة . وتقلص عدد نوابه في الرايخستاغ من ٢٣٠ الى ١٩٦ نائبا ، بينما حصل تحالف الحزب الشيوعي الالماني والحزب الديمقراطي الاشتراكي على ٢٢١ مقعدا في الرايخستاغ بينهم مائة نائب شيوعي ، وكان من المؤمل ان يحقق التحالف الشيوعي ـ الاشتراكي الديمقراطي نتائج افضل في انتخابات اذار ١٩٣٣ .

---

(١٣) صحيفة « النهار » اللبنانية ٣١ كانون الأول ١٩٨٢ .

وبذلت النازية جهودا ضخمة ، وحشدت اكثر من ١٠٠ من شهود الزور لاثبات ان ثمة علاقة بين الشيوعيين البلغار الثلاثة والمتهم بحادث احراق مبنى الرايخستاغ . وتطوع عدد كبير من الصحف والصحفيين المعادين للشيوعية ، داخل المانيا وخارجها ، للمطالبة بقطع دابر الشيوعية ، واعدام الشيوعيين البلغار ورفاقهم في الحزب الشيوعي الالماني ، باعتبارهم مشعلي الحريق والمخططين له . بل وجرى الحديث عن مؤامرة يوجد لموسكو والكومنتيرن ضلع فيها .

وبعد عدة اشهر من التحقيق والمحاكمة ، استتبت اثناءها الامور للنازيين الذين احكموا قبضتهم على المانيا ، برئت ساحة الشيوعيين البلغار والحزب الشيوعي الالماني ، واستبعدت موسكو والكومنتيرن من مسؤولية احراق « الرايخستاغ » بينما اختفى الكثير من الحقائق والوثائق التي تثبت مسؤولية النازيين انفسهم عن تدبير الحادث من اجل تمهيد الطريق امامهم للسيطرة على المانيا(١٤) .

وفي الكلمة الختامية التي القاها امام محكمة لايبزغ في ١٦ كانون الأول ١٩٣٣ ، قال جورجي ديمتروف مخاطبا هيئة المحكمة الالمانية :

« ايها السادة ! ان هذه ليست المرة الاولى التي ينسب فيها للشيوعيين مثل هذا الاعتداء . لا استطيع هنا سرد جميع الامثلة من هذا النوع . اذكر فقط كارثة سكة الحديد التي حدثت هنا في المانيا قرب يوتير بورغ والتي ارتكبها مجنون مغامر ومستفز . واشيع ، طيلة اسابيع لا في المانيا وحدها بل وفي بلدان اخرى وقتئذ ، الزعم ان ذلك الفعل كان من صنع الحزب الشيوعي الالماني ، وانه عمل ارهابي من جانب الشيوعيين . واتضح فيما بعد ان الفاعل كان المريض النفساني والمغامر ماتوسكا الذي اعتقل وحكم عليه . واذكر مثالا آخر ، وهو اغتيال الرئيس الفرنسي على يد غوغولوف . وعندئذ كتب في جميع البلدان كذلك عن وجود علاقة للشيوعيين بالحادث . وقيل ان غوغولوف شيوعي وعميل سوفياتي . فماذا ظهر مؤخرا ؟ . لقد ثبت أن الاغتيال قد نظم من جانب الحرس الابيض الروسي ، اعداء الثورة السوفياتية ، وان غوغولوف استفزازي اراد ان يتسبب في قطع العلاقات بين الاتحاد السوفياتي وفرنسا .

واذكّر الحاضرين ايضا بمحاولة الاعتداء التي جرت في كاتدرائية صوفيا . ان هذا الاعتداء لم يكن من تنظيم الحزب الشيوعي البلغاري ، ولكنه ادى الى ملاحقة

---

(١٤) ميلن سيمكوف : ديمتروف ومحاكمة لايبزغ ـ نقله الى العربية : ميخائيل عيد . راجعه وقدم له : د . مسعود ضاهر . دار ابن خلدون ـ بيروت (بدون تاريخ النشر) .

الحزب الشيوعي بطريقة وحشية . وتم قتل الفي عامل وفلاح ومثقف على ايدي العصابات الفاشية بحجة قيام الشيوعيين بتفجير الكاتدرائية . ان الشرطة البلغارية هي التي دبرت ذلك الاستفزاز بتفجير كاتدرائية صوفيا . ففي عام ١٩٢٠ نظم رئيس صوفيا ، بروتكين ، بنفسه حادث انفجار وقع خلال اضراب عمال سكك الحديد كوسيلة لاستفزاز العمال البلغار .

الرئيس : (يقاطع ديمتروف) ليس لذلك صلة بالمحاكمة[١٥] .

وعلى الرغم من انها فتحت صفحاتها للحملة المعادية لبلغاريا والاتحاد السوفياتي في شأن محاولة اغتيال البابا يوحنا بولس الثاني ، فان صحيفة « نيويورك تايمز » الاميركية ، اضطرت في مرحلة من المراحل الى التعبير صراحة عن صعوبة او استحالة الاقتناع بوجود صلة سوفياتية ، واستطرادا صلة بلغارية ، بالمحاولة ، فكتبت تقول في مقالة رئيسية لها :

« هل كان الشاب التركي الذي اطلق النار على البابا يوحنا بولس الثاني في ساحة القديس بطرس في ١٣ ايار ١٩٨١ ، يعمل بناء على اوامر من البوليس السري البلغاري ؟ . واذا كان كذلك فهل كان الحادث بوحي من الـ(كي . جي . بي) التي كان يرأسها آنذاك يوري اندروبوف ، زعيم الحزب الشيوعي السوفياتي حاليا ؟ . ان أياً من التساؤلين السابقين اللذين ملآ الاحاديث السياسية والصحافية والحكومية الايطالية وامكنة اخرى ، لايمكن الاجابة عنهما بناء على الأدلة المتوفرة حاليا . ولكن اذا ماتبين ان البوليس السري البلغاري هو الذي دفع محمد علي اغجا ، الذي يقضي عقوبة السجن مدى الحياة بعد واحدة من اقصر المحاكمات في تاريخ القضاء الايطالي منذ الحرب العالمية الثانية ، للقيام بما قام به ، فان المسؤولية ستقع في النهاية في احضان موسكو .

وليس هناك في تاريخ بلغاريا خلال فترة مابعد الحرب العالمية الثانية مايدل على وجود استقلال جيد عن الاتحاد السوفياتي ، وبشكل خاص في امور الشؤون الخارجية . ويعتقد خبراء السياسة والدبلوماسية والاستخبارات في الدول غير الشيوعية انه من غير المتوقع ان يكون عملاء البوليس السري البلغاري قد وافقوا على تنفيذ مثل هذه المهمة الضخمة الا اذا كانوا قد حصلوا على تعليمات واضحة من الاتحاد السوفياتي » . .

---

(١٥) جورجي ديمتروف : ومع ذلك فهي تدور ـ ترجمة : س . بورادجييفا ـ دار النشر التابعة لوكالة « صوفيا برس » ـ صوفيا ١٩٨٢ .

وتستدرك الصحيفة الاميركية قائلة : « وهناك كثير من التساؤلات التي لابد من الاجابة عليها قبل اقامة صلة وصل مباشرة بين الاتحاد السوفياتي وبين محاولة اغتيال البابا . التساؤل الاول يدور حول الدافع السوفياتي لمثل هذا العمل . والاجماع بين الذين يعتقدون ان بلغاريا هي المخطط للعملية وان الاتحاد السوفياتي هو المسؤول في نهاية المطاف ، ينحدر تماما عندما يأتي الامر لموضوع الدوافع . ومن المتفق عليه عامة ، ان البابا مارس نفوذا غير عادي لاثارة غالبية البولنديين لمواجهة نظامهم بشكل علني ، واثار كثيرا من المخاطر امام سلطة السوفيات على حلفائهم في اوروبا الشرقية وكذلك منذ ايام الانتفاضة التشيكية عام ١٩٦٨ .

لكن كثيرا من المحللين السياسيين والمهنيين ، ورجال الاستخبارات ، يتساءلون اذا كان اغتيال البابا سيؤدي بشكل فعّال الى اضعاف حركة تضامن التي تقودها النقابات العمالية التي بلغت اوج قوتها عام ١٩٨١ . . ويشك هؤلاء ايضا في ان يكون الاتحاد السوفياتي الذي يعتبرونه حريصا كل الحرص على علاقاته الدولية ، قد عرض نفسه لمخاطرة كبيرة على طريق الاشتراك في مؤامرة بهذا الحجم ، ووضع ثقته لتنفيذها في ارهابي تركي غير مستقر عاطفيا وفي الثالثة والعشرين من العمر ، ثم تنفيذها في وقت تعتبر فيه فرص وقوع القاتل في ايدي البوليس الايطالي اكبر منها في اي وقت آخر .

ومن الملاحظ ايضا ان الاحداث التالية اثبتت ان الاتحاد السوفياتي كان يملك بين يديه كل السبل الكفيلة بحل المشكلة البولندية ، عن طريق غير الطريق الخطير المثير للدهشة طريق اغتيال البابا . وحتى هذه اللحظة يعتبر التورط البلغاري ، مجرد ادعاء لاتدعمه الحقائق . والعمل القانوني الوحيد الذي تم بهذا الشأن ضد مواطن بلغاري ، هو القاء القبض في ٢٥ تشرين الثاني على نائب مدير محطة الخطوط البلغارية في روما سيرجي ايفانوف انتونوف . وقد تم الاعتقال بناء على امر قضائي من القاضي ايلاريو مارتيلا وهو القاضي الذي يضطلع بمهمة التحقيق في ما اذا كان اغجا يعمل بمفرده كما تم الادعاء سابقا ، ام انه كان يحظى بمساعدة بعض الشركاء . وطبقا للقوانين الايطالية ، تتم دراسة احوال الجرائم من قبل قاض للتحقيق ، الذي يقع على عاتقه ايضا تقرير مدى صحة الدلائل ، ومن ثم اصدار الامر باجراء المحاكمة »[١٦] .

ان المعلومات التي يستند اليها المحققون الايطاليون في قضية مشاركة

---

(١٦) نقلا عن صحيفة « الأنباء » الكويتية ٣ كانون الثاني ١٩٨٣

انتونوف ، والمواطنين البلغار الاخرين الذين كانوا يقيمون في ايطاليا في محاولة اغتيال البابا ، هي خليط مما نشره الاميركيان بول هنتسه وكلير ستيرلنج في الصحافة ، وماقاله محمد علي اغجا في سجنه بعد فترة طويلة من الحكم عليه ، وفي ظروف كانت وما تزال تحيطها الشكوك المثيرة ، حيث جرى الاتصال باغجا في سجنه ووعد بتخفيف الحكم عليه مقابل التعاون في توجيه الاتهام الى بلغاريا والاتحاد السوفياتي . وكانت اقوال أغجا تنقل عنه إلى الصحف ووسائل الاعلام الأخرى . وفي غير مرة كان أغجا يعلن أن أقواله جرى تحريفها من جانب الصحافة . وفي كل مرة ايضا كان ينفي ماينسب اليه ثم يعود فيؤكده ثم ينفيه .

وفي ٨ تموز ١٩٨٣ كان اغجا قد احضر من سجنه الى روما لاستجوابه بشأن قضية اختطاف امانويلا اورلاندي ابنة موظف الفاتيكان ـ ١٥ عاما ـ التي طالب مختطفوها باطلاق سراح اغجا مقابل اطلاق سراحها ، ويومذاك تحدث اغجا مباشرة الى الصحفيين فقال : ان المخابرات السوفياتية دربته على جذب زناد المسدس ، وان تدريبه جرى في بلغاريا وسوريا . وقال انه ذهب الى بلغاريا وسوريا عدة مرات وان الـ « K.G.B » السوفياتية شاركت في الهجوم على البابا ، وانها استخدمت عملاء بلغاراً في تدريبه في اوروبا ، وسوريين في الشرق الاوسط ، لكنه لم يعط اية تفصيلات بهذا الصدد(١٧) .

وابلغ اغجا الصحفيين انه يعرف سيرجي انتونوف : « انه كان شريكي » . وقد علق محامو انتونوف على تصريحات اغجا ، فوصفوها بانها زائفة ، واصدروا في روما بيانا اعربوا فيه عن الدهشة ازاء اعطاء رجل محكوم عليه بالسجن مدى الحياة فرصة التحدث بحرية امام الصحفيين .

وعدا عما عكسته تصريحات اغجا من معاملة استثنائية يتلقاها من جانب الشرطة واجهزة التحقيق الايطالية وهو مايثير الكثير من الاسئلة بصدده ، فان ايراد اسم سوريا باعتبارها ذات صلة ، ولو بصورة غير مباشرة في محاولة اغتيال البابا ، انما حدث بالضبط في الوقت الذي كانت تشتد فيه المجابهة السورية ـ الاميركية حول لبنان . فقد وقفت الولايات المتحدة الاميركية وحلفاؤها في حلف شمال الاطلسي بقوة الى جانب الغزو الاسرائيلي للبنان ، وتوقيع اتفاق ١٧ ايار اللبناني ـ الاسرائيلي ، بينما وقفت سوريا بقوة مماثلة ضد ذلك . وفي الوقت الذي كان يجري فيه ايراد اسم سوريا في القضية كانت القوات الاميركية ، وقوات الناتو تستعمل

---

(١٧) صحيفة الأنوار اللبنانية ١٠ تموز ١٩٨٣ .

اسلحتها البرية ، والبحرية والجوية ضد القوات الوطنية اللبنانية ، التي حظيت بدعم مباشر من سوريا ، لاجبارها على تخلية مواقعها لصالح الحكم اللبناني ، وحزب الكتائب اللذين اظهرا تمسكا شديدا باتفاق ١٧ ايار وبالخيار الاميركي - الاسرائيلي فيما يتعلق بالمشكلة اللبنانية . وقد اجبرت اميركا ودول الناتو في النهاية على الانسحاب من لبنان كما اجبر الحكم اللبناني على الغاء اتفاقه مع اسرائيل .

لقد كشف البلغار في بياناتهم الرسمية ، وفي المؤتمرات الصحفية التي نظموها وشارك في بعضها معظم الذين وجهت اليهم التهمة بالمشاركة في محاولة اغتيال البابا ، بمن فيهم التركي بكير شيلنيك . . كشفوا الكثير من الاخطاء الفاضحة ، والتناقضات في المعلومات التي ادلى بها اغجا الى المحققين الايطاليين الذين اعتمدوا كلية على هذه المعلومات لاتهام المواطنين البلغار . كما كشف مواطنون ايطاليون وبلغار عددا من اكاذيب اغجا ، الامر الذي جعله يغير من افادته اكثر من مرة .

قال اغجا ، لتأكيد الادعاء بان العملية التي قام بها عصر الثالث عشر من ايار ١٩٨١ في ساحة القديس بطرس ضد البابا يوحنا بولس الثاني انما خطط لها البلغار ووضعوا اللمسات الأخيرة لها ، انه اجتمع في العاشر من ايار في شقة انتونوف في روما مع اربعة أشخاص اتراك ، وسيرجي انتونوف ، وتيودور ايفازوف ، وجيليو فاسيليف ، وروسيتسا انتونوف ، زوجة سيرجي انتونوف ، وابنة انتونوف ، وجرى في ذلك الاجتماع التوصل الى خطة اغتيال البابا والموافقة عليها . واضاف (اغجا) ان زوجة انتونوف قدمت لهم الشاي . واعطى « اغجا » اوصافا لشقة انتونوف . وعدا عن الاخطاء التي وقع فيها اغجا فيما يتعلق بمحتويات الشقة من الداخل ، فانه قال ان ابواب شقة انتونوف مصنوعة من شرائح الخشب الانزلاقية . والواقع ان ابواب الشقق الباقية في البناية ذاتها هي من النوع الذي وصفه اغجا الا ان ابواب شقة انتونوف لم تكن كذلك ، اذ انها سبق وان تحطمت واستبدلت بستائر من القماش . بيد ان اكبر كذبة ارتكبها اغجا - والذين من خلفه - في تلك الرواية هو مايتعلق بزوجة انتونوف وابنته .

لقد كان ثابتا في السجلات الرسمية البلغارية ان ابنة انتونوف لم تكن في روما منذ سنة كاملة قبل ذلك التاريخ ، كانت موجودة في بلغاريا للدراسة . اما السيدة روسيتسا انتونوف فقد غادرت ايطاليا في ٨ ايار ١٩٨١ الى بلغاريا لانتهاء اقامتها في ايطاليا . سافرت روسيتسا بالسيارة وعبرت الحدود الايطالية الشمالية بصورة شرعية ورسمية ، مجتازة بذلك نقطة الحدود الرسمية ، وامضت ليلتها الاولى في فندق يوغسلافي تحتفظ سجلاته الى الان باسم السيدة انتونوف ، وبالمبلغ الذي دفعته لقاء

مبيتها[١٨] . وكانت روسيتسا موجودة في صوفيا في نفس الوقت الذي قال اغجا انها قدمت له الشاي في شقة انتونوف في روما .

وجاء في أقوال اغجا ايضا ، ان الشاب الذي هرب من ساحة القديس بطرس يوم ١٣ ايار ١٩٨١ بعد اطلاق النار على قداسة البابا يوحنا بولس الثاني مباشرة ، هو تيودور ايفازوف ، المحاسب في السفارة البلغارية في روما . وحاولت الصحافة الغربية ان تقدم دليلا يثبت اقوال اغجا فنشرت صورة للشاب الهارب ، التقطت من الخلف وقام بالتقاطها احد المصورين الاميركيين الذي صادف وجوده هناك وقت الحادث . ولكن سرعان ماتهاوى هذا « الدليل » ؛ فلدى مقارنة صورة ايفازوف الحقيقي بالصورة الخلفية لايفازوف المزعوم ، ظهر بوضوح ان الشاب الهارب اصغر سنا واقصر قامة واقل بدانة من ايفازوف المحاسب في السفارة البلغارية بروما ، والبالغ من العمر التاسعة والثلاثين ، كما يبلغ طوله ١٨٠ سنتيمترا ويميل جسمه الى السمنة .

وقال اغجا انه في ١١ ايار قام هو وانتونوف وايفازوف بالكشف على ساحة القديس بطرس حوالى الساعة الخامسة بعد الظهر تمهيدا لتنفيذ محاولة الاغتيال . وحينما شهد احد مستخدمي المطار الايطالي بان انتونوف كان في ذلك الوقت موجودا في المطار ، غيّر اغجا رأيه ، وقال انه وايفازوف فقط ، دون انتونوف ، ذهبا الى ساحة القديس بطرس ! . وكان البلغار ، وكذلك محامو انتونوف ، قد اكدوا بان انتونوف كان موجودا طيلة يوم ١١ ايار في مطار فيوميشينو حيث اشرف على اقلاع طائرة الخطوط الجوية البلغارية (بلقان) المتوجهة الى صوفيا ، وعلى متنها ٦٥ راكبا . اما بالنسبة لايفازوف فانه كان في حدود الساعة الثالثة والنصف من بعد ظهر ١١ أيار ، قد ذهب الى احد محلات بيع الدراجات الهوائية ، واشترى ٥ دراجات قام بنقلها الى المطار وشحنها الى صوفيا في حدود الساعة الرابعة والنصف من بعد ظهر ذلك اليوم . ويبعد المطار عن مركز مدينة روما ، حيث ادعى اغجا انه التقى فيه بايفازوف وانتونوف ، حوالى ٢٠ ميلا (اكثر من ٣٠ كيلو مترا) . وفيما بعد حصل كريس هاربر ، مراسل الشركة التلفزيونية الاميركية (A.B.C) على شهادة مالك محل الدراجات الهوائية الايطالي بصحة ماجاء في اقوال ايفازوف ، كما حصل على نسخة من ايصال الاستلام الخاص بالدراجات الخمس ، وعلى نسخة من

---

(١٨) توجد لدى القاضي الايطالي مارتيلا الآن نسخة من الوثائق الرسمية اليوغسلافية هذه .

قائمة الشحن التي تثبت عملية شحن الدراجات الى صوفيا ، وكان توقيع ايفازوف واضحا فيها[١٩] .

وقال اغجا انه التقى بانتونوف وايفازوف مرة اخرى عند ظهر يوم ١٢ ايار ١٩٨١ ، قبل محاولة اغتيال البابا بيوم واحد . ولكن عندما شهد ثلاثة من رجال الشرطة الايطالية بانهم رأوا انتونوف في ذلك الوقت تماما في ذلك المكتب الصغير داخل السفارة البلغارية ، غير اغجا مرة اخرى اقواله واعلن انه التقى في ذلك الوقت بايفازوف وحده ! وفي ذلك اليوم بالذات كان ايفازوف موجودا طيلة الوقت داخل السفارة البلغارية في روما للتحضير لحفل الاستقبال الذي اقيم للمغنية رانيا كابايفانسكا في مساء ذلك اليوم ، وبسبب طبيعة عمله كمحاسب للسفارة ، فانه لامر بديهي ان يكون وجوده في السفارة امرا ضروريا لمسؤوليته عن الجانب المالي للحفل ومتطلباته .

وقال اغجا ايضا ، انه في حدود الساعة الثالثة بعد ظهر يوم ١٣ ايار اخذه انتونوف وايفازوف من (بيازا ديلا ريبوبليكا) في روما ، وذهبوا بالسيارة الى شقة ايفازوف . وهناك تجهزوا بسلاحين ناريين وقنبلة يدوية ثم انطلقوا الى ساحة القديس بطرس . وفي هذا الصدد يقول انتونوف : انه في الوقت الذي حدثت فيه محاولة اغتيال البابا تماما كان موجودا في مقر عمله ، مكتب شركة الخطوط الجوية البلغارية في روما . وقد صادق على هذه الحقيقة خمسة بلغاريين وايطالي واحد . اما ايفازوف فيقول : انه كان في ذلك الوقت موجودا داخل السفارة البلغارية وقبل ٤٥ دقيقة من حدوث محاولة الاغتيال زاره شخصان في مكتبه . الاول بلغاري ، والثاني هو مالك النادي الليلي الايطالي « لويجي مونتيل » .

لم تكن هذه هي كل التناقضات والافتراءات التي انطوت عليها اقوال اغجا ، التي استندت اليها اجهزة التحقيق الايطالية في اتهاماتها لسيرجي انتونوف ، ومواطنيه الاخرين ، بالضلوع في المؤامرة التي استهدفت حياة البابا يوحنا بولس الثاني . فقد ذكر اغجا بانه كان قد التقى بروسيتسا انتونوف في منتصف كانون الثاني

---

(١٩) أذاعت (A.B.C) هذه المعلومات ومعلومات أخرى غيرها تتصل بمحاولة اغتيال البابا يوحنا بولس الثاني ، وما نشأ عنها من قضايا أخرى في برنامج خاص بثته في يوم ١٢ أيار ١٩٨٣ في مناسبة الذكرى الثانية للمحاولة . وكان البرنامج حصيلة تحقيقات جرت في العديد من البلدان ، بينها بلغاريا ، وايطاليا ، وتركيا ، ومقابلات مع العديد من الأشخاص الذين وردت أسماؤهم في القضية .

١٩٨١ في مقهى بيكـاديللي في ساحة (باربريني) . ولم تكن روسيتسا في الواقع آنذاك في روما ، وانما في صوفيا التي لم تغادرها إلى ايطاليا الا في ٣ شباط ، وهو ماتشهد عليه وثائقها الرسمية .

وعدا عن ذلك ، فان هناك تناقضاً فاضحاً اخر في اقوال اغجا الذي زعم بانه كان يتفاهم مع انتونوف وايفازوف باللغة الانجليزية . الا ان احد ممثلي الشرطة الايطالية اكد بان اغجا يوم القاء القبض عليه لم يكن يعرف الا القليل جدا من الانجليزية بينما لم يكن انتونوف وايفازوف يعرفان هذه اللغة على الاطلاق . كما ان اغجـا عاد في مرحلة لاحقة ونفى ان يكون الشاب الذي شوهد هاربا في ساحة القديس بطرس وقت الاعتداء على البابا ، هو ايفازوف ، وقال ان ذلك الشخص كان صديقا مقربا اليه . وهو تركي ، ولن يفشي سره مطلقا ! ورجع اغجا ايضا عن كامل روايته عن المؤامرة المزعومة التي خطط لها مع انتونوف لاغتيال ليش فاليسا ، زعيم نقابة تضامن البولندية خلال زيارته الى روما لمقابلة البابا يوحنا بولس الثاني في عام ١٩٨١ . وقـد اضطر القاضي مارتيلا ، بعد سنة كاملة من اعتقال سيرجي انتونوف ، الى توجيه اتهام رسمي الى اغجا بالافتراء على نائب ممثل الخطوط الجوية البلغارية في ايطاليا والادعاء بانه شارك في مؤامرة مزعومة لاغتيال فاليسا . وقد حمل ذلك الاتهام الرسمي لاغجا الصحف الايطالية على وصف اغجا بانه كذاب كبير ومفتر ، بما في ذلك الصحف التي تحمست كثيرا لنشر اكاذيب اغجا حول مسؤولية بلغـاريا والاتحـاد السـوفياتي في محاولـة اغتيال البـابـا . ولقـد تسـاءلت صحيفة « لاستـامبا » في يوم ٢٥ تشرين الثاني ١٩٨٣:« بما ان اغجا كذاب فلماذا مايزال انتونوف في السجن ؟ » . وقالت انه بعد ١٢ شهرا من اعتقال انتونوف فان مابقي من ادلة اغجا لايعدو كونه كومة من الاسمال البالية . اما صحيفة « ميساجيرو » فقد اعتبرت ان التحقيقات التي جرت حتى ذلك الوقت لابد انها جعلت الامور واضحة بالنسبة للقاضي مارتيلا بأن اتهامات أغجا « ليست سوى افتراءات موجهة منه ضد انتونوف » .

وفي عددها الصادر في كانون الاول ١٩٨٣ نشرت مجلة « بولزيا اي ريفورما ديلوستـاتـو » مقـالـة بعنـوان « الاثر البلغاري : مهزلة فاجعة ، لكن المهرج هو ايطاليا » قالت فيها :

« منذ البدايات المبكرة للقضية تنبأنا دون ان نمنح انفسنا جدارة عظمى في ذلك ان كل شيء سينتهي بما يخزي بلادنا ، ويسبب لها خسارة جسيمة في هيبتها واعتبارها » . وفي عددها الصادر في كانون الثاني من هذا العام قالت هذه المجلة

ان « الاثر البلغاري » او « الصلة البلغارية » في محاولة الاغتيال ، التي استهدفت حياة البابا يوحنا بولس الثاني في ساحة القديس بطرس ، تحمل كل العلامات الدالة على كونها مولودة في بيت الـ (S.I.S.M.I)[٢٠] . وتم ذلك على الارجح بناء على اقتراح شخص ما اراد « اختبارنا » من دون ان يخزي نفسه شخصيا ، ثم تخلى عنا اخيرا وترك الايطاليين يتدبرون امورهم بانفسهم . وفي ذلك العدد سجل كل من : لوسيانا كاستيلينا وفالكو اكامي واليسيو ميلاني ، اعضاء البرلمان ، ملاحظات ساخرة ولاذعة فيما يتعلق بـ« اجهزتنا وحكامنا وسياسيينا الذين هبوا الى امتطاء صهوة الصلة البلغارية » .

واعادت المجلة الى الاذهان حقيقة ان « الاثر البلغاري » في محاولة اغتيال البابا انما اشيع من جانب محطة تلفزيونية اميركية ، والصحفية كلير ستيرلنج . واتهمت المجلة وكالة المخابرات المركزية ووزارة الخارجية الاميركية بانهما تقفان وراء طرح فرضية « الأثر البلغاري » ، كما اتهمت المخابرات الاسرائيلية (الموساد) بانها على معرفة ببعض التفاصيل . وذكرت بالزيارة التي قام بها وزير الخارجية الاميركي جورج شولتس الى روما لمتابعة سير الحملة الخاصة ب« الاثر البلغاري » ، وعبرت المجلة عن قناعتها بان شخصا ما قرر ان يضع الماكنة قيد العمل ، ثم جلس يراقب ما يحدث من دون ان يجلب لنفسه العار « حدد لبلادنا ان تقوم بدور المهرج في حلبة الصراع الدولي » .

وخارج ايطاليا ايضاً خرج العديد من الصحف بانطباعات مماثلة حول افتراءات محمد علي اغجا ، وبراءة بلغاريا ومواطنيها من تهمة التورط في محاولة اغتيال البابا . ففي البرتغال كتب الصحفي ميشيل جياناتا مقالة بعنوان « سقوط الاثر البلغاري » في صحيفة « دياريو » بتاريخ ٨ كانون الاول ١٩٨٣ قال فيها :

ان الادلة التي في صالح انتونوف اصبحت كثيرة الى درجة انه بات من الصعب على القاضي مارتيلا ، ان يتحمل مدة اطول ، يحتفظ فيها بعينيه مغلقتين. فمما لاشك فيه ان ادلة اغجا الهامة المتعددة كانت زائفة تماما . والآن فان الشك لابد ان يتحول نحو الشاهد العيان هذا ، ويطلق سراح انتونوف .

---

(٢٠) جهاز استخبارات الأمن العسكري الايطالي . وهو معروف بسيطرة العناصر اليمينية على قيادته وأجهزته . ويتعاون على نحو وثيق مع وكالة المخابرات المركزية الأمريكية والأجهزة السرية للدول الغربية والدول الأخرى الموالية للغرب ، كالموساد الاسرائيلي وله علاقة قوية مع المنظمات اليمينية الايطالية والدولية . (الناشر) .

ومـع ذلـك ، فان عددا غير قليل من الصحف ووسـائل الاعلام المعنية بمواصلة الحملة الدعائية المعادية لبلغاريا وللاشتراكية والشيوعية ، حاول جاهداً البحث عن ادلة جديدة تعوض عن خسارة الادلة التي ثبت بطلانها . وذات يوم من ايام كانون الاول ١٩٨٣ خرجت مجلة « باري ماتش » الفرنسية بما اعتبرته مادة مثيرة وجذابة لقرائها . فقد نشرت صورة فوتوغرافية لمشهد محاولة الاغتيال التي جرت في ساحة القديس بطرس بالفاتيكان . وبدت في صدر الصورة السيارة البابوية ، وفيها البابا الجريح يشرف على التهاوي وسط السيارة ، وقد اسنده رجلا الدين اللذان كانا يرافقانه . وفي الخلفية كان حشد الناس الذين بدت عليهم علامات الهياج والاستفزاز . وفي الصورة احيط بخط دائري وجه احد المتفرجين ، رجل ذو شعر اسـود وشـاربـين ، يضـع نظارة على عينيه . وتقـدم الصورة شبها لافتا للنظر ، لشخص مختف بين حشـد الشهود العيان على محاولة الاغتيال . والى جانب هذه الصورة وضعت « باري ماتش » صورة سيرجي انتونوف الذي كان قد اعتقل قبل ذلك الوقت بسنة كاملة .

العنوان الذي وضعته المجلة للصورة بالخط العريض « بلغاري يهجم على البابا ! » اما الشرح فيقول : « هذه الصورة تثبت الجرم . انها تعرض ، من بين حشد الناس في ساحة القديس بطرس في ١٣ ايار ١٩٨١ مباشرة بعد جرح البابا ، رجلا بشاربين ونظارة ، انه سيرجي ايفانوف انتونوف ، الذي امر القاضي مارتيلا باعتقـاله بتهمة المشاركة الفعالة في محاولة الاغتيال . هذا البلغاري البالغ من العمـر ٣٤ عامـا ، والذي يعيش في روما حيث يعمل في مكتب الخطوط الجوية البلغارية هو الحلقة المفقودة في المؤامرة الرهيبة التي هدفت الى قتل البابا يوحنا بولس الثاني . ان هذا يثبت وبما لايقبل الدحض النظرية المتعلقة المدبرة من جانب الشرق » .

ولقد نشرت المجلة ذلك على صفحتين من صفحاتها . وبعد ذلك بايام قليلة ظهـر ان ذلـك « الـدليل المثير» لم يكن دليلا البتة ، فقد انقلب هذا الرجل ذو الشاربين والنظارة الواقف وسط الحشد من « البلغاري سيرجي ايفانوف انتونوف » الى سائح أميركي كان موجودا في ذلك الوقت ، وفي ذلك المكان بالذات لحظة وقوع الاعتـداء على البابا في ساحة القديس بطرس . وحمل ذلك « باري ماتش » على الاعتذار لقرائها ، ولكن ليس على مساحة صفحتين ، وانما بملاحظة موجزة وفي مكان ليس بارزا ولايمكن ان يلحظه كل القراء ، كما انها لم تتبرأ من المادة التي نشرتها .

والواقع فانه حتى الصحفي المبتدىء لايقع في الخطأ الفادح الذي وقعت فيه المجلة الفرنسية المرموقة . فقد كان في وسع الشخص العادي تماما ان يستنتج من طبيعة الصورة ذاتها ان ذلك الرجل ذا الشاربين لايمكن ان يكون انتونوف المتهم في محاولة الاغتيال ، او انه انتونوف حقا وفعلا . ولم تكن له اية علاقة بالمحاولة . فالصورة ملتقطة بعد لحظات من اطلاق النار على البابا ، وذلك واضح من كون جسد البابا مشرفا على السقوط وسط السيارة ، بينما استطاع الراهبان اللذان كان البابا يقف بينهما ان يسندا جسده المتهالك . اما انتونوف المزعوم فكان يقف بثبات وتماسك في مكانه ينظر بدهشة الى المشهد الذي امامه . وحسب البيانات والمعلومات التي صدرت عن اجهزة التحقيق الايطالية واوساطها قبل عام من تاريخ نشر الصورة ، فان انتونوف الذي زعم بانه متورط في محاولة الاغتيال كان « مكلفا بنقل محمد علي اغجا من ساحة القديس بطرس في اسرع مايمكن بسيارة كانت متوقفة بالقرب من مكان الحادث » . وهذا يعني انه في الوقت الذي التقطت فيه الصورة التي نشرتها « باري ماتش » كان ينبغي ان يكون انتونوف في تلك السيارة استعدادا لنقل اغجا « في اسرع مايمكن » .

ومع ذلك فقد كان نافعا مافعلته المجلة الفرنسية ، انه على الاقل اعطى صورة للطريقة التي تتعامل بها الصحافة الغربية مع الاشياء ، والقى ضوءا على حقيقة ودوافع الحملة الهستيرية التي لماتزل جارية في شأن « الأثر » البلغاري والسوفياتي والشيوعي ليس فقط في محاولة اغتيال البابا ، وانما في اعمال « الارهاب الدولي » بأكملها ! .

وفي ١٢ كانون الاول ١٩٨٣ اعلنت وكالة الانباء الايطالية (انسا) ان التحقيقات في محاولة اغتيال البابا قد انتهت ، وان قاضي التحقيق ايلاريو مارتيلا الذي تولى امر هذه التحقيقات مايزيد عن العام متتبعا مايسمى بـ « الأثر البلغاري » قام بتسليم كل مايتصل بذلك من وثائق الى المدعي العام للنظر فيها وتقرير الحكم النهائي . ومهمة اصدار هذا الحكم تقع على عاتق نائب المدعي العام انطونيو البانو ، الذي عليه ان يقرر ماإذا كان المدعى عليه ـ انتونوف ـ متورطا ام لا ، طبقا لحيثيات التحقيق .

وفي اوائل حزيران ١٩٨٤ اعلنت كلير ستيرلنج في صحيفة « نيويورك تايمز » (١٠ حزيران) انها حصلت على معلومات من اجهزة التحقيق الايطالية المعنية بقضية انتونوف تفيد بان هناك ادلة وشواهد ثابتة على وجود صلة لبلغاريا بمحاولة اغتيال البابا يوحنا بولس الثاني . وفي أواخر حزيران ابلغ انطونيو البانو وكالة

اسوشيتدبرس في مقابلة معها بما اسماه « آراءه الشخصية » بوجود مثل هذه الصلة .
وقد اثار مانشرته ستيرلنج وماقاله البانو الكثير من الاسئلة حول الموقف الحقيقي لاجهزة التحقيق الايطالية والأهداف التي تسعى الى تحقيقها . فبموجب القانون والعرف يحظر على هذه الأجهزة تسريب اية معلومات تتعلق بقضية ماتزال قيد التحقيق ، كما يحظر على المحققين والقضاة ابداء آرائهم الشخصية ، كما ان الحكم النهائي في قضية انتونوف هو من اختصاص مارتيلا ، وتنحصر مهمة نائب المدعي العام البانو في دراسة تحقيقات مارتيلا ، وابداء الرأي فيها اذا كان يستنتج من تلك التحقيقات وجود صلة لأنتونوف وبقية المتهمين في محاولة اغتيال البابا ام لا .

والواقع ان الموقف العدائي المسبق تجاه بلغاريا ومواطنها سيرجي انتونوف المعتقل قيد التحقيقات في اتهامات لم يجر التثبت منها ، واقامة الدليل عليها حتى الان ، لايقتصر على التصريحات غير المسؤولة التي يدلي بها البانو ومارتيلا واوساط مختلفة في اجهزة التحقيق والقضاء الايطاليين ، وانما يتجلى ايضا في الكثير من تصرفات هذه الاجهزة حيال انتونوف . فمع ان الدستور الايطالي لعام ١٩٤٧ والمعمول به الان ينص صراحة على احترام الحقوق والحريات الشخصية ، بما فيها حق الاقامة وحق الدفاع عن النفس ، كما ينص على ان المتهم بريء حتى تثبت ادانته ، بل ان القانون الايطالي يعطي الحق للمحكوم عليه ، بأن يرفع استئنافا للحكم ، وان يتمتع بحقوقه وحرياته الكاملة . وقد مر بنا في الفصل الثاني من هذا الكتاب ان روبرتو كالفي ، رئيس بنك « امبرو زيانو » استطاع ان يتمتع بحرية اطلاق سراحه رغم ان المحكمة حكمت عليه بالسجن والغرامة ، لأنه رفع استئنافا لذلك الحكم ، واستطاع بالتالي ان يهرب من ايطاليا مستغلا ظروف اطلاق سراحه بسبب الاستئناف . . مع ذلك كله ، فقد القي بسيرجي انتونوف في السجن منذ الايام الاولى لاعتقاله على اساس تهم اسندها اليه محمد علي اغجا المحكوم بالسجن مدى الحياة لاقترافه جريمة الاعتداء على البابا يوحنا بولس الثاني ، قصد قتله . وقد فند اغجا بنفسه العديد من تلك التهم ، كما فند شهود ايطاليون وبلغار عددا اخر من التهم . ولم تشفع الاكاذيب الفاضحة التي اطلقها اغجا وتبنتها اجهزة القضاء الايطالي نفسها ، وبينها الكذبة باتهام انتونوف بالتخطيط ، والاعداد لاغتيال زعيم نقابة « تضامن » البولندية ليش فاليسا ، وهي الكذبة التي وجه القاضي مارتيلا بسببها تهمة الافتراء على اغجا . . لم يشفع ذلك لانتونوف لكي يجري التخفيف من الاجراءات المتخذة بحقه حتى تثبت « ادانته » أو لا تثبت . فأبقى القضاء الايطالي على انتونوف سجينا في زنزانة انفرادية شأنه في ذلك شأن المجرمين الخطرين من

الدرجة الاولى الذين يقدمون الى المحاكمة ، وتجري ادانتهم ويصدر ضدهم الحكم بالسجن الانفرادي . والحال ان انتونوف ليس سوى متهم لم تثبت التهمة بحقه بعد ، ذلك انه لم يقدم الى المحاكمة حتى الان بل ان التحقيق في قضيته في حد ذاته لم ينته بعد .

وحتى ولو قدم انتونوف الى المحكمة ، وحتى لو جرت ـ افتراضا ـ ادانته في المحكمة ، فسيكون لانتونوف الحق في استئناف الحكم ، وسيكون على القضاء الايطالي حسب القوانين الايطالية ، ان يقبل الاستئناف وان يحدّد موعدا جديدا للمحاكمة الاستئنائية ، وسيكون على هذا القضاء حسب القوانين ايضا ، ان يتعامل مع انتونوف باعتباره بريئا ، او مجرد متهم ، يتمتع بكافة حقوقه وحرياته الشخصية الاعتيادية ، كما حدث لروبرتو كالفي ـ على سبيل المثال ـ الى ان تثبت محكمة الاستئناف الادانة بشكل نهائي .

لقد امكن نقل انتونوف من زنزانته الانفرادية في سجن « ربيبا » في روما ، ووضعه تحت الاقامة الاجبارية في بيته فقط في كانون الاول ١٩٨٣ ، بعد اكثر من سنة على اعتقاله . وجرى ذلك لاسباب صحية حيث ان الوضع الصحي لانتونوف قد تدهور كثيرا ، جراء احتجازه في زنزانة انفرادية ، الا ان النيابة العامة الايطالية تمكنت في اذار ١٩٨٤ من اعادة انتونوف الى السجن بحجة الخوف من محاولة قد يقوم بها انتونوف للهرب خارج ايطاليا . واثر السجن للمرة الثانية تأثيرا خطيرا على صحة انتونوف الى درجة ان الطاقم الطبي في السجن نفسه ، طالب بالكشف الطبي عليه من جديد . واستمر ذلك الكشف مدة ثلاثة اشهر ، وأجمع رأي الاطباء على ان انتونوف يعاني من وضع صحي خطير ، وان بقاءه في السجن اصبح مستحيلا ، الأمر الذي اضطر القاضي مارتيلا الى الموافقة على وضع إنتونوف تحت الاقامة الاجبارية في بيته من جديد اعتبارا من حزيران ١٩٨٤ بقصد المعالجة . الا ان نائب المدعي العام سرعان ماطالب باعادة انتونوف الى السجن متذرعا بالحجة ذاتها : الخشية من اقدام انتونوف على محاولة الفرار من ايطاليا ! وفي تموز ١٩٨٤ رفضت « محكمة الحرية » طلب البانو وصادقت على الاجراء الذي اتخذه مارتيلا في ٢٢ حزيران .

في العاصمة البلغارية ، صوفيا ، ابلغنا السيد « سين نيكوف » نائب المدير العام لدار النشر المركزية البلغارية « صوفيا برس » وهو احد المعنيين بقضية انتونوف : « ان تصرفات الاجهزة الايطالية حيال انتونوف مقصودة لتحقيق اهداف معينة تأملها هذه الاجهزة وجهات اخرى غيرها . ومن الواضح ان التحقيق

الايطالي يجري ببطء لكسب الوقت واستثماره في الحملة المعادية لبلغاريا والشيوعية . ليست لديهم ادلة قاطعة ودامغة ضد انتونوف ولهذا السبب استمروا في تحقيقاتهم فترة زادت عن السنة ونصف السنة ، لكن دون ان يحققوا نتائج في هذا المجال . بل ان هناك نقاط ضعف كثيرة في مزاعم اغجا التي يجري التحقيق على اساسها . ومن اجل اطالة التحقيق يضطر اغجا بين اونة واخرى الى تغيير بعض اقواله ، والاتيان بمزاعم جديدة لكسب الوقت ايضا ، كيما تظل الحملة الدعائية المعادية قائمة على قدم وساق .

ونحن هنا مقتنعون تماما بان اطالة امد التحقيق من ناحية ، والقيام بتصرفات عدائية تجاه انتونوف من ناحية ثانية ، مرتبطان ايضا بأمل معين ، هو احتمال انهيار صحة انتونوف ومعنوياته . . انهم يأملون في امكانية شراء انتونوف في ظل وضع كهذا . ويبدو انهم لم يتورعوا عن استخدام اساليب ارهابية للتأثير على نفسية انتونوف . وقد لاحظنا ان هناك بعض الفوارق في سلوكه فضلا عن تردي وضعه الصحي »[21] .

وفي صوفيا ايضا التقينا عددا اخر من المسؤولين الرسميين ، بينهم معنيون مباشرة بمتابعة قضية انتونوف ، والحملة الدعائية المعادية لبلغاريا في الغرب . ولقد اجمع هؤلاء على ان الاتهامات الموجهة لانتونوف وزملائه ولبلغاريا والاتحاد السوفياتي فيما يتعلق بالتخطيط والاعداد لمحاولة اغتيال البابا يوحنا بولس الثاني وتنفيذها ، قضية ملفقة من الاساس ، وتهدف الى تحقيق اهداف سياسية ـ دعائية . واجمعوا على عدم صحة كل ماقاله محمد علي اغجا ، ووسائل الاعلام والمؤسسات الرسمية وغير الرسمية في الغرب في هذا الشأن ، وعبروا عن القناعة الراسخة ببراءة بلغاريا ومواطنيها والاتحاد السوفياتي من تلك الاتهامات . واكدوا بان القضاء الايطالي لابد ان يحكم في النهاية ببراءة انتونوف من التهم الموجهة اليه .

وفي مقابلة اجريناها مع السيد بويان ترايكوف ، مدير عام وكالة الانباء البلغارية بتاريخ ٢٣ تموز ١٩٨٤ سألناه[22] :

*** لماذا جرى تحديد سيرجي انتونوف شخصيا باعتباره الشخصية الرئيسية التي تقف وراء محاولة اغتيال البابا التي قام بها محمد علي اغجا في ايار ١٩٨١ ، ومن ثم اعتقاله من قبل الشرطة الايطالية؟**

---

(٢١) من مقابلة مع سين نيكوف أجريت في صوفيا في ١٩ تموز ١٩٨٤ .

(٢٢) جرت المقابلة في صوفيا في ٢٣ تموز ١٩٨٤ .

ـ الذين دبروا المؤامرة ضد بلغاريا كان لابد لهم من مواطن بلغاري يعمل في ايطاليا في مؤسسة بلغارية رسمية . وكان لابد لهذا المواطن ان لايحمل جواز سفر دبلوماسيا ، فوجهوا اهتمامهم نحو المواطنين البلغار العاملين في مؤسسات بلغارية في ايطاليا ، ولايحملون جوازات سفر دبلوماسية ، كتودور ايفازوف المسؤول المالي في السفارة ، بيد انه طبقا لاتفاقية فيينا ، فان المسؤول المالي يتمتع بحماية دبلوماسية رغم صفته غير الدبلوماسية . الممثل التجاري هو مستشار اقتصادي تابع للسفارة ، لذلك بحثوا عن موظف ليست له علاقة مباشرة بالسفارة وليس لديه جواز سفر دبلوماسي ، ولايتمتع بالحماية الدبلوماسية . ومن المحتمل انه تمت متابعة اشخاص عديدين لهذه الغاية ، فوجدوا ان انتونوف هو الشخص المطلوب كبلغاري لايتمتع بالحصانة الدبلوماسية ، وربما ايضا اختاروه بالاضافة الى ذلك ، بناء على تقديراتهم لصفاته الشخصية والنفسية حسب مقاييسهم ونأمل انهم اخطأوا في تقديرهم .

*** ماهي ادلتكم على براءة انتونوف ؟**

ـ لدى البلغار نكتة قديمة تقول : كيف يمكنك ان تثبت انك لست الله ؟ . منذ قوانين روما القديمة كان يوجد نص يقول باثبات الذنب . والبراءة تثبت بعدم اثبات الذنب ، والشبهة ذاتها ليست اثباتا للذنب . وكل قضية انتونوف تقوم على اساس اتهامات اغجا . ونحن واثقون من براءة بلغاريا ومن براءة انتونوف او اي مواطن بلغاري آخر من الاتهامات التي وجهها اغجا ، بل ولدينا الادلة على كذب اغجا ، وهذا في حد ذاته دليل اثبات على براءة انتونوف . ومن ادلة براءة انتونوف انه لم يكن موجودا في ساحة القديس بطرس ساعة اطلاق النار على البابا يوحنا بولس الثاني في ١٣ ايار ١٩٨١ ، وهناك شهود يثبتون وجوده في مكان اخر .

ومن الادلة الاخرى ، انه اذا كانت لانتونوف علاقة بمحاولة اغتيال البابا فلماذا ابقينا عليه في روما سنة ونصف السنة بعد وقوع الحادث ؟ . ألم يكن من الحري بنا ـ اذا كنا متورطين في القضية ـ ان نضعه في اول طائرة مغادرة الى صوفيا ؟. لقد بقي انتونوف وايفازوف وفاسيليف ، وهم جميعا متهمون بمشاركتهم في المحاولة ، يمارسون مهامهم الاعتيادية ، وغادر فاسيليف ايطاليا عائدا الى بلاده في ٦ حزيران ١٩٨٢ بعد انتهاء فترة خدمته في سفارتنا في روما . وغادر ايفازوف روما في ١٢ تشرين الثاني ١٩٨٢ لمتابعة اعمال رسمية في صوفيا ، بينما بقي انتونوف مطمئنا يعمل في مكتب شركة الخطوط الجوية الى يوم اعتقاله في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٨٢ . بينما الاتهامات ضد بلغاريا بدأت تنطلق منذ اب ١٩٨٢ عندما اذيعت محتويات مقالة كلير ستيرلنج التي نشرت في مجلة « ريدرز دايجست » وتضمنت

مزاعم عن ضلوع بلغاريا والاتحاد السوفياتي في محاولة اغتيال البابا . فاذا كان لنا مثل ذلك الضلوع فلماذا لم نخرج انتونوف ، وبقية مواطنينا الذين يفترض انهم شاركوا في العملية من ايطاليا ؟ .

الاكثر من ذلك انه في بداية تشرين الثاني ۱۹۸۲ قامت الشرطة الايطالية بتفتيش مكتب الخطوط الجوية البلغارية ، ومكتب انتونوف نفسه في روما ، ولو كانت لنا صلة بمؤامرة ۱۳ ايار ۱۹۸۱ فان ذلك التفتيش كان ينبغي ان يكون اشارة لنا تشعرنا بالخطر . اما كان علينا ان نتدبر امورنا ونأمر انتونوف بمغادرة روما ؟ .

ثمة ناحية اخرى مهمة : يوم القاء القبض عليه وجدت الشرطة الايطالية ان محمد علي اغجا يتكلم اللغة التركية والقليل من الانجليزية . وانتونوف يتكلم البلغارية والفرنسية والقليل من الايطالية . لكنه لايعرف التركية او الانجليزية ، فكيف تم التفاهم بينهما ؟ . فيما بعد ظهر ان اغجا يعرف الايطالية ، ويزعم انه عن طريقها تفاهم مع المواطنين البلغار ، لكن الشرطة الايطالية نفسها اثبتت ان اغجا لم يكن يعرف الايطالية يوم اعتقاله ، ولهذا جرت التحقيقات الاولية معه بالانجليزية ، وذلك يعني ان اغجا تعلم الايطالية في سجنه . وهنا سؤال يطرح نفسه : كيف استطاع اغجا تعلم الايطالية بينما هو يقيم في زنزانة انفرادية ؟ وكما اكد وزير العدل الايطالي السيد داريدا ، فان الاتصال مع اغجا يتم عبر كاميرا تلفزيونية وشباك صغير مزود بزجاج واق من الرصاص . ترى هل باستطاعة شخص يعيش في مثل هذه الظروف ان يتعلم لغة غريبة عليه ؟ . ان هناك امكانية واحدة لتحقيق ذلك ، وهي عدم تطبيق العزل الانفرادي على اغجا وانه يوجد هناك من اقام صلة دائمة ومنتظمة باغجا فعلمه اللغة الايطالية ، ولقنه كل ماقاله اغجا من مزاعم وتلفيقات بحق بلغاريا ومؤسساتها الرسمية ومواطنيها .

ومن اكاذيب اغجا الاخرى التي تثبت براءة انتونوف ، وزملائه الآخرين ، قوله بأنه اتصل قبل حادث الاعتداء على البابا بانتونوف في بيته بواسطة التلفون فيما لايوجد جهاز هاتف في شقة انتونوف ، وكذلك الحال بالنسبة لايفازوف . وبطبيعة الحال كان اغجا والذين وراءه يعتقدون انه لابد ان توجد في شقة ممثل شركة الخطوط الجوية البلغارية وفي شقة المسؤول المالي للسفارة البلغارية في روما اجهزة تلفون ، ذلك احد الاركان الاساسية لمزاعمهم .

وقال اغجا انه في ۱۰ ايار ۱۹۸۱ اجتمع مع انتونوف وايفازوف وفاسيليف واربعة اشخاص اتراك ، وكانت توجد ايضا زوجة انتونوف وابنته ، وانه جرى في ذلك الاجتماع التوصل الى خطة لاغتيال البابا . وفي هذا الصدد قال القاضي

الايطالي مارتيلا لتبرير اعتقاله لانتونوف : ان اغجا لابد أنه يقول الحقيقة ، وإلا كيف امكنه تحديد ذلك الوقت للاجتماع ، وكيف اعطى تفصيلا لمادار في الاجتماع ولاوصاف شقة انتونوف من الداخل ؟ . ومن بين عدة أكاذيب وردت في أقوال أغجا في هذا الشأن أنه من الثابت للجميع ، وخصوصا للايطاليين ، ان زوجة انتونوف كانت قد غادرت ايطاليا قبل ذلك اليوم بيومين ، وان ابنة انتونوف لم تكن في ايطاليا قبل ذلك بسنة كاملة ، وقد اعترف اغجا فيما بعد امام قوة الحقيقة بأنه لم يكن جادا في اقواله تلك .

ويستطرد السيد ترايكوف قائلا : في كانون الاول ١٩٨٣ انهى قاضي التحقيق الايطالي مارتيلا تحقيقاته في قضية انتونوف ، وقدم الملف المتعلق بها الى هيئة الادعاء العام . وقام نائب المدعي العام البانو بدراسة الملف وخرج اخيرا باستنتاجاته حول القضية في ٢٦ صفحة . واقترح البانو على القاضي مارتيلا ، احالة انتونوف ، وايفازوف وفاسيليف ، والتركيين بكير شلينيك ، وسردار سيليبي ، الى المحكمة باعتبارهم متهمين بالمشاركة في محاولة اغتيال البابا يوحنا بولس الثاني . واستنتاجات كهذه لها طابع السر القضائي بطبيعة الحال ، لكن استنتاجات البانو وصلت الى ايدي كلير ستيرلنج التي قامت بنشرها في صحيفة « نيويورك تايمز » ولنا ان نتساءل عن الهدف الحقيقي الكامن وراء نشر مثل هذه الاسرار القضائية في الصحافة ! .

يقال في تلك الاستنتاجات ان انتونوف مذنب وان لدى السلطات القضائية الايطالية الادلة على ذلك . فما هي الادلة ؟ . البانو يقدم مرة واحدة كل اقوال اغجا واتهاماته ضد انتونوف والآخرين . وبالطبع ، فمن المفروض اثبات صحة وواقعية ماقاله اغجا لاقامة الاتهام ضد الاشخاص المعنيين . لكن البانو لايفعل ذلك ، ولكنه يسأل : « هل صحيح ماقاله اغجا ؟ . . . ويجيب بنفسه على سؤاله بالقول : « نعم ، انه صحيح » . فكيف ؟ البانو يقول : ان اغجا قال ان عيني انتونوف ليستا في حال جيدة ، وان انتونوف يدخن السيجار احيانا ، وله هواية هي جمع قناني المشروبات الروحية الصغيرة . وعندما سئل انتونوف اثناء التحقيق معه عن جمعه للقناني الصغيرة اجاب بأنه يفعل ذلك ، وعندما سئل عن حال عينيه قال انه يضع نظارة عليهما ، كما قال بانه يدخن السيجار في بعض الاحيان .

ويقول البانو ايضا ، مستندا الى ذلك ، ان كل مايقوله اغجا يثبته انتونوف مما يعني ان اغجـا يقول الحقيقة كما ان اغجا تعرف الى الاشخاص المتهمين من الصور التي عرضت عليه في السجن ، مما يعني ان له معرفة سابقة بهم .

وهكذا فبدلاً من ان يعمل البانو على اثبات مزاعم اغجا واقامة الدليل عليها ، فانه يستند عليها لاثبات ذنب انتونوف ، اي انه يريد ان يثبت الذنب بصورة غير مباشرة ، وعلى اقوال ليست مثبتة .

وبالنسبة لنا نحن البلغار ، وربما لآخرين كثيرين غيرنا ، فان مسألة المعلومات الشخصية المتعلقة بانتونوف وزملائه ، والتعرف على شخصياتهم من الصور ليست امرا جديدا ، ولا دليلا يمكن الاعتداد به في اية صورة من الصور ، لانه من السهل على اغجا ان يعرف ذلك كله ، واكثر من ذلك ، عن طريق طرف ثالث يتصل به في السجن ، ويقدم له المعلومات التي يعرفها الكثيرون في ايطاليا عن انتونوف وايفازوف وفاسيليف بما في ذلك هواياتهم ، ويعرض عليه صورهم التي لم يكن صعبا على اي مخبر سري ، لاي جهاز من اجهزة المخابرات ان يكون قد التقطها للمواطنين البلغار العاملين في ايطاليا اثناء فترة الاعداد للمؤامرة ضد بلغاريا .

حينما يصدر هذا الكتاب ، يكون قد مر على اعتقال سيرجي انتونوف اكثر من عامين كاملين ، كما يكون قد مر أكثر من عام على انتهاء التحقيق في قضيته . وحتى الان لم يجر تحديد موعد لمحاكمته على اساس الاستنتاجات الاتهامية التي خرج بها نائب المدعي العام الايطالي انطونيو البانو ، حسبما ذكرت كلير ستيرلنج في صحيفة « نيويورك تايمز » وحسبما فهم من تصريحات البانو نفسه لوكالة « اسوشييتدبرس » في حزيران ١٩٨٤ . وربما سيستغرق الامر وقتا آخر اضافيا ليس بقصد استكمال التحقيقات التي انجزت تماما على يديّ القاضي مارتيلا في نهاية ١٩٨٣ ، وانما لكسب وقت اكبر تظل فيه ماكنة الدعاية المعادية لبلغاريا ، والاتحاد السوفياتي ، والاشتراكية والشيوعية ، تعمل بكفاءة الى ان يكون في الامكان اختراع قضية اخرى تكون مجالا لعمل هذه الماكنة .

ومن آخر التطورات التي نشأت خلال المرحلة الاخيرة لاعداد هذا الكتاب ، والتي لها صلة بقضية انتونوف ، ان القناة الاولى في تلفزيون جمهورية المانيا الاتحادية ، عرضت في الثلث الاخير من شهر اب ١٩٨٤ تحقيقا تلفزيونيا اظهر ان محاولة الاغتيال التي تعرض لها البابا يوحنا بولس الثاني في ١٣ ايار ١٩٨١ كانت من تدبير منظمة الذئاب الرمادية التركية اليمينية المتطرفة . واشار التحقيق الى الاتهامات التي وجهت خلال الفترة الماضية الى الاستخبارات البلغارية ، ثم اورد شهادة شخص تركي يدعى « يالون اوزباي » وهو صديق سابق للمتهم الرئيسي في القضية ، الارهابي محمد علي اغجا ، اتهم فيها منظمة « الذئاب الرمادية » بتزويد

اغجا بالمسدس الذي استعمله في محاولة الاغتيال .

وقال رجل القانون التركي « اوغور مومكو » وهو صاحب مؤلفات عدة في نشاطات « الذئاب الرمادية » ان اغجا تلقى دعما من « الذئاب الرمادية » في محاولة اغتيال البابا ، وقبلها في عملية اغتيال رئيس تحرير صحيفة « ميليت » التركية أبدي ابتشكي[٢٣] .

وفي الوقت نفسه ، اعلن في روما أن المنظمة التركية « كركش » التي ربما كانت واجهة لـ « الذئاب الرمادية » او جناحا فيها ، بعثت برسالة الى وكالة انباء ايطالية اعلنت فيها ان ايمانويلا اورلاندي ، ابنة احد موظفي الفاتيكان موجودة في اسر المنظمة .

وجددت المنظمة في رسالتها التي نشرت في ٢٢ آب ١٩٨٤ مطالبتها باطلاق سراح محمد علي اغجا المسجون مدى الحياة لمحاولته اغتيال البابا ، مقابل اخلاء سبيل اورلاندي البالغة من العمر ١٧ عاما[٢٤] .

وكانت اورلاندي قد اختفت عن الانظار قبل ذلك باربعة عشر شهرا ، واعلنت منظمة « كركش » يومها انها المسؤولة عن اختطاف ابنة موظف الفاتيكان ، وانها لن تطلق سراحها قبل اطلاق سراح محمد علي اغجا .

---

(٢٣) صحيفة النهار اللبنانية ٢٣ آب ١٩٨٤ .
(٢٤) صحيفة البيان الظبيانية ٢٣ آب ١٩٨٤ .

الفصل السادس

« ذئاب » الكتابة

من الطبيعي أن يتساءل المرء لدى سماعه نبأ محاولة اغتيال ما ، عن هوية القاتل أو القتلة ، وأن يعرف السبب الذي دفعهم إلى ذلك . وإذا طال الأمر رئيساً أو زعيمًا بارزاً ، فإنه يغدو من الأهمية بحيث يتوجب الكشف سريعاً عن الجناة لما قد يجره ذلك من عواقب خطيرة . وبالنسبة لمحاولة اغتيال قداسة البابا يوحنا بولس الثاني ، فقد عرف القاتل منذ الساعات الأولى . ولم يعرف اسمه فحسب ، بل تاريخه أيضـاً . وكما رأينا في فصول سابقة ، لم يكن القاتل « محمد علي أغجا » نكرة(*) . كان كافياً تقليب الملفات ، أو ضغط الأزرار حتى تتكون انطباعات أولية وسريعة عنه ، وعن الجهة التي استخدمته للعملية . وبالتأكيد فما كان لهذا التصور الأولي والسريع أن يكون كافياً وحكمًا على فعلته الجديدة . فهو تصور سيحتاج بكل تأكيد إلى مايدعمه ، انطلاقاً من هذه الجريمة تحديدا . وانطلاقاً من أسئلة تفرض نفسها . لماذا البابا ؟ ولماذا يقوم بذلك رجل تركي ؟ . .

لكننـا رأينا كيف صيغ انطلاقاً من هذه الأسئلة المشروعة ماسمي « علاقة البلغار » ، ورأينا كيف توزعت وسائل إعلام الغرب وأجهزة أمنه المهام فيما بينها ، كي تخرج هذه العلاقة بحبكة مقنعة . وسيكون تركيزنا في هذا الفصل على تحليل الأفكار الواردة في كتابين صدرا عن محاولة اغتيال البابا .

أحـد الكتـابين من تأليف « بول هنتسه » ضابط مخابرات مركزية أمريكية سابق . والآخر للصحفية الأمريكية « كلير ستيرلنج » التي نشرت في عدد أيلول ١٩٨٢ من مجلة « الريدرزدايجست » مقالاً كان البادىء في اتهام جمهورية بلغاريا الشعبية ، وصار مرجعاً لمن أراد أن يحوك على منوالها . كما نشر « هنتسه » بدوره ، مقالات في مجلة « وول ستريت جورنال » و « اتلانتيك كومينتي » ، وقام بمهمات لها طابع رسمي بهذا الخصوص .

لقـد عمـد هذان الكـاتبـان إلى تطوير أفكارهما لاحقاً ، كلّ في كتاب . ولاترجع أهمية هذين الكتابين فقط الى أن صاحبيهما كانا من أوائل من أشار باصبع الاتهام إلى صوفيا ، بل لأنهما كاتبان اعتمدت المخابرات المركزية الأمريكية كثيرا على خدماتهما في ترويج العداء للدول الاشتراكية.إن علاقتهما القوية ، بل العضوية ، في الجهاز المذكور مكنت لهما الاطلاع على وثائق ، ماكان بمقدور أي صحفي آخر الوصول إليها .

هذا من جهـة . ومن جهـة أخـرى ، فإن لهذين علاقة وطيدة بما يسمى

---

* أنظر الفصل الثالث .

موضـــوع « الارهـــاب الـدولي » . فبـول هنتسـه ، ومن خلال عمله كضـابط استخبـارات في السفـارة الأمـريكية في أنقـرة ، كان على صلة عميقة بالارهاب التركي ، لاسيما إذا تذكرنا أن الارهاب الذي مارسته منظمة « الذئاب الرمادية » الفـاشية إنـما جرى باشراف ورعـاية السفارة الأمريكية هناك . أما ستيرلنج فإن الارهاب الدولي كان موضوعها المفضل منذ زمن طويل . وقد ألفت فيه كتاباً أسمته « الشبكة الارهابية »[1] . خلصت من خلاله إلى احكام لا تختلف عما سنجده في كتابها الجديد عن محاولة اغتيال البابا .

وبما أن الكتابين الجديدين ، وهما « مؤامرة قتل البابا »[2]لبول هنتسه و « زمن القتلة »[3] لستيرلنج ، قد صدرا في وقت لاحق من تطور قضية « أغجا » والبابا ، فقد كتبا ومنذ الصفحات الأولى ضمن قنوات محددة وواضحة ، تلفق المعلومات بما يتفق واتهام البلغار . رغم أن « هنتسه » يعترف في المقدمة زاعمًا أنه لم يجب عن كافة الأسئلة التي تثيرها محاولة الاغتيال . إذ أن الأمر برأيه ، مازال يتوقف على ماقد يقرر « أغجا » قوله مستقبلا ، أو على ماقد يطلعنا عليه أحد المنشقين الذين ينجحون في الوصول إلى الغرب .

وقبل أن نخطو إلى الأمام في عرض الأفكار الواردة في الكتابين ، يجب أن نشير إلى ملاحظة يلمسها القارىء منذ الكلمة الأولى وحتى الأخيرة . ألا وهي نغمة العداء السافر للاتحاد السوفياتي . فالنتيجة بالنسبة للكتابين معروفة سلفاً : السوفيات بكل تأكيد وراء هذا العمل ، ليس ذلك فحسب ، بل هم وراء كل عمل شرير وفاسد في العالم . فأينما وجدت تخريباً أو مؤامرة ، فتش عن السوفيات ، فإن لم تجدهم فهناك عملاؤهم . وإن لم تجد هؤلاء أيضاً فهناك القتلة ، او المهربون الذين هم أدوات للسوفيات ، وتمتد شبكة علاقتهم ـ حسب رأي الكاتبين ـ من اليمين إلى اليسار ، ومن الفاشي إلى الشيوعي ، ومن اللص والمهرب إلى رجل الدولة ، ومن المؤمن إلى الملحد . . إلى مالا نهاية من قائمة الاتهامات هذه .

وهنا قد يتساءل المرء إذا كان الجاني معروفاً إلى هذا الحد ، فلمَ كل هذا العناء في البحث ؟ . إذ أن القارىء سيجد في الكتابين رحلات خرافية من هذا المكان إلى ذاك ، وسهـر ليال ومـراجعات تستغرق الشهور الطوال في أراشيف الصحف ،

---

(١) Clair Sterling -The Terrorist Net Work

(٢) Paul Hentze - The plot to kill the pope

(٣) Claire Sterling-The Time of the Assassins

ودوائر الأمن في أكثر من بلد أوروبي وغير أوروبي . لماذا ذلك التهويل الفظيع بحق الاتحاد السوفياتي ؟ . الجواب الوحيد ، هو أن هذا جزء من المعركة الايديولوجية المستمرة منذ زمن طويل بين الاشتراكية والرأسمالية . تهويل من الاشتراكية كنظام ، ومن السوفيات باعتبارهم القوة الأكبر في هذا النظام .

ان السوفيات وراء محاولة اغتيال البابا ! هكذا يقرر « هنتسه » منذ الصفحات الأولى ، ولماذا هم وراء المحاولة ؟. يجيب عارضاً هذه الأسباب الثلاثة :

١ـ لأن البابا بولندي . .

٢ـ لأنه زعيم الكنيسة الكاثوليكية .

٣ـ لأنه نصير لحرية الانسان وحقه في اختيار طريقة حياته ! .

هذه هي الأسباب . وهي في الظاهر لها علاقة بالبابا . أما في حقيقة الأمر ، فإنها أسباب سياسية افتراضية موجودة في التفكير والدعاية الغربية من قبل ، ولم يفعل ـ هنتسه ـ إلا أنه ألبسها ثياب الكهنوت ! .

هذه الأسباب تريد أن تقول بعبارات أخرى ، إن الاتحاد السوفياتي ضد بولندا ، وضد الكنيسة الكاثوليكية وضد حقوق الانسان . إذن أين الجديد ؟ . أليست هذه دعاوى سمعناها في أكثر من مناسبة . وأياً كان فإننا سنلاحق العملية منذ بدايتها ، لنرى كيف أعيد رسم صورة « أغجا » .

يميني أم يساري ؟

يحلل هنتسه التقارير الصحفية الأولى التي روجتها وكالات الأنباء عن القاتل ، ويخلص إلى أنه لم يكن مفاجئاً أن تذهب تقديرات معظم المحللين الغربيين إلى أن « أغجا » بلا شك يميني ، وفاشي ، وعضو في منظمة « الذئاب الرمادية » التركية ، ورجل يسعى إلى تنفيذ تهديد سابق بقتل البابا انطلاقاً من قناعات دينية تميل إلى التطرف .

ولـذا فان هنتسه ومعه ستيرلنج سيأخذان على عاتقهما تحرير « أغجا » من التهم السابقة ، كي يصلا إلى أنه عميل بلغاري . كيف ؟ . ذلك أمر بسيط . مجموعة من التهم واحدة وراء الأخرى . فبالنسبة للتطرف الديني فإنه لايعرف عن « أغجا » ، أنه كان متحمساً شديداً للدين . ورغم أنه ورد في رسالة التهديد التي أرسلها إلى صحيفة « ميليت » بعد يوم من هربه من سجن « كارتل ـ مالتيب » اشارات صريحة للدين ، ورغم أنه قال أثناء اقتياده للتحقيق ، انه غير آسف على قتل البابا « قائد الحملة الصليبية ضد ديني » ، والذي يحمله « مسؤولية رد فعل الغرب تجاه الاسلام » ، إلا أن هنتسه ومعه ستيرلنج يقودوننا في التاريخ الشخصي لأغجا ، بحيث نصل إلى أن الدين لم يكن يوماً دافعاً لارتكابه أعمال الاغتيال سواء ضد « أبدي ابتشكي » أو البابا .

إذن ، إن لم يكن متطرفا دينيا ، فما هو ؟.انه ، حسب تصنيف هنتسه الأولي شخص يصعب تصنيفـه ، ويصعب استجـوابـه ، فهـو قادر على اخفاء أهدافه الحقيقية خلف أهداف عمومية مبهمة . إنه إرهابي يعمل باسم الحقيقة التي هي أسمى من الايديولوجيات . فالارهاب برأي « أغجا » الذي يورده هنتسه لايحتاج إلى أفكار بل إلى سلاح . إلى أي شيء يقود هذا التصنيف ؟ . إنه بكل تأكيد ، يقود الى التشكيك بيمينية « أغجا » . وهو تشكيك سيتحول بعد صفحات إلى يقين .
فبعد أن يستعرض هنتسه أقوال المطران هيلاريون كبوتشي حول « أغجا » ، والتي قال فيهـا انـه قاتـل ينتمي إلى أقصى اليمين ، يتساءل : كيف استطاع المطران كبوتشي أن يكون بهذا الوثوق من يمينية أغجا[٤] . هذا التساؤل كما سنكتشف ، لم يكن المقصود منه الوصول إلى الاجابة ، بل كان الغمز من طرف خفي بعلاقة « أغجا » المزعومة بمنظمة التحرير الفلسطينية .

في رأيه أن حرص المطران كبوتشي ، ومنظمة التحرير الفلسطينية ، على إنكار أي علاقة بأغجا راجع إلى حرص المنظمة على علاقاتها الودية مع الفاتيكان . وهنا كما قلنـا لا يتـورع عن القول إن المنظمة دأبت في السنوات الماضية علي تدريب إرهـابيين أتـراك . فلماذا لايكـون « أغجـا » من بين هؤلاء ؟ . . فضـلاً عن أنه اعترف ، ومن تلقاء نفسه ، بأنه تلقى عام ١٩٧٩ تدريبات على السلاح في أحد المخيمات الفلسـطينية جنـوب بيروت . وقـد ناقشنا في الفصل الثالث رحلته إلى بيروت ، وأشرنـا إلى احتـمال تلقيه تدريبـاً على الارهاب لدى عملاء المخابرات المركزية الأمريكية ، وهو ماتأكد من تصريحات « تربل » أحد المسؤولين الأمريكيين عن ذلك ، كما أننا نضيف هنا احتمال تدريبه في أحد معسكرات الكتائب اللبنانية ، التي اعتادت أن تستقبل يمينيين أتراكاً .

ينتقل « هـنتسه » بعد ذلك إلى مناقشة الرسالة التي زعـم بأن « أغجا » قد تركها في غرفته في « بنسيون أبسيا » في روما قبل توجهه لاغتيال البابا . فما الذي تقـوله تلك الرسالة التي يرى « هنتسه » أنها تركت كي تقرأ ، وتكون حكمًا على فعلته ؟ . في هذه الرسالة ، يدعي « أغجا » أنه سيقتل البابا من أجل الحرية في أفغانستان والسلفادور . أي رابط يجمع بين هذين البلدين ؟ . يجيب هنتسه ان هذه الرسالة لاتعطي تفسيراً لانتماءات « أغجا » . فحرية من ، تلك التي يتحدث عنها في أفغانستان ؟ وحرية من ، تلك التي يتحدث عنها في السلفادور ؟ . ألا تقود هذه

---

(٤) Paul Hentze- The plot...p,cit p.8

الرسالة في تفسيرات ذات اليمين وذات اليسار ؟ . هذه الرسالة لاتتفق في جمعها للبلدين مع قناعات أي حزب سياسي تركي . هل كان كاتبها يرى ذلك حقاً عندما قرر اغتيال البابا ؟ أهو بهذا الجنون حتى ترتبط لديه قضية الحرية في هذين البلدين بحياة البابا ، أم أن « أغجا » أراد من هذه الرسالة تمويه صورته الحقيقية ، كيلا نستطيع تصنيفه ضمن إطار سياسي محدد ؟ .

بعد ذلك يقودنا الكاتب إلى رحلة مؤثرة لقرية الارهابي . فيقرر أن « مالاتيا » المدينة التركية الواقعة في الشرق تعتبر من أكثر المدن التركية التي شهدت الارهاب وأنتجته .

ونتعـرف من خلال لقـاء مع الأم « مكرم » والأخت « فاطمة » والأخ « عدنان » وبعض أبناء البلدة إلى موجز عن حياة « أغجا » منذ نعومة أظفاره وحتى التحاقه بالجامعة .

يتعـرف « هنتسـه » إلى طفـل هادىء ، ذكي ، محب لعـائلتـه وبالأخص والـدتـه ، مكب على دروسـه يظهر ميلاً مبكراً للشعر والرواية ، وعزلة أميل إلى الكبرياء . إذن متى أصبح « أغجا » إرهابياً ؟ . يعيد هنتسه ذلك الى الفترة التي قضـاها في جامعتي أنقرة واسطنبول ، فقد انتسب إلى جامعة أنقرة فرع التاريخ والجغرافيا في خريف ١٩٧٦ . وفي هذه الجامعة ، كما يرى هنتسه تعرف « أغجا » على التيارات المتـطرفـة من كافـة الألوان . ولابد أنه ـ وهنا القول لهنتسه أيضاً ـ استطاع أثناء وجوده في أنقرة التوصل إلى صلة مع المخابرات السوفياتية ، والشرقية العاملة في إطار السفارات والمراكز الثقافية والبعثات التجارية . ومن أنقرة تم إرساله إلى التدريب في أحد المخيمات الفلسطينية . هكذا يمشي هنتسه مع فرضيته التي تخالفهـا الوقائع ، في محاولة لاقناع القارىء بأن « أغجا » منذ ذلك التاريخ غدا عميلاً للسوفيات ، أما ممارساته اللاحقة مع « الذئاب الرمادية » فهي نوع من الغطاء .

أمـا « كلير ستـيرلنج » التي وصلها التكليف من « الريدرزدايجست » على النحو التالي : « اقضي ماشئت من الوقت . اذهبي أينما أردت . أنفقي ماينبغي إنفاقه كي تقتربي أكثر مايكون من الحقيقة »(٥) فقد كان لها اسهام لاينبغي أن يطغى عليه إسهام هنتسه في تجريد « أغجا » من يمينيته إن لم يكن لها السبق أيضاً،فهي تركز بالدرجة الأساسية على إقامة « أغجا » المزعومة ببلغاريا كي تستخلص منها

---

(٥) Claire sterling-theTime...op,cit p,4

ماتريد استخلاصه . فبالنسبة لها ، مجرد أن يقيم « أغجا » في العاصمة البلغارية صوفيا مدة خمسين يوماً ، يعتبر أمراً كافياً كي تصبح أفعاله المستقبلية موضع شك .

لماذا ؟ . لأن بلغاريا كانت على الدوام الحليف الأكثر ثقة لموسكو.وهي « العميل » المجرب في مجالات الارهاب والتخريب . فبلغاريا ، على حد اتهامات ستيرلنج ، تقوم ومنذ بداية السبعينات بتصدير الارهاب إلى أوروبا نيابة عن الـ (K.G.B) وهي تقدم ـ والحديث لستيرلنج ـ كافة أشكال الدعم والتدريب ، والسلاح والمأوى للارهابيين ، ليس لليساريين منهم فحسب بل لليمينيين كذلك ! وهي ترى أن علاقة بلغاريا بالارهاب التركي ، تتم عن طريق المافيا التركية التي تتخذ من الأراضي البلغارية ساحة عمل ، ومن فندق « فيتوشا » في صوفيا مقراً لحياكة المؤامرات . وتحاك من أجل تثبيت هذه التهمة علاقة تصل إلى حد الخرافة بين المافيا التركية وشركة « كنتكاس » البلغارية التجارية التي تعتبرها ستيرلنج الغطاء الظاهري للمخابرات البلغارية .

ربما يطرأ هنا سؤال هام : لماذا اختارت ستيرلنج هذه الطريقة المشوهة لربط « أغجا » بالبلغار ؟ . ألتتمة مابدأ به هنتسه حين ربط « أغجا » بالبلغار عن طريق علاقة خفية ومزعومة لأغجا مع عملاء مفترضين في المراكز السوفياتية في أنقرة ، أو في بيروت ، أو أتراك يعملون ظاهرياً تحت راية « الذئاب الرمادية » وسراً بأوامر السوفيات أو القذافي ؟! .

وهنا ترسم ستيرلنج تصورها للطريقة التي تعرف بها « أغجا » على البلغار . وترجح أن شخصاً ما أنقذه من سجنه في تركيا ، ووصل به إلى شاطىء الأمان في ايران ، ثم أرسله من هناك إلى صوفيا ، وأوصى به « عمر مرسان » التركي الذي سيكون بعد ذلك الحلقة التي وصلته بالمافيا التركية ، ولزعيمها « ابوزر اوغورولو » ومنه الى المخابرات البلغارية التي تتحكم بنشاطات هذا الزعيم الخطير .

لماذا كل ذلك الطريق الملتوي ؟ . تجيب ستيرلنج قائلة بأنه إذا اعتبر البعض « أغجا » يمينيا ، واعتبره البعض الآخر عميلاً مستتراً لليسار ، فلماذا لايكون « أغجا » لاهذا ولا ذاك ، بل كليهما معا . لم لا ! فليس في رأيها من فوارق بين الارهاب اليميني واليساري ، فكلاهما يريد تدمير الديمقراطية التركية.ومادام هذا هدفهما فهي « تفترض أن لا حواجز بين اليمين واليسار » !، إذ من الممكن التوقع بأنهما يعملان يداً بيد ، فضلاً عن عمليات الاختراق التي يلجأ إليها هذا الطرف في صفوف ذاك . وبالطبع فإن هذا لايعني اتهاماً « للذئاب الرمادية » ، بل اتهاماً يقصد منه أن يشكك بيمينية « أغجا » ، وصولا إلى براءة تامة « للذئاب الرمادية »

التي إن كان لها دور حسب رأي ستيرلنج ، فهو لايتعدى كونها الحلقة الوسيطة التي ربطت « أغجا » بالبلغار .

هذا التلميح لشخصية « أغجا » سينتقل إلى مراحل حياته المبكرة كما قلنا ، وصـولاً إلى اغتيالـه لـ« أبـدي ابتشكي » رئيس تحرير صحيفة « ميليت » التركية المستقلة والمعروفة بليبرالية آرائها . وبعد أن يتفق هنتسه وستيرلنج حول كل شيء ، انـطلاقاً من أن « مالاتيا » مدينة « أغجا » مدينة الارهاب الأولى في تركيا ، وأن طفولة « أغجا » ويفاعته لا أحلى من ذلك ، وأن الدين لم يلعب في حياته دوراً يكون دافعاً لاغتيال البابا ، يصلان أيضاً إلى تبرئة اليمين التركي ، ليس من جروح البابا فقط ، بل من دم « ابتشكي » أيضاً ، ويصلان بالقارىء إلى افتراض أن مصلحة اليسار التركي في قتل « ابتشكي » لاتقل إن لم تزد عن مصلحة اليمين في ذلك .

بعـد هذا كله يعـود هنتسه إلى تكريس فصل كامل ، للحديث عما أسماه « التخريب الذي يمارسه الاتحاد السوفياتي في تركيا » ، للسيطرة على هذا البلد ، والدور الذي يلعبه كل من اليمين واليسار في خدمة هذا المخطط المزعوم ، مع عدم اغفال تطبيق الحالة ذاتها على الموجة الارهابية التي يمارسها اليسار في ايطاليا ، ذلك الارهاب الذي يقود اقتفاء آثاره أيضاً إلى السوفيات .

وقد يكون من المفيد عند الحديث عن علاقة السوفيات المزعومة أن نتذكر بأن ذلك ليس جديداً ، وتعود فكرته إلى زمن بعيد . لكن المحامي الفرنسي « كريستيان روليت » صاحب كتاب : « الصلة : أغجا . يوحنا بولس الثاني . انتونوف » يشير الى زمن مايزال قريباً من الذاكرة . يقول « روليت » في مقابلة مع مجلة « يوجلد » الأسبوعية البلغارية ، بأنه يعتقد بأن مجلس « جوناثان » كان المسؤول الأساسي عن صياغة ماسمي « بعلاقة البلغار » بمحاولة الاغتيال . ومجلس جوناثان ذاك هو مؤتمر نظمه معهد « جوناثان » الصهيوني في مدينة القدس المحتلة عام ١٩٧٩ بدعوى مناقشة الارهاب الدولي . وقد شارك في أعمال ذلك المؤتمر آنذاك عدد من مثقفي وسياسيي الغرب من أمثال « هنري كيسنجر » و « روبيرت موس » رئيس تحرير مجلة « الايكونومست » البريطانية ،و « آرنو دوبورشجريف » و « بريان كروزيير» مدير معهـد « دراسـة النـزاعـات » في لندن ، وغيرهـم . وفي ذلك المؤتمر ـ كما يضيف روليت ـ طرح « موس » و « كروزيير » الفكرة القائلة بأن المنظمات الارهابية تتلقى الدعم السياسي ، والمالي من موسكو . وبالتالي فإن موسكو هي التي ترعى الارهاب الدولي وتسيره . هذا المجلس له دور كبير في توجيه الحملة المعادية للسوفيات ، وفي إعادة أجواء الحرب الباردة . ومن استخلاصاته السيئة الذكر ، استقى الكثير من

الصحفيين الغربيين نظرياتهم حول محاولة اغتيال البابا .

مرة أخرى . لماذا اختيرت بلغاريا هدفاً توجه له السهام الغربية التي تعبر في الأساس عن عدائها للاشتراكية ؟ . فيأتي الجواب عبر ألف باب وباب ، بلغاريا هي البلد الشرق أوروبي الوحيد الذي يعبره يومياً آلاف الأتراك ، آتين من تركيا أو ذاهبين إليها . وأثناء مرورهم ببلغاريا ـ تقرر ستيرلنج ـ يستطيعون المكوث فترة من الزمن دون أن يتمكن أحد من ملاحظتهم ، وسنتجاوز مسألة أن ذلك لايتفق مع تأكيدات الكاتبة ذاتها حول « الطبيعة الحديدية » للنظام الاشتراكي ، التي لايستطيع الانسان من خلالها أن يقوم بعمل ما دون أن يكون مراقباً على نحو كلي . سنقفز عن هذه ، لنطرح القضية من نفس الزاوية :

كم يقيم الأتراك الذين يستطيعون ـ كما قررت ستيرلنج ـ أن يمكثوا فترة من الزمن في بلغاريا دون أن يتمكن أحد من ملاحظتهم ؟ أياماً ؟ ، أشهراً ؟ . إن ستيرلنج نفسها لا تستطيع أن تعطي مدة أطول . فلماذا يكون مكوثهم المؤقت هذا مثار شبهة ، في حين أنهم يقيمون في الغرب بمئات الألوف ، وفي عدد كبير من المدن ، وعدد كبير من السنين ، ودون أن يتمكن أحد من ملاحظة وجودهم ، أو بدقة أكثر ، ضبط هذا الوجود . فلماذا المكوث في بلغاريا لمدة أيام سبب كاف للاتهام ، ولايكون المكوث في الغرب سنوات سبباً أيضاً للاتهام ؟ . لابد أن السبب واضح فتلك بلغاريا الدولة الاشتراكية ، وذاك الغرب الذي تقع على عاتق ستيرلنج وهنتسه مهمة الدفاع عنه إلى حد اختلاق الأكاذيب .

وهي تعترف ، ودون أن يجبرها أحد على ذلك ، أنه وجد في المانيا الاتحادية وحدها ، وحتى عام ١٩٨٢ حوالى ٥٦ ألف إرهابي تركي ، يتوزعون مناصفة بين اليسار واليمين التركيين . وأياً كانت صحة هذه الأرقام ، وما اذا كنا أساساً نتفق مع ستيرلنج حول تحديد من هو الارهابي ، فإننا وانطلاقاً من الرقم الذي تضعه ، لابد أن نطرح السؤال المشروع الذي يفترض بأي باحث جاد أن يبحث له عن إجابة :

إذا كان ذلك هو عدد الارهابيين الأتراك في المانيا الاتحادية ، الذين لاشك بأنهم تزايدوا حتى الآن وفق منطق « ستيرلنج » نفسه ، فلماذا لاتكون فكرة قتل البابا قد نبتت هناك ؟ ، ومن وسط هذا المناخ الارهابي الذي تتحدث عنه ، وليس من مجرد مرور عابر لأغجا في صوفيا إن هو مر ، إن جميع الدلائل المتوفرة تشير إلى أنه لم يعبر شخص باسم « أغجا » أو بأوصافه الأراضي البلغارية ، وحتى وإن عبر فإن أحداً لم يخطط معه ، لا وجاهة ، ولا نيابة للجريمة التي اقترفها في ساحة

القديس بطرس . ونثبت ذلك لأنه غدا الآن ، وبعد التحريات الدقيقة التي أجريت حتى من القضاء الايطالي ، حقائق ثابتة .

طبعاً إن ستيرلنج تجد لالمانيا الاتحادية أعذاراً كثيرة . فترى أن المليون ونصف المليون من الاتراك الذين يعيشون هناك يشكلون عبئاً أمنياً . بحيث يصعب ، أو حتى يتعذر مراقبة تصرفات جميع هؤلاء الغرباء ، لاسيما أنهم يتحدثون بلغة يستحيل على الالماني فهمها ، ويعيشون في « غيتوهات اثنية » يصعب على البوليس الالماني التوغل بداخلها بالحرية التي يتمتع بها في أي حي الماني آخر .

إذن ، ماالذي تقوله هذه المرافعة ؟ إنها تقول : إذا حدث أن أثبت القضاء أن المؤامرة حيكت في المانيا الاتحادية ، وهذا أمر لاتسمح به « ستيرلنج » بكل تأكيد ، إذا حدث ذلك فإن المسؤول ليس هو حكومة المانيا الاتحادية ، بل الأتراك الأشرار الذين يصعب ضبطهم . وإذا مااستفسر المرء عن التقارير التي تشير إلى التعاون التام بين المنظمات الفاشية التركية ، والبوليس الالماني الاتحادي فيما يتعلق بملاحقة اليساريين الأتراك ، والتنكيل بهم ، أو التغاضي في أحيان كثيرة عن التصفيات الجسدية التي يتعرضون لها ، فإن القضية تصبح واضحة تماما . هناك هجوم شكلي على اليمين واليسار التركي ، أما عملياً فإن الحرب هي ضد اليسار التركي ، أكان الأمر داخل تركيا أم خارجها .

مرة أخيرة ، لابد أن يعاد طرح السؤال : إذا كان يصعب على البوليس الالماني أن يراقب الأتراك المستقرين في أرضه منذ سنوات ، فكيف يكون سهلاً على البوليس البلغاري أن يعرف كل واحد من عشرات الألوف من الأتراك الذين يعبرون بلغاريا يوميا ، معرفة تصل ـ على حد ماتريد ستيرلنج اقناعنا به ـ إلى درجة أنها تلتقط منهم ، وعلى وجه النباهة من تتوسم به إمارات الارهاب ؟!

إذن كما قلنا ، ابتدأ الأمر بالتشكيك بيمينية « أغجا » تمهيداً لالغائها ، ويستمر ذلك التشكيك منذ فترة الجامعة في كل من أنقرة واسطنبول ، وخاصة في أنقرة . ورغم أنه لم يتوصل أحد منهما إلى تحديد انتماءاته الملموسة بالوثائق ، إلا أنهما يفتحانها على جميع الاتجاهات . فمن الممكن أن يكون قد تعرف إلى أحزاب اليمين أو اليسار ، ومن الممكن أن يكون قد جاء إلى بيروت للتدرب لدى الكتائب أو الفلسطينيين .

وهنا ترسم له خطة تحرك ، يشترك في رسمها على نحو متماثل كل من الكاتبين هنتسه وستيرلنج . فثمة صديق لأغجا يدعى « سبيدات سيري كادم » تطوع لايصاله إلى بلدة « غازيانيب » على الحدود السورية ، واستطاع من هناك أن يجد

طريقه وسط الحقول الشائكة والألغام إلى دمشق التي التقى فيها بـ « تسيلم تور » الذي ساعده في الوصول إلى بيروت .

من هم هؤلاء الذين ساعدوه ؟. وإلى أي الفصائل ينتمون ؟. ودون أن نخوض في تفصيل كبير ، يدلنا هنتسه على أنه كانت لأغجا في تلك الفترة علاقة بست منظمات تركية سرية . اثنتان منها في أقصى اليمين وأربع في أقصى اليسار . كيف يتفق لتركي أن يقيم علاقات متينة مع اليمين واليسار التركي وهما على ما هما عليه من العداء الذي يصل حد التصفية الجسدية ؟. كيف يستطيع هذا التركي الذي « لم يأت من الفراغ » الوصول ، إلى روما ، والذي أرسلته « العقول الخفية » لاغتيال البابا ، كيف يستطيع أن يفعل ذلك ؟.أهو من الذكاء الخارق بحيث يستطيع إخفاء علاقته باليسار ، إن التقى باليمين ، أو العكس ؟. ربما كان السبب ، وهو الأرجح ، اقناعنا بأن « أغجا » كان يمارس عمله بنوع من الاحتراف الشديد ، الاحتراف الذي يصبح مبرراً بحيث ينزلق الارهابي في أي مكان بغية تنفيذ مهمته .

في الرسم الذي قدمه كل من هنتسه وستيرلنج ميل كبير للشخصية النموذجية للقاتل . فهو شديد الوثوق بنفسه ، ولايعرف كيف ينفذ الأوامر الصادرة إليه فحسب ، بل يعرف بالمثل كيف يورط الذين يقفون وراءه حين يقتضي الأمر، أو حين يتقاعسون عن نجدته ، فكلاهما ـ هنتسه وستيرلنج ـ ينطلقان من تصرفه أثناء اغتياله « ابتشكي » كأساس لتصرفاته اللاحقة . فيصفان هدوءه العجيب ، ورباطة جأشه أثناء لقائه بالصحفيين بعد تنفيذ عملية اغتيال ابتشكي أو بعد محاكمته ، وهما أمران غير معهودين عن رجل يقع في قبضة البوليس التركي . لقد اعترف « أغجا » بالجريمة دون تردد . ثم أنكر ذلك بعد أيام . وقال بأنه لم يقتل « ابتشكي » ، لكنه يعرف من قتله ، واتهم وزير الداخلية التركي بأنه هدده كي يقدم إفادات محددة وفسّر هذا بأنه إشارة خفية إلى الواقفين خلفه، وبأنه سيجد نفسه مضطراً للاعتراف ، إن لم يسارع أحد بانتشاله من الظلمة . كما سيفسر لاحقاً تهديده بالاضراب عن الطعام بعد خمسة أشهر ، بأن ذلك ليس مهلة للمحكمة كي تعيد النظر في وضعه فتنقله إلى الفاتيكان ، بقدر ماكان تهديداً مبطناً بأنه بعد ذلك التاريخ سيجد نفسه مضطراً للقول ، وسيتخذ اعترافه في البدء بارتكابه جريمة قتل « ابتشكي » ، ثم إنكاره لها ، وعدم تطرقه في عملية البابا إلى أي علاقة للبلغار ثم تطرقه بعد ذلك ، على أنه جزء من الشخصية المحترفة المدربة طويلاً على كتمان أسرارها ، والتي تضطر أخيراً للبوح بها دفاعاً عن النفس ، وحفاظا عليها .

وهـذا أيضاً سنعتبره « تلميعاً » لشخصية « أغجا » . فهو ليس أي يميني يندفع لارتكاب القتل انطلاقاً من قناعة . إنه ليس الشاب المهووس « هنكلي » الذي أطلق رصاصات خائبة على ريغان ، بل قاتل مأجور . وعندما يصل القارىء مع الكاتبين إلى هذه القناعة ، سيجد نفسه يسأل مع الكاتبين أيضا ـ من هو الذي له مصلحة في أن يجد البابا صريعاً وسط ساحة القديس بطرس ؟ .

وهنـا تطل الافـتراضـات السياسية برأسهـا . . الافتراضات الموجودة قبل الحادث ، والجاهزة دائماً في صلب الدعاية الغربية . فمن له مصلحة إذن ـ وحسب هذا النهج الافتراضي ـ سوى السوفيات ؟ هو بولندي وكاثوليكي ، ونصير حقوق الانسـان ، والسوفيات أعداء هذه الطروحات الثلاثة . وسيفاجأ القارىء ، بأن الكاتبين اخترعا المعجزات من أجل هذه الحقيقة التي سببت صدمة للغرب الذي تردد طويلاً في قبولها .

ويعتبر هنتسه أن موقف العالم الغربي من محاولة اغتيال البابا يظل لغزاً كبيراً . وفي حين تعيد ستيرلنج ذلك إلى مجيء أندروبوف إلى السلطة والآمال التي علقها الغـرب على هذا المجيء، فإن هنتسـه يشبه عناد الغرب في قبول أفكاره عن أن السـوفيات وراء العملية، بعنـاد الغـرب في الثـلاثينـات تجاه قبـول فكرة تغلغل السوفيات الواسع في أوروبا.

وترى « ستيرلنج » أن الغرب يخفي عن جماهيره حقائق ممارسات السوفيات في العالم من أجل الحفاظ على الوفاق الدولي ، وأن خوف المحللين الغربيين من الخـوض في الغـمار الـذي خاضته ستيرلنج ، نابع من الخوف من أن يؤدي اتهام السـوفيات صراحة بهذه العملية إلى شراسة في العمليات الانتقامية ، وهنا يظهر الغرب ضعيفاً مستكيناً ، لايدري ما الذي يفعله مع جهة يصر على تجنبها ، وتصر على تحديه ، وتصدير الارهاب اليه .

وهنا لاتنسى ستيرلنج ، صاحبة الباع الطويل في إذكاء نار الحرب الباردة ، « أنه ليس هكذا تورد الابل » ، وليس هكذا يأمن الغرب شر السوفيات ، بإخفاء الحقـائق عن جماهير الغرب وليس هو السبيل للحفاظ على علاقات حضارية مع السـوفيات . لأن ذلـك فيه ، كما ثبت لدى ستيرلنج بالملموس ، أذى للغرب ، وسـماح للسـوفيات بالتمادي والتحدي أكثر من اللازم . وهي تصر ـ أخيراً ـ على توجيه نصائحها الطيبة تلك حتى وإن خطر لأحدنا أن يتهمها بإحياء الاتجاهات المكارثية التي طمرها غبار السنين .

ولاتنسى ستيرلنج وهنتسه في هذا السياق الذي يحتوي عرضاً بارزاً لفتوحاتها

على هذا الصعيد ، أن يحاولا بين السطر والسطر الاشارة إلى عدم اكتراث المخابرات المركزية الأمريكية بقضية علاقة البلغار والسوفيات بأغجا . وان هذا الجهاز الخطير ، الذي اعتبر القضية مجرد أمر يخص الطليان وحدهم ، ظل طويلاً يتجاهل ويشكك في هذه العلاقة ، بل ويرفضها ، كدأب الحكومات الغربية قاطبة ! .

ويعجب الانسان لهذا الأمر ، ولكن العجب يزول حين نكتشف بالملموس الدور الذي أدته المخابرات المركزية في صياغة هذه القضية برمتها ، بل وحتى في أفكار هذين الكاتبين نفسيهما . فقد تحدثنا في الفصل الرابع عن ضابط استخبارات أمريكي كبير يزور تركيا للاشراف على سير الأمور ، فيما يتعلق بعلاقات « أغجا » في تركيا ، وما توصل له التحقيق بصدد علاقة هذا باغتيال البابا . والضابط المذكور لم يكن سوى هنتسه الذي طلع علينا بالكتاب الذي نراجعه الآن . إذن حسب هذين الكاتبين تم في الغرب تجاهل الكثير من الأدلة ، أو تم إخفاؤها . وكانت رغبة الجميع حكاماً ، وأجهزة أمن وإعلاماً ، تكمن في تغطية الموضوع ، حتى ان ستيرلنج تتحدث عن قصص جرت بينها وبين أجهزة غربية ، كانت تتمنى ألا يقود التحقيق إلى شيء ، وتتمنى أن يخرج السوفيات أبرياء من هذه التهمة .

والسؤال هنا : هل يشكل ذلك اتهاماً للغرب ؟ بالتأكيد لا . فإن ذلك لايعدو أن يكون إفراطاً في إظهار النوايا الحسنة ، إزاء النوايا الخبيثة للسوفيات ، وهي نفس التبريرات التي سيقت لتبرئة « الذئاب الرمادية » ، ونفس التبريرات التي سيقت أيضاً لتبرير عدم قدرة المانيا الاتحادية على السيطرة على الأتراك الموجودين في أرضها . وفي محاولة منه لاظهار رغبة الغرب في طي موضوع اغتيال البابا سريعاً ، ينتقد هنتسه من طرف خفي السرعة التي تمت بها محاكمة « أغجا » . فهي ـ برأيه ـ محاكمة سريعة إذا ماقيست بمحاكمة عمليات مشابهة ، ولاسيما في بلد كايطاليا . ويذكر مثلاً أن محاكمة قتلة « الدومورو » رئيس وزراء ايطاليا الأسبق قد استغرقت عدداً من السنين . فما الحكمة من الاسراع في محاكمة « أغجا » ؟ . ومرة أخرى نعثر على الاجابة : الخوف من احراج السوفيات ، الأمر الذي قد يستدعي تزايداً في ارهابهم ضد الغرب . وهنا تصاغ المعادلة على النحو التالي : غرب راغب في الوفاق ، وشرق يستغل هذا الوفاق للانتشار والتوسع ، وفي انتشاره لايتورع عن استخدام وسائل الارهاب ضد غرب يؤمن بالديمقراطية والحرية والتعايش السلمي ! .

لقد أخذ « هنتسه » على عاتقه تصحيح المفهوم الخاطىء الذي ساد الغرب في الأيام الأولى من حادث ساحة القديس بطرس، ذلك المفهوم الذي وصل حداً

جعل بعض المحللين يصب لعناته على المجتمع الاسلامي الذي « ينذر بمفاجآت قذرة » ! كما أخـذت ستيرلنج على عاتقها إعادة تصحيح الذكريات التي تواردت للغربيين من الأتراك باعتبارهم قساة ، وذوي شوارب غليظة ، يكنون حقداً قديمًا للمسيحية . فذكـرت الغـرب بأنهم الآن ـ أي الأتـراك ـ يحمون الجناح الشرقي لحلف الناتو . وراحا يعزفان على نغمة واحدة : لماذا نتهم هذا ونتهم ذاك ، مادام المتهم الأساسي جاهزاً . لايتعب أحدٌ نفسه . فالسوفيات هم وراء هذا العمل . وإذا كان من سؤال فإنما ينبغي أن يتجه على النحو التالي : من نقل رغبة السوفيات هذه وجعلها أمراً لأغجا . أهم البلغار ؟ أم سوريا ؟ أم ليبيا ؟ أم منظمة التحرير الفلسطينية ؟ أم هؤلاء جميعا ؟

وبـالـطبع فإن جميع هذه القوى قد نالها من سهام التهمة مانالها . إلا أن بلغـاريا ، ولأسبـاب استفيض في شرحهـا في فصول سابقة ، قد نالها من ذلك النصيب الأكبر .

وتنبغي الاشارة هنا الى أن أخطر مافي كتاب هنتسه هو القسم الثاني والذي يحمـل عنوان « خلفية الارهاب » . ويتحدث فيه عن الارهاب في تركيا وايطاليا والتقاليد السوفياتية في الارهاب ، والبلغار كمرتزقة في هذا المجال . وهو من اجل الـترويج لأفكاره لايتورع عن اختراع قصص كتلك التي اخترعتها ستيرلنج لدى حديثها عن العلاقة الوهمية بين المافيا التركية ، والحكومة البلغارية ، تلك العلاقة التي صورت بشكل أسطوري يقرب من عالم ألف ليلة وليلة . وبما أن القارىء معتاد على مثل هذه الأفكار ، لذا سنقتصر على تناول جانب واحد منه ، لأن له علاقة بأغجا ، الشخصية الرئيسية في الجريمة ، ألا وهو موضوع الارهاب في تركيا .

يعنون هنتسه فصله هذا بالعنوان التالي « الارهاب والتخريب السوفيتيان في تركيا » . ويبدأ الفصل بالحديث عن تاريخ تركيا مع كمال أتاتورك ، فيصف كيف كان خروج الشعب الـتركي « من رمـاده » مدعاة قلق للسوفيات ، قلق يعود في جذوره إلى أطماع روسيا القيصرية في تركة الرجل المريض . ثم يتحدث عما يسميه التطورات الديمقراطية التي حدثت في تركيا مابين عامي ١٩٤٦ و ١٩٥٠ ، حيث عقـدت انتخابات جاءت لأول مرة بالحزب الديمقراطي الحديث الولادة بزعامة منـدريس . ثم يتحدث فجأة عن أن مجموعة من الضباط قامت في أيار ١٩٦٠ بإزاحة حكومة « مندريس » على نحو يكاد يكون سلمياً تماماً . وينتقل بعدها إلى الحديث عن إنجازات هؤلاء العسكر .

إن عبارة « على نحو يكاد يكون سلمياً تماماً » هي مغالطة يرتكبها الكاتب .

وفي الحقيقة فهي ليست مغالطة بقدر ماهي إخفاء للحقيقة ، بغية توجيه الأنظار نحو أولويات الادارة الأمريكية في تركيا . فمن المعروف أن هذا الانقلاب الذي تم بزعامة الجنرال « جمال غورسيل » قد علق دستور البلاد المعمول به منذ عام ١٩٢٤ ، وحكم بالاعدام على رئيس الجمهورية التركية « جلال بايار » ، لكنه أرجأ تنفيذ الحكم . كما قام بحل الحزب الديمقراطي ، بدعوى أنه يناقض المبادىء الأتاتوركية ، ونكل بأعضائه شر تنكيل ، فكيف يتم إخفاء هذه الحقائق لدى الحديث عن هذا الانقلاب ، إلا إذا كان المقصود ـ وهو المقصود فعلاً ـ أن نصل إلى ذات القناعة التي يوصلنا إليها الكاتب في نهاية فصله ، تلك القناعة التي تفيد أن رجال الجيش في تركيا هم رسل الديمقراطية والاستقرار ولا أحد سواهم ؟ .

ثم يتحدث هنتسه بعد ذلك عما يسميه موجة الارهاب الأولى في تركيا ، تلك الموجة التي ارتبطت بتنامي الدعاية المضادة للغرب عبر أكثر من شكل والتي امتدت منذ أواخر الستينات وأوائل السبعينات ويعزوها ـ كعادته ـ إلى السوفيات الذين روجوا ـ حسب رأيه ـ للتفسيرات التي ذهبت بعيداً في تحليلها لأسباب الارهاب كي يبعدوا الأنظار عن أفعالهم .

ولاينسى بعد ذلك ، أن يضع اللوم في تنامي الارهاب في تركيا على عاتق « بولنت ايجفيت » ، الذي تم في سنوات حكمه اطلاق السجناء السياسيين الذين يعتبرهم هنتسه ارهابيين .

وسيظل هذا التشكيك بسياسات « ايجفيت » ، إلى أن يأتي الانقلاب العسكري الأخير بقيادة الجنرال « كنعان ايفرين » الذي سيضع ، على حد قول هنتسه حداً شبه نهائي للارهاب التركي . وهنا لايخفي هنتسه اغتباطه بتسلم العسكر لمقاليد السلطة في تركيا . فما تريده الولايات المتحدة في تركيا واضح شديد الوضوح . أنها تريد دولة كلية الولاء . وهذا أمر لايستطيع الاخلاص التام له سوى العسكر .

إن تركيا ليست أي بلد آخر . إنها بشكل أو بآخر حدود الولايات المتحدة مع الاتحاد السوفياتي . خط الجبهة الأمريكي الأول في أي صدام مقبل مع السوفيات . وقد راحت الادارات الأمريكية المتعاقبة منذ مبدأ ترومان الذي أضاف عام ١٩٤٧ تركيا إلى قائمة نفوذه ، حتى إدارة ريغان ، تولي اهتماماً يتزايد مع الأيام بهذا البلد الشرقي ذي الموقع الاستراتيجي . فهي بالاضافة إلى كونها تشكل الجناح الشرقي لحلف الاطلسي ، فإن موقعها الهام على مقربة من الخليج الذي يزود الغرب بكافة احتياجاته النفطية ، وقربها من نقطة الصراع الساخنة في الشرق الاوسط ، قد جعلا

منها بلداً لايمكن للولايات المتحدة أن تتركه يقرر سياساته على هواه . وكما قلنا ، فإن العسكر هم المؤهلون للاحتفاظ بالتحالف الأمريكي ـ التركي في أعلى مستوى له . وليس تشجيع الأمريكيين للارهاب الذي مارسته الأحزاب اليمينية في السنوات الأخيرة إلا محاولة لخلق المناخ الملائم لعودة العسكر .

والحقيقة أن الأحزاب اليمينية لم تكن تمارس نشاطاتها الارهابية ، كما يحاول هنتسه وستيرلنج أن يوهمانا، ضد الدولة التركية، من أجل أن تصبح فريسة سهلة بيد السوفيات ، بل كانت تمارس الارهاب ضد الأحزاب اليسارية وبالضبط من أجل خدمة المخطط الأمريكي الذي لايمكن أن يستمر إذا مانشطت الحركة اليسارية في تركيا .

معادلات الصراع البسيطة هذه ، يحاول الاعلام الغربي المكثف أن يطمسها ، على أبشع صورة في الكتابين اللذين هما موضع بحثنا . ومايراد لنا أن نعرفه فقط هو أن هنالك ديمقراطية تركية . هناك تركيا المنتمية سياسياً وعسكرياً للغرب ، وهناك من يحاول أن يحرفها عن هذا الانتماء . أما لماذا يعمل اليسار كي يحرف تركيا عن توجهاتها الأمريكية ، فالجواب الوحيد الذي يقدمه هذان الكتابان هو أن رغبة موسكو تكمن في ذلك ، وليس لسبب آخر . ولا علاقة للظلم الاجتماعي القائم تاريخياً بذلك ولا علاقة أيضاً للبطش الذي يمارس . القضية فقط أن هناك عملاء هم اليسار بشكل أساسي ، الذي قد يجد له طرقاً ملتوية للتغلغل إلى اليمين والعمل من خلاله . وكما قلنا سنفاجأ بأن الكتابين ومجمل الاعلام الغربي يركز على هذه القضية . وبعد فهناك أمور هامة وخطيرة يجدها القارىء في كتابي هنتسه وستيرلنج ، ولاحاجة إلى تفصيل أكبر . لأن المرء سيجد نفسه مضطراً إلى التكرار . فهنالك فكرة ثابتة واحدة تتكرر في الكتابين منذ الكلمة الأولى وحتى الأخيرة ، وهذه الفكرة ترتدي في كل فصل ثيابا جديدة كما لاحظنا .

الفصل السابع

الحرب الباردة الثانية من . . . . بلغاريا

بعد كل ما جرى لها ، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية على الأقل ، بسبب الولايات المتحدة الأمريكية أو على يدها ، هل يمكن لغالبية شعوب الأرض أن تختلف على ضرورة مواجهة الارهاب الامبريالي في مناطقها ؟ هنا السؤال .

لقد ساهمت الولايات المتحدة كطرف رئيسي في إقامة نظام دولي معادٍ إجمالاً يعتمد على نهب غالبية شعوب العالم ومواردها الطبيعية بأبخس الأثمان ، واللعب بمصائرها بصورة يومية عن طريق فرض حكام لا يتمتعون بثقة شعوبهم ، وبابقاء آخرين فقدوا تلك الثقة.واعتبرت واشنطن مناطق الأرض جميعها مزرعة لعسكرييها ولمخابراتها ولشركاتها الجشعة ، فما برحت تنهب الموارد بالتدخل ، تكسر الارادات وتلوح بالعقوبات .

رغم ذلك ، سعت إلى تبرير نهج تصعيد حدة التوتر والمجابهة ، بالادعاء القائل بأن الاتحاد السوفياتي قد أصبح « مركزاً وبؤرة للارهاب الدولي » . وحينما تبث أوساط المؤسسة الحاكمة سمومها هذه ، فإنها تملك كل الأدوات اللازمة لتوجيه الرأي العام العالمي نحو ابتلاعها : الأموال ، أجهزة الاعلام ، مؤسسات الاستفتاء ، الرجال والمنظمات والمؤسسات الأيديولوجية والثقافية والاجتماعية الخ .

الفكرة التي بدا وكأنها قد تبلورت في نظرة الادارة الأمريكية الجديدة ، كما بينت الفصول السابقة ، أن موقفاً جديداً قد ظهر منذ تسلم رونالد ريغان دفة السلطة في البيت الأبيض ، مشابهاً لذلك الموقف الذي بزغ بعد الحرب العالمية الثانية ، الموقف الذي أرسى علاقات التوتر والمجابهة بين المعسكرين العالميين حيث ألهمت الولايات المتحدة مفهوم « الحرب الباردة » مضموناً سياسياً واقتصادياً وعسكرياً ، وبدرجة كبيرة ، مضموناً أيديولوجياً في مواجهتها الساخنة ضد المنظومة الاشتراكية العالمية .

وكما هي العادة لم يختلف الباحثون والمنظرون اليمينيون من الأكاديميين والسياسيين على حد سواء على تقديم « المنقذ » رونالد ريغان . لكن « المنقذ » لم يكن مجرد داعية للآراء السياسية والاقتصادية المحافظة ، فهو أيضاً داعية أيديولوجي يشاطر « اليمين الجديد » زاده ، فتتقدم المحافظة معهما في زي انقلابي .

ورغم التلطيف النسبي في تعبيره عن « أفكار اليمين » الذي يمليه كون الرجل رئيساً لدولة وليس قائداً لعصابة ، إلا أن تعلقه بنظام كامل للأفكار جعل الولاءات الأخرى تبدو شديدة التفاهة والسطحية . ومنذ حملته الانتخابية بدأت تظهر الشعارات والدعوات التي كان سكان المناطق قد اعتقدوا أنها انقرضت . « فالشيوعية » لم تعد اجراءات تؤمم الملكية الخاصة ، أو دبابة سوفياتية تكتسح ما

يقف في وجهها ، بل أضحت مذهباً أخلاقياً مداناً يشيعه شيطان رجيم (الاتحاد السوفياتي) !

لم يستطع هذا الارتفاع من « السياسي » إلى « الشمولي » ومن « التجريبي » إلى « الايديولـوجي » أن يخفي أصـوله المكارثية ، كما لم يهتم باخفائها ، بيد أن السؤال الذي وجد من يطرحه حتى في أوساط المحافظين المعتدلين هو : هل يمكن للوعـود الـوردية التي طرحتهـا الريغانية على بلادها أن تجد تلبيتها في أيديولوجية شمـولية تطبق على السياسـة الخارجية ؟ . وبالتالي ، ألا يكون تصميم السياسة الخارجية على حجم الأفكار الكلية « الشمولية » مهمة تبسيطية وخطيرة في آن معاً ؟ .

لم تكن التسـاؤلات في غير محلها . فسرعان ما ظهرت ملامح الخطورة في العلاقة مع الاتحاد السوفياتي : فلا مفاوضات إلا بعد إلغاء « التفوق » الاستراتيجي للاتحاد السوفياتي . ومال ريغان إلى التصلب المضاد ، متشبثاً بالمواقع الجديدة التي حققها العداء للسوفيات مرة ، والعداء للشيوعية غالباً ، فنشأت النظرية التبسيطية الأخـرى التي تدمج القضايا والمشاكل الفرعية كلها في صراعه ضد الاشتراكية . وأخذ التبسيط أكثر أشكاله فجاجة في الحملة المنظمة على الحركات السلمية المناوئة للتسلح في أوروبا الغربية . ففيما بدا أن الحركات المذكورة تمثل قطاعاً واسعاً من الرأي العام الأوروبي وتختزن ضمير أوروبا المثقل بالحروب ، كان البيت الأبيض يحرض زعماء القارة على تجاهلها لأنها ليست أكثر من « فبركة » سوفياتية ! .

إن العداء للتسلح كمبدأ ، يستند إلى مقدمات تاريخية واجتماعية معقدة ، هو أغرب المبادىء والأفكار عن عقل ريغان والتفكير الساخن في ادارته ، حيث القوة والهيبة العسكرية هما اللتان توفران الحلول للمشاكل المستعصية . مثل هذه النزعة « السلاحية » وجدت أكثر من مسرح معد ، ومارست أكثر من تمرين أولي ، فالصواريخ النووية المتوسطة المدى من طراز « كروز » و « بيرشينغ ـ ٢ » ، التي يتم نشرها أواخر هذا العام كائنة ما كانت المضاعفات التي تهدد أمن واستقرار العالم ، لا تهم رونالد ريغان الذي تحركه فكرة القوة الشمولية ، الميال إلى احتقار مصلحة العالم في السلام ورغبته في الحياة وتحكيمه للعقل ، وإلا فما معنى الانتصارات التي تقبع فوق فوهة بركان لا يخمد ؟ .

من هذا المنطلق ، فإن هذا الفصل سوف يركز على قيادة الولايات المتحدة دفة الصراع مع الاشتراكية كنظام على الصعيد العالمي ، منذ بدايتها على أثر خطاب رئيس وزراء بريطانيا آنذاك ونستون تشرشل في مدينة فيولتون في ولاية ميسوري

الأمريكية يوم ١٥ آذار (مارس) ١٩٤٦ حتى الآن ، مع التركيز على فترة ادارة الـرئيس رونالد ريغان والدور الكبير الذي بذلته لوضع جمهورية بلغاريا الشعبية والاتحاد السوفياتي في قفص الاتهام من خلال قضية محاولة اغتيال البابا بهدف دفع عملية الانفراج الدولي نحو طريق مسدود ولتبرير حمى سباق التسلح ، وتضليل الرأي العام العالمي ، وتحطيم النموذج الاشتراكي في الأذهان ، إضافة إلى الرغبة الاسـتراتيجية الأمـريكية المستمـرة في تفتيت وحـدة دول المنـظومـة الاشتراكية ، والاسـاءة إلى سمعتهـا واعتبـارهـا الـدولي سواء بوسـائل الدعاية والاعلام ، أو بالضغوط الاقتصادية كما جرى في بولندا أثناء أزمتها الداخلية ١٩٨٠ ـ ١٩٨٢ ، وفي قضية اغتيال البابا واختلاق الدور البلغاري فيها ، أو في مثل عملية الطائرة الكورية الجنوبية التي اخترقت المجال الجوي السوفياتي عام ١٩٨٣ بهدف القيام بأعمال استطلاعية تجسسية الخ . .

والسؤال المهم هنا : ما هو الدور الذي تلعبه الأيديولوجيا في توجيه السياسة الخـارجية الأمـريكية ؟ ومـا هي الأسـاليب والـطرق والسبـل المتـوفـرة لتسريب الأيديولوجيا ونقلها . . ؟ . .

« أيديولوجيا » الحرب الباردة

كان الخطاب الذي ألقاه رئيس الوزراء البريطاني الأسبق ونستون تشرشل في آذار (مارس) ١٩٤٦ في مدينة فيولتون ، بحضور الرئيس الأمريكي هنري ترومان بمثابة « مانيفستو » أيديولوجي للامبريالية بعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها . وهذا الخطاب المليء بالافتراء الحاقد على الاتحاد السوفياتي وبلدان الديمقراطية الشعبية تضمن الدعوة إلى « حرب صليبية » على الاشتراكية ، وبرنامج السيطرة الأنجلو- أميركية على العالم « ليس في عصرنا فقط بل في القرون المقبلة أيضا »(١) . كما تضمن خطاب تشرشل نداء لتكوين كتلة عسكرية ـ سياسية أنجلو- أميركية موجهة ضد الاتحاد السوفياتي والبلدان الاشتراكية الأخرى ، وكذلك ضد حركات التحرر الوطني العالمية .

وما إن اتخذت الحكومة البريطانية قراراً في شباط (فبراير) ١٩٤٧ بشأن سحب قواتها من اليونان ووقف تقديم معوناتها المالية والاقتصادية لتركيا ، حتى انتهزت الولايات المتحدة الفرصة لكي تستولي على مواقع عسكرية واستراتيجية هامة في منطقة شبه جزيرة البلقان ، وشرقي البحر الأبيض المتوسط ، وتقرب دائرة

(١) راجع تاريخ السياسة الخارجية للاتحاد السوفياتي ١٩٤٥ ـ ١٩٧٦ (الجزء الثاني) بإشراف أ. غروميكو ، ب . . بونوماريوف دار التقدم ، موسكو ، ١٩٨٠ ـ ص ١٧٨

نفـوذهـا العسكـري والسياسي من حدود الاتحـاد السوفياتي وبلدان الديمقراطية الشعبية الأوروبية مباشرة . ففي ١٢ آذار (مارس) ١٩٤٧ ، أعلن ترومان مبدأه الذي طبق بالدرجة الأولى « للدفاع » عن اليونان وتركيا ، ولكن سرعان ما امتد ليشمـل منـاطق أخـرى أيضـاً . وكـانت دلائل المبدأ واضحة : لسوف تضطلع الـولايات المتحـدة منذ الآن بالتدخل المباشر ، لا في أوروبا الغربية فحسب بل وكذلك في شرق البحر الأبيض المتوسط والشرق الأدنى ، بهدف تقديم المساعدات العسكـرية والاقتصـادية للدول والحكومات المعارضة للأيديولوجية التي يتبناها الاتحاد السوفياتي .

إلا أن الحقيقـة كانت أعمق من مجرد التـدخل في الشؤون الداخلية لهذه البلدان ، إذ أن إعـلان الـرئيس الأمريكي ترومان الذي تضمن حملات دعائية افـترائية فظة على البلدان الاشـتراكية ، طالب أيضاً بأن تأخذ الولايات المتحدة الأمريكية على عاتقها دور الدركي العالمي ، وبأن تتدخل منذ الآن في شؤون كل البلدان تأييداً لقوى الرجعية والثورة المضادة ، وتساعد على قمع حركات التحرر الوطني ، وقطع الطريق الاشتراكي للتطور . ولكن النضال الثابت الذي خاضه الاتحاد السوفياتي ضد « مبدأ ترومان » قد ساعد الشعوب في العالم أجمع على ادراك مدى الخـطر الـذي تنطوي عليه المخططات والمشاريع الامبريالية الأمريكية على قضية السـلام ، وحـرية جميع البلدان واستقـلالها . ولم يسمح عدد من البلدان الـرأسـمالية في أوروبـا ، والأكثرية الساحقة من بلدان آسيا بجرها إلى الأحلاف العسكـرية التي نظمتهـا الـولايات المتحـدة ، وفضلت سياسـة الحياد . فوجـد الامبرياليون أنفسهم عاجزين عن الحيلولة دون تطور بلدان الديمقراطية الشعبية في طريق الاشتراكية وعاجزين أيضاً عن ضرب حركة التحرر الوطني في المستعمرات .

في ظل هذه الأوضاع الجديدة ، وجدت الولايات المتحدة نفسها معنية بقدر أكبر بأحداث الشرق الاقصى ، وأحداث القارة الأوروبية بالطبع . وقد عبر عن ذلـك جون فوسـتر دالاس ـ وزير الخـارجية الأسبق الـذي « يرتعب أمـام شبح الشيوعية الـدولية ، الشبـح الذي شكل معظم أفكاره بشأن الوضع العالمي »[٢] بقـولـه : « ان الميدان فسيح ، مجالـه العالم بأسره ، وما بداخله من جميع القوى

---

(٢) William R.Polk - The Elusive Peace ; The Middle East in the Twentieth Century - London ; Croom Helm , 1974 , P.116

السياسية والعسكرية والاقتصادية والروحية . والوسائل متعددة ، وطنية ودولية ، والمنظر دائب التغيير ، وليس هناك أي اتفاق على اصطلاح معين ، فلن يضمن السلام سوى الجهود العديدة والممتدة في مختلف الدرجات والأماكن . وفي هذه الجهود ، يمكن أن نجد الدور الذي نلعبه »[٣] .

وعقب جولة دالاس الأولى في الشرق الأوسط في أيار (مايو) ١٩٥٣ ، يمكن تمييز الاستنتاجات التالية :

أولا : من بين جميع بلدان المنطقة ، فإن ما سماه « بالحزام الشمالي » الذي يشمل اليونان وتركيا ، والعراق ، وايران ، والباكستان ، يشترك في آراء حول « التهديد السوفياتي » ومن ثم فهو مؤهل للارتباط بشبكة المعاهدات المقامة في أوروبا وجنوبي شرق آسيا .

ثانياً : استنتج دالاس أن معظم الحكام لا يشاركونه الرأي باتجاه الأمن الاقليمي . كما قال للرأي العام الأمريكي « إن كثيراً من بلدان المنطقة لا تعير اهتماماً كبيراً للشيوعية السوفياتية » .

لم يكن إنشاء نظير مطابق لحلف شمال الأطلسي في الشرق الأوسط ممكناً في ذلك الوقت . ولكن يمكن للولايات المتحدة أن ترسي الأساس لتوسيع مفهوم « الحزام الشمالي » ، ومن ثم استكمال حزام المعاهدات الدفاعية في أوروبا إلى الشرق الأقصى . وسوف يصبح الاتحاد السوفياتي مطوقاً بدرجة أشد من ذي قبل . ومن ناحية أخرى ، صاغت ادارة أيزنهاور مبدأ « أيزنهاور » الذي كانت سمته البارزة هي « أن المصلحة القومية للولايات المتحدة هي تبرير التدخل المسلح الأمريكي في أي منطقة من مناطق العالم ، حسب التقدير المطلق للولايات المتحدة » .

ولا شك أن هذا المبدأ في أحد جوانبه كان يمثل محاولة لدعم الأمن القومي للولايات المتحدة ، ومصالحها في عموم البلدان التي سعت إلى التخلص من السيطرة الاستعمارية ودشنت طريق الاستقلال الاقتصادي والتحرر الاجتماعي . وإذا كانت المضامين العسكرية (منطق القوة) غير كافية وحدها في الحفاظ على مصالح الولايات المتحدة ، واستمرار هيمنتها الاقتصادية والسياسية ، فإنها سعت إلى صياغة ونشر أيديولوجيا « الهيمنة » التي كان عليها أن تؤثر ليس على الرأي العام داخل الولايات المتحدة فقط ، بل والتأثير على البلدان الأخرى من « أخطار

---

(٣) انظر جون فوستر دالاس ، حرب أم سلام ، القاهرة ، الدار العالمية ١٩٥٧ ، ص ١٦ .

الأيديولوجيا الشيوعية » . لذلك نجد أن المنظرين والأيديولوجيين الأمريكان ، يتمتعون بدرجة عالية من القدرة على التضليل ، بالاضافة لاعتمادهم على بعض الأساطير ومن أهمها : « التخوف من الخطر الشيوعي » الذي يشكل الوجه الآخر لأسطورة « تفوق النظام الرأسمالي والقيم الغربية » . فكيف شوهت الامبريالية الأمريكية طبيعة الاختلاف بين النظامين السياسيين الأمريكي والسوفياتي ؟ .

من المعروف أن « مناهضة الاشتراكية » تشكل أحد المرتكزات الأساسية للأيديولوجيا الرأسمالية التي ترى في الأيديولوجيا الاشتراكية بذور الخطر الحقيقي على بقاء نظامها . وقد بات واضحاً أنّ مهام معظم الأيديولوجيين الغربيين تقتصر على محاولات تبرير تفوق نظامهم ، من خلال صياغة عدة نظريات ، بعضها ذو أسلوب هجومي مباشر على القيم الاشتراكية ، والبعض الآخر تضليل . ويمكن ملاحظة الزيادة في قدرة بعض النظريات على التضليل ، مع الزيادة في درجة التعقيد للنظريات الأكاديمية من جهة ، والظروف السياسية المحيطة في العالم من جهة أخرى .

ومن أبرز النظريات التي سيطرت على مجرى الفكر الغربي طوال فترة « الحرب الباردة » نظرية « الأسود والأبيض » ، وهي نظرية مبنية على أساس الاعتقاد بوجود خلافات حادة بين النظامين ، وأن هذه النظرية تجد جذورها في بعض الأفكار التي روجت حول طبيعة المجتمع الروسي حتى قبل نجاح ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى عام ١٩١٧ ، مثل الآراء الواردة في كتاب « اليكسي دي توكفيل » حول الديمقراطية في أمريكا في عام ١٨٣٤ حيث قال : « إن الأنجلو ـ أمريكي يعتمد على المصلحة الخاصة لتحقيق أهدافه ويعطي مجالاً حراً للقوة العفوية وللادراك الشعبي العام . أما الروسي فهو يمركز كل سلطة المجتمع في يد واحدة . فالأداة الأساسية للأول (الأمريكي) هي الحرية ، وللثاني (الروسي) هي الخنوع » .

ومثل هذه الآراء حول طبيعة المجتمع الروسي قبل الثورة الاشتراكية ، استخدمت وتستخدم على نطاق واسع في الوقت الحاضر من قبل المحللين الغربيين المعادين للاتحاد السوفياتي ، لاثبات أن هناك استمرارية للنظام القيصري في النظام السوفياتي وخاصة في طبيعة السلطة . وتمتد هذه الأفكار في مجال الدراسات العسكرية حيث ترى بعض الدراسات أن طبيعة الجيش السوفياتي اليوم هي مشابهة لطبيعة الجيش القيصري .

هذه الأفكار تهدف ، من الناحية الأساسية إلى الغاء الطابع الاشتراكي للنظام السوفياتي ، بالاضافة إلى استخدامها لابراز تفوق النظام الرأسمالي وقيمه .

ونظرية « الأسود والأبيض » كثيراً ما استخدمت بهدف المقارنة بين مفاهيم ومصطلحات تحتوي على تقييمات أخلاقية ضمنية لطبيعة النظامين ، لابراز سلبيات النظام الاشتراكي في الاتحاد السوفياتي وايجابيات النظام الأمريكي . فتستخدم مثلاً مفاهيم مثل « الحرية » مقابل « العبودية » و « الديكتاتورية » مقابل « الديمقراطية » و « الفردية » مقابل « الجماعية » و « الدولة الدستورية » مقابل « الدولة التوتاليتارية (الشمولية) » .

ويبدو أن الرئيس الأمريكي جون . ف . كنيدي كان من المنتمين إلى نظرية « الأسود والأبيض » في تقييمه للنظام الاشتراكي في الاتحاد السوفياتي حيث قال : « إن السوفيات يعطون معاني مختلفة تماماً عنا لنفس الكلمات : الحرية ، السلام ، الديمقراطية ، والارادة الشعبية . لدينا نظرات مختلفة تماماً للصواب والخطأ ، ولما يمكن اعتباره مشكلة داخلية أو عدواناً ، وفوق كل ذلك ، لدينا مفاهيم مختلفة بصورة تامة حول وضع العالم اليوم والاتجاه الذي يسير عليه[٤] .

وحتى في مجال الدراسات المختصة بالسياسة الخارجية ، أو الدراسات الاستراتيجية تمثلت نظرية « الأسود والأبيض » من خلال مفاهيم مثل « الدفاع » و « الهجوم » حيث وصفت السياسة السوفياتية بأنها « هجومية » والسياسة الأمريكية بأنها « دفاعية » ، واجمالاً تندمج نظرية « الأسود والأبيض » بشكل طبيعي مع منطق دعاة الحرب ، أكانت باردة أم ساخنة ، ولذلك تصبح أكثر تداولاً وشيوعاً في الفترات التي تشهد تصعيداً في العلاقات الدولية بين المعسكرين . لقد صورت الولايات المتحدة العالم وكأنه موزع إلى قسمين ، الأول يدافع عن الديمقراطية والسلام والحضارة والقيم الثقافية والأخلاقية ويمثله الغرب ، والآخر يمثل البربرية الشيوعية والقهر والعدوان ويمثله الشرق ! .

---

(٤) أنظر : نهى تادرس ـ دراسة مقارنة في الفكر الأميركي والسوفياتي ـ مجلة الفكر الاستراتيجي العربي ـ العدد ٥ ـ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٨٢ ص. ص ٦١ ـ ٦٣ .

الانفراج الدولي وأسطورة « الخطر العسكري السوفياتي »

حمل عقد السبعينات متغيرات جديدة للصراع الأيديولوجي في العلاقات الدولية . وكان أساس تلك المتغيرات ، التحول في ميزان القوى العالمي لصالح الاشتراكية والاتجاهات القومية المعادية للامبريالية . فقد انهار النظام الكولونيالي ، وتعززت وحدة بلدان المنظومة الاشتراكية ، وتعاظمت الحركة العمالية في البلدان الرأسمالية ، واشتد ساعد حركة التحرر الوطني العالمية ، التي أخذت تكتسب مضامين اجتماعية معادية للامبريالية .

كل تلك المتغيرات في الوضع الدولي ، كانت تصب في اتجاه الاعتراف بمبادىء التعايش السلمي ، والانفراج الدولي ، وتخفيف حدة التوتر ، وصيانة السلام العالمي . وفي ظل هذه الظروف ، كان على الولايات المتحدة الأمريكية ، أن تسلم ليس باعادة تقويم استراتيجيتها السياسية في العلاقات الدولية فحسب ، بل في مجمل صراعها الأيديولوجي وأساليب دعايتها ضد قوى الاشتراكية والتحرر . ذلك أن أساليب صراعها الأيديولوجي واستراتيجيتها السياسية ، وأشكال دعايتها في الخمسينات ومطلع الستينات لاقت نهاية بشعة ، بعد أن منيت بهزائم منكرة . لقد أظهرت المناقشات التي دارت بين منظري الامبريالية وأيديولوجييها ، تيارين في السياسة الخارجية : الأول ، يميني متطرف يسعى إلى الاستمرار في زيادة حدة التوتر الدولي ، وتشجيع الحروب الاقليمية ،.والمحلية ، ويلوح ببعض الأفكار

الأساسية المنتمية أصلاً إلى أيديولوجية الحرب الباردة (التيار الذي عبرت عنه ادارة رونالد ريغان) وهو موضوع سنتناوله فيما بعد . أما الثاني ، فينطلق من ضرورة الاعتراف ، على الأقل ببعض نتائج الواقع الجديد والبحث عن أساليب جديدة لخوض الصراع الأيديولوجي ، وبأشكال دعائية تنسجم مع المتغيرات في الوضع الدولي .

ولكل من هذين التيارين منظرون ومدارس فكرية . ويمكن ذكر مدرسة جورج ليسكا في العلاقات الدولية التي يعرفها البعض بمدرسة « الاستراتيجية العليا من أجل استعادة الامبراطورية » « Grand Strategy for The Restoration of Empire » كاحدى المدارس التي تنظر من أجل الهيمنة العسكرية الأمريكية . بينما يمكن اعتبار بعض المفكرين ، أمثال جورج بول ، ممثلين للمدرسة التي تؤمن بدبلوماسية الدولار . كيف عبر التيار الثاني عن آرائه ومفاهيمه حول نظرية « الانفراج الدولي » ؟ . يؤكد العديد من الكتاب المتخصصين في الدراسات الاستراتيجية ، على أن هناك علاقة وثيقة بين نظرية « التقاطع » في الدراسات الغربية ومرحلة « الانفراج » على الصعيد الدولي ، التي بدأت خلال فترة حكم الرئيس الأمريكي الأسبق ريتشارد نيكسون الذي ينتمي إلى مدرسة « الانفراج » مع مساعده لشؤون الأمن القومي هنري كيسنجر . والتبريرات التي استخدمت من قبل هذه المدرسة من أجل الدعوة لسياسة الانفراج ، كانت مبنية أساساً على التخوف من خطر نشوب حرب نووية ، وبالتالي على محاولة القيام بعقد اتفاقيات للحد من سباق التسلح في المجال الاستراتيجي للتخفيف من احتمالات حدوث حرب نووية . فشهدت تلك الفترة أربعة مؤتمرات قمة ارتبطت خلالها الولايات المتحدة ، بعدد كبير من الاتفاقيات ومبادىء السلوك والعلاقات ، كما رأت هذه المدرسة أن رغبة الاتحاد السوفياتي في الاستفادة من التكنولوجيا الغربية المتطورة ، قد تكون عاملاً مساعداً لدفعه باتجاه التعاون السياسي والأيديولوجي مع الغرب . إذ يستند دعاة الانفراج وتحويل التكنولوجيا إلى الاتحاد السوفياتي على ركيزة مفادها ، أنه ليس هناك علاقة بين زيادة الطاقات الاقتصادية السوفياتية وبين زيادة القدرات العسكرية السوفياتية . فحسب أقوال كيسنجر : « إن إحدى وقائع الوضع الحالي ، الذي يختلف عن أي مرحلة سابقة ، هي أنه ليس هناك علاقة ضرورية بين القدرة الاقتصادية والقوة العسكرية » ، بل في الواقع كان أحد أهداف دعاة الانفراج الأمريكان ، إضعاف القوة العسكرية السوفياتية من خلال تحديث الاقتصاد السوفياتي ، لاعتقادهم بأن التكنولوجيا الغربية ستؤدي إلى تحويل بعض

الموارد المستخدمة في المجتمع العسكري الصناعي السوفياتي إلى صناعات مدنية ، بالاضافة إلى التخفيف من العداء بين النظامين ، وبالتالي إلى تخلي الاتحاد السوفياتي عن سياساته (التوسعية)[٥] . كما استخدم دعاة سياسة الانفراج في الولايات المتحدة ، حجة ضعف الاقتصاد السوفياتي من خلال تنمية العلاقات الثقافية بين البلدين على أساس أن العلاقات الثقافية ستؤثر في خاتمة المطاف على التوجهات السياسية والعقائدية السوفياتية .

إن أحد المنطلقات الأساسية في منطق دعاة الانفراج ، هو أن الاتحاد السوفياتي أصبح قوة عظمى Super Power ذات مصالح مشتركة مع القوة العظمى الأخرى . والفكرة الضمنية وراء هذا المنطلق ، هي أن الأيديولوجيا الماركسية ـ اللينينية باتت أقل أهمية في التفكير السوفياتي . وعلى أساس هذا المنطلق ، صرح الرئيس الأمريكي نيكسون عدة مرات ، أن الأيديولوجيات أصبحت أقل أهمية من السابق ، وأن المصلحة الذاتية لكل بلد حلت محل الأيديولوجيات ، ثم طبقت هذه الفكرة على الاتحاد السوفياتي : سننظر إلى خصومنا الشيوعيين كدول تبحث عن مصالحها الذاتية في المرتبة الأولى من سلم اهتماماتها . كما رأت إدارة نيكسون أن المصلحة الذاتية السوفياتية تسير على أساس ذات الأهداف التي تسير عليها المصلحة الذاتية الأمريكية ، وهي قبل أي شيء آخر ، ليست سوى البحث عن استمرار الوضع القائم بدون الحاجة إلى أي أهداف ثورية . وانسجاماً مع هذه الفكرة ، استنتج دعاة الانفراج الأمريكان ، أن التطور الهائل في الأسلحة النووية ، والتخوف من استخدامها ، قد نجح في تحويل الاتحاد السوفياتي من قوة « ثورية » إلى قوة « الأمر الواقع »[٦] .

وعلى أساس الآراء والمفاهيم المذكورة يصبح واضحاً أن نظرية « التقاطع » التي هيمنت على الدراسات الأكاديمية ، في عهد الانفراج ، تعكس رغبات دعاة الانفراج في العلاقات الدولية . وإحدى النقاط الأساسية في نظرية « التقاطع » هي أن الاتحاد السوفياتي هو المتغير الذي يتحرك باتجاه التقاطع مع الولايات المتحدة ، التي تمثل مجتمع « الحرية » و « الوفرة » ، إذ أن عملية التصنيع تؤدي إلى بروز ثقافة مشتركة بين جميع المجتمعات الحديثة ، نتيجة التماثل في استخدام الآلات والخبرات

---

(٥) نهى تادرس ـ مرجع سابق ص ٦٤ .

(٦) انظر : Stephen P. Gibert - Soviet Perception of America , London Macdonald and Jane , S , 1979 , P.P. 15 - 16

والتكنيك والتنظيم . وأن هذا التماثل ، سيؤدي بصورة تلقائية إلى تماثل الأنظمة السياسية للبلدان المصنعة المتطورة ، كما أن عملية التصنيع ستؤدي إلى نمو مجتمعات أكثر تنوعاً وتعقيداً ، الأمر الذي يؤدي إلى بروز مصالح متباينة لكل جماعة أو فئة ، وبذلك يصبح المجتمع الصناعي مجتمعاً متعدد الاتجاهات ، مما سيؤدي إلى قيام جماعات ضاغطة تؤثر على النظام السياسي من أجل تلبية مطالب متنوعة . إضافة إلى ذلك ، فإن عملية التصنيع ستؤدي إلى « الوفرة » مما سيقلل من أهمية الأيديولوجيا . فالحزب الشيوعي سيظل قادراً على الاستمرار في السيطرة على السياسة والمجتمع ، طالما يتطلب من المجتمع القيام بتضحيات بهدف التصنيع ، ولكن عندما يتحقق هذا الهدف ، ستصبح سلطة الحزب غير ضرورية . ومثلما انتهى عصر الأيديولوجيات في أوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية واليابان ، فسينتهي عصر الأيديولوجيات في الاتحاد السوفياتي أيضاً .

من أبرز المنظرين في هذا الاتجاه هو والت روستو ، الذي صاغ نظرية « البيان اللاشيوعي » . وحسب روستو ، فإن مجمل تطور المجتمع البشري ، أفرز خمس مراحل من النمو الاقتصادي . وقد أدت المرحلة الرابعة في البلدان الصناعية المتطورة إلى الوصول إلى مرحلة « النضج » الصناعي ، بينما اتسمت المرحلة الخامسة بعهد « الاستهلاك العالي للجماهير » ويصف روستو الماركسية بأنها « نظام مليء بالتصدعات، ولكنه مليء أيضاً بالمفاهيم الجزئية الصحيحة». ويعتقد روستو بأن الاتحاد السوفياتي قد دخل مرحلة « النضج » الصناعي ، وحقق نجاحات اقتصادية محددة، ولم يبق أمامه سوى تغيير نظامه الاجتماعي انتقالاً للمرحلة الأرقى أي السير نحو الرأسمالية(٧) .

كما ساهم عامل آخر في بلورة نظرية « التقاطع » وهو عملية « التأثير المتبادل » بين النظامين الاجتماعيين ، ودخولهما في رأي دعاة هذه النظرية في مرحلة « الاكتشاف المتبادل » حيث ساهمت عملية تطور الاتصالات ، والمبادلات التجارية ، ونقل التكنولوجيا في ترسيخها . ويرى هؤلاء أن الاتحاد السوفياتي الذي كان معزولاً في السابق هو الذي سيتأثر أكثر من غيره في عملية الانخراط في السوق العالمية . ولكنهم سعوا في الوقت نفسه ، إلى إبراز تفوق النظام الرأسمالي وقيمه ، وإلى الحد من إمكانية تطور الفكر الاشتراكي ، والنظام الاقتصادي الاشتراكي ،

---

(٧) د. عبد الحسين شعبان ـ الصراع الايديولوجي في العلاقات الدولية (مخطوطة غير منشورة) ص. ص ٦٨ ـ ٦٩ .

من خلال الادعاء بأن النتيجة واحدة في خاتمة المطاف ، وأن الفروق الأيديولوجية والاجتماعية ، ستتوحد حتماً من خلال التطور التكنولوجي .

وليس من الصـدفة أن تتطور هذه النظرية على يد مستشار الأمن القومي الأسبق زبيغنيو بريجنسكي المعروف بعدائه للاتحاد السوفياتي ، والبلدان الاشتراكية الأخـرى . واستعـداده للجـوء إلى أسلوب القـوة العسكرية ، واضح من خلال تصريحه لصحافي بريطاني يقول فيه : لن تكتب النهاية للانسانية إذا تسبب الانفجار النووي المتبادل بيننا وبين الاتحاد السوفياتي في مقتل ١٠٪ من سكان الأرض ، وأنه لن يتردد في ضغط الزر إذا تطلبت اعتباراته التحليلية ذلك[٨] .

لقد كان يأمل بأن تؤدي سياسة « الانفراج » على المدى الطويل إلى تغييرات في الأسس الـداخلية للنـظام الاشـتراكي العـالمي . فبينما كان يعبر عن ضرورة الاستمرار للتوصل إلى اتفاقية « سالت ـ ٢ » ، انتقد سياسة نيكسون ـ كيسنجر « الواقعية » ، لأنها تركت المبادرة « الأيديولوجية » في أيدي السوفيات ، واقتصر عملها على المبادلات الاقتصادية والعسكرية . وقد اعتبر بريجنسكي من الضروري أن تشن الولايات المتحدة هجوماً في المجال الأيديولوجي ، وأن تصبح مرة أخرى مثالاً للغرب ، مما يتطلب طرح نظرية عالمية أخرى معاكسة للنظرية الشيوعية . ويرى بريجنسكي أن الولايات المتحدة يجب أن تنشر تأثيرها من خلال « القيم » و « طريقـة الحياة الأمـريكية » ، بالقـدر نفســه الذي توسع فيه نفوذها من خلال الأسلحة والدولار . كما نبه بريجنسكي إلى ضرورة استخدام الورقة الدينية ، حيث ركز على أهمية التعايش مع الأنظمة الدينية التي تختلف بأيديولوجيتها عن النظام الرأسمالي ، ولكن بالامكان استثمارها لمحاربة الشيوعية[٩] . فماذا كان موقف الاتحاد السوفياتي إزاء هذه الافكار والآراء ؟ . لقد استمر الاتحاد السوفياتي طوال مرحلة الانفـراج ، بالنـظر إلى النـظام الامـبريالي كنـظام مختلف بصـورة جوهـرية عن الاشـتراكية . كما استمـرت السياسـة السوفياتية في الاعلان عن التزامها المبدئي بسياســة التعــايش السلمي التي تطلبت التعــاون في عدة مجالات بين الشرق والغرب ، إلا أنها لم تعن يوماً بامكانية حدوث تقارب على الصعيد الأيديولوجي بين النـظامـين . ففي مجال الأيديولـوجيا لا يوجد أي تعايش سلمي بين الاشتراكية

---

(٨) زبيغنيو بريجنسكي ـ صحيفة القبس الكويتية ٢٠ آب (أغسطس) ١٩٧٨ .

(٩) معـظم هذه الأفكار وردت في كتاب : زبيغنيو بريجنسكي : بين عصرين ـ أميركا والعصر التكنوتروني . ترجمة وتقديم محجوب عمر . دار الطليعة ، بيروت ١٩٨٠ .

والـرأسـمالية . واستنـاداً إلى هذا المـوقف صرح الـزعيم السوفياتي الراحل ليونيد بريجينيف عام ١٩٧٢ قائـلا : في نضـالنـا من أجـل تكـريس سياسـة التعايش السلمي ، نعـترف أن النجاحات في هذا الشأن المهم لا تعني بأي شكل كان ، امكـانية إضعـاف الصراع الأيديولـوجي ، على العكس من ذلـك تمامـاً ، فمن الضروري أن نتهيأ لتصعيد هذا الصراع الذي سيتخذ شكلاً جديداً بين النظامين الاجتماعيين(١٠) .

كما وصف بعض المفكـرين السوفيات نظرية التقاطع بين النظامين ، التي تدعو إلى تعايش أيديولوجي على أنها محاولات تخريبية من قبل الغرب ، فقد كتب أربـاتـوف : « إن أشكـالاً عديدة من العـلاقـات الـدولية مثـل التجارة والثقافة والعلاقات العلمية والتقنية المعترف بها على صعيد عام ، والتي كانت تحظى بسمعة إيجـابية خلال القـرون السابقة حولت من قبل الرأسماليين إلى نقيضها ، أي إلى أدوات رهيبة للنشاط التخريبي » . وذهب البعض الآخر من المفكرين السوفيات إلى اعتبار هذه النظرية قد نمت في الولايات المتحدة عندما فشلت سياسة العصا الغليظة ، حيث « تعتـبر عملية إقـامـة علاقـات سلمية ، مع بلدان المـنظومـة الاشـتراكية العـالمية كأسلوب أسـاسي في إضعاف النظام الاشتراكي وتفسيخه ، (ليس هذا فحسب ، بل إنها تنتمي إلى تكتيكات الثورة المضادة الصامتة) ، حيث ان هدفها الأساسي هو اخراج البلدان الأوروبية الشرقية من المنظومة الاشتراكية».
كما رأى البعض أن التعاون الاقتصادي مع الغرب يقوم على المنفعة المتبادلة .
وذهب أحدهم إلى القول « ان الشركاء الأجانب سيكونون معتمدين بنفس الدرجة على ما يصـدر الاتحـاد السـوفياتي من امـدادات الغـاز والنفط مقابل الأنابيب ، والكهرباء مقابل المحركات النووية ، والشركاء لديهم مصالح مشتركة بينها يستمر بشكل مواز الصراع بين النظامين الاجتماعيين »(١١) .

---

(١٠) البرافدا ، ٢٨ حزيران ١٩٧٢ .

(١١) نهى تادرس ـ مرجع سابق ، ص.ص ٦٩ ـ ٧٠ .

ريغان ـ أولوية المعركة الأيديولوجية

لم يكن وصول رونالد ريغان إلى البيت الأبيض أمراً عادياً ، نتيجة تنافس بين حزبين تشهده الولايات المتحدة الأمريكية كل أربع سنوات منذ نشأتها فحسب ، بل كان أيضاً انتصاراً لا سابق له لتيار ايديولوجي قوي النبرة ، صدامي ، غني بالوسائل ، يدعى أحياناً « باليمين الجديد » أو تيار « المحافظين الجدد » أو أيضاً « بالتيار القومي الجديد » وهي صفات تدل جميعها على طابعه الجديد . لقد توصل رونالد ريغان إلى الرئاسة في ظروف دولية متميزة من حيث تصاعد الشعور في الولايات المتحدة ، بأن الاتحاد السوفياتي قد استفاد إلى حد كبير من مرحلة الانفراج لبناء ترسانة عسكرية تقليدية نووية ، أصبحت تنافس الولايات المتحدة إن لم تكن فعلياً قد فاقتها . ولأول مرة منذ الحرب العالمية الثانية ، هيمن الشعور بأن الولايات المتحدة لم تعد القوة العسكرية العالمية الأولى ، وبأن الاتحاد السوفياتي قد أحسن استخدام الانفراج لمصلحته* .

ولكن ما هي الخلفية الأيديولوجية لهذا التيار اليميني الجديد ؟ . أو على الأقل ما هي سماته الأساسية في مجال السياسة الخارجية الأمريكية ؟ . منذ مطلع

* ليس المجال هنا ، لتفصيل الحملة الواسعة ، التي شنت على سياسة « الانفراج » في الولايات المتحدة خلال الأعوام الاخيرة ، على أساس انها « فخ » وقعت فيه واشنطن .

الحملة الانتخابية التي خاضها ريغان انتقد معظم المفكرين المحيطين به سياسة إدارة الرئيس الأمريكي السابق جيمي كارتر تجاه العلاقة مع الاتحاد السوفياتي وسياسة إدارتي ريتشارد نيكسون وجيرالد فورد، بسبب دعمهما لسياسة الانفراج في العلاقات الدولية . ومن أهم هؤلاء المفكرين يمكن ذكر نورمان بودورتز وجين كيركباتريك ووليام فان كليف ، وسكوت تومسون ، وفرانك بارنيت ، وروبرت ناكر ، وريتشارد بايبس واخرين* .

تنبع خصوصية نورمان بودورتز رئيس تحرير مجلة Commentary من كونه يدعو إلى إعادة طرح أيديولوجية لعالمين ، أحدهما « شيوعي » ويمثله الاتحاد السوفياتي والآخر « حر » وتمثله الولايات المتحدة الأمريكية . حصيلة طروحاته هذه جمعها في كتابه المعنون « الخطر الراهن » . هذا الخطر كما يراه بودورتز في أحداث إيران وأفغانستان.ونقطة انطلاقه هي التالية : لا يتألف التاريخ العالمي المعاصر من حرب باردة يتلوها انفراج ، إنه يتألف أساساً من « صراع الحرية ضد الشيوعية » ، وضياع الحقل الأيديولوجي هو وحده المسؤول عن تراجع النفوذ الأمريكي . لذلك فهو يطالب بالعودة إلى ممارسة سياسة خارجية نشيطة ، ومتداخلة في صياغة العالم المعاصر . أما فيما يخص العلاقة مع الاتحاد السوفياتي ، فيدعو إلى إعادة طرح كلمة واحدة ، تقض مضجعه ، هي « الشيوعية » . وهو يقول بهذا الصدد « إننا بمقاومتنا لتقدم القوة السوفياتية نحارب من أجل الحرية وضد الشيوعية ، من أجل الديمقراطية وضد الاستبداد »[١٢] .

---

* وفي اطار هذا التيار الفكري ، هناك أسماء شخصيات سياسية بارزة اخرى مثل سيمور مارتين ليبست وروبرت نيبست ودانييل بل وناتان جليزر ووالت روستو . ومن أبرز ممثليهم في المجال السياسي عضوا الكونغرس دانييل باتريك مونيهان وهنري جاكسون . ولدى هذا التيار مجلتان اساسيتان يعبر من خلالهما عن أفكاره وهما Public interest Commentary وكذلك في صحف ومجلات عديدة أخرى ، كالنيويورك تايمز ويو . إس نيوز أند وورلد ريبورت ، وبيزينس ويك وغيرها . وهناك لجان تنتمي إلى هذا التيار مثل « اللجنة الوطنية المحافظة للعمل السياسي The National Conservative Political Action Comittee » ويترأس هذه اللجنة جون دولان و « لجنة الخطر الراهن » Comittee for the Present Danger التي تطالب بوضع استراتيجية عسكرية شاملة لمواجهة « الخطر السوفياتي » على الصعيد العالمي .

(١٢) د. غسان سلامة ـ الايديولوجيا والسياسة الخارجية : الادارة الأميركية الحالية ـ في كتاب السياسة الاميركية والعرب . مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، حزيران (يونيو) الطبعة الاولى ١٩٨٢ ص. ص ٢٥٦ ـ ٢٥٩ .

جين كيركباتريك ، مندوبة الولايات المتحدة في الأمم المتحدة ، أكثر تحديداً للقاعدة الأيديولوجية التي تستند عليها إدارة رونالد ريغان في عدائها لحركات التحرر الوطني العالمية ، حيث ترى أن قوى التغيير هي بالاجمال اليوم قريبة للاتحاد السوفياتي ، و « بما أن موسكو هي القوة العدائية التوسعية اليوم ، فإن المتمردين على الأوضاع القائمة في بلدان العالم الثالث ، يجدون في الاجمال التشجيع والتسليح لدى الاتحاد السوفياتي » . أكثر من ذلك ، فهي ترى « أن صراعات المثقفين وترسيخ التمايز بين اليمين واليسار تمنع أولئك الأذكياء حسني النية من رؤية الحقيقة ، وهي أن الحكومة التقليدية المتسلطة هي أقل قمعاً من الديكتاتورية الثورية ، وأنها أكثر قدرة على الانتقال إلى مزيد من الليبرالية ، وأنها أكثر ملاءمة للمصالح الأمريكية »(١٣) .

أما « فان كليف » العضو السابق في هيئة بحثية تم تكليفها من قبل البنتاغون باجراء محادثات حول الحد من الأسلحة الاستراتيجية في مطلع السبعينات ، فيصرح : « لقد بات لدينا عشر سنوات من الخبرة مع الاتحاد السوفياتي بشأن محادثات الحد من الاسلحة الاستراتيجية ، رغم ذلك فإن أهداف وتطلعات عام ١٩٦٩ لم تتحقق ، بل على العكس فإننا بلغنا عتبة عدم الاستقرار ، مضافاً إليه تفوق سوفياتي ، وزيادة حدة الانفاق العسكري إضافة إلى السلوك الهجومي من قبل الاتحاد السوفياتي » . ويعتقد فان كليف جازماً ، أن الاتحاد السوفياتي يسعى باستمرار إلى التفوق ، وأنه لا يرغب بالمساواة ولن يقتنع بوقف عملية التسلح ، إلا من خلال التهديد بضربة أمريكية أقوى .

أشار سكوت تومسون من جهته إلى المساعدة العسكرية السوفياتية لأفغانستان قائلاً : انه بات واضحاً أن غزو أفغانستان ، كان نتاجاً غير مباشر لحسابات السوفيات للضعف الأمريكي . ذلك أن عدم وجود أية رغبة أمريكية لمواجهة « العدوان » السوفياتي كان واضحاً خلال سنوات رد الفعل أمام خطوات سوفياتية صارخة . وفي الآونة الأخيرة أصبح فشل الولايات المتحدة بالقيام بأي رد فعل،سياسة واعية ، كما استنتجت موسكو ، وليس فخاً أو لعبة ، مثلما ظن بعض المحللين السوفيات في بادىء الأمر . ويخلص تومسون إلى القول : إنه بسبب حجم التدهور الحاصل في قدراتها الداخلية ، وبسبب تزايد المخاطر الخارجية التي

(١٣) المصدر السابق ص ٢٦٨ .

تواجهها ، فالولايات المتحدة ، هي اليوم ، وجهاً لوجه ، أمام أكبر تحد في تاريخها .

وكتب فرانك بارنيت ، أحد أبرز مستشاري ريغان في مجال الدفاع خلال المعركة الانتخابية : « إن سياسة الاحتواء قد انتهت ، وان سياسة الانفراج في طريقها إلى الفشل » . وعليه فقد طالب الولايات المتحدة باتباع سياسة أمنية مبنية على التجديد في وسائل الدفاع ، والقيام باصلاحات عسكرية . كما عبر عن استيائه من سياسة الانفراج قائلاً : في بادىء الأمر ينبغي علينا إعادة تعريف الاتحاد السوفياتي ليس كعدو محترم ولكن كعدو واضح المعالم ، كما يعرف نفسه هو بالأقوال والأفعال . فعملية التبادل التجاري مع الاتحاد السوفياتي لم تضع حداً لعملية بناء الصواريخ والدبابات والغواصات،كما أن سياسة الانفراج التي عمل على أساسها كيسنجر ، لم تؤثر على سياسة السوفيات في أنغولا وفيتنام[١٤] .

في مقابل هؤلاء المهتمين بالمعركة الأيديولوجية ضد الشيوعية في كل مكان من العالم هناك خبراء السياسة الذين يتحلقون حول عدد من المؤسسات والمراكز البحثية ، ومنها على وجه التحديد مؤسسة هوفر الشهيرة بعدائها المستميت للاتحاد السوفياتي ، ولحركات التحرر الوطني في العالم ، والتي ارتبط اسم ريغان بها منذ فترة طويلة ، ومركز جامعة جورجتاون للدراسات الاستراتيجية في واشنطن الذي يستقطب منذ فترة دعاة الحرب الباردة وفي مقدمتهم روبرت تاكر .

وليس روبرت تاكر دخيلاً على الأنتلجنسيا اليمينية المحيطة بالرئيس الجديد . لقد تميز ـ وهو منذ زمن أستاذ العلاقات الدولية في جامعة جونز هوبكنز ـ بمواقف تكاد تكون منفردة . فقد كتب غداة فوز ريغان بالانتخابات مقالاً شاملاً عن « أغراض القوة الأمريكية » يمكن اعتباره تلخيصاً أميناً لمجمل فكره الاستراتيجي . يرى تاكر ثلاث مراحل متميزة في مسار السياسة الخارجية الامريكية منذ عام ١٩٤٥ . الأولى عبر عنها مبدأ ترومان عام ١٩٤٧ ، والثانية مبدأ نيكسون عام ١٩٧٠ ، والثالثة بدأت عام ١٩٨٠.اما المرحلة الحالية فيقول عنها : هي التقاء تطورين غاية في الخطورة : ميزان قوى عسكري يميل باطراد لمصلحة الاتحاد السوفياتي ، وتآكل مستمر في قوة الغرب .

كما أنه يرى أن سياسة احتواء شاملة للاتحاد السوفياتي ، واستراتيجية تسعى

---

(١٤) السياسة الخارجية لادارة ريغان في مواجهة الاتحاد السوفياتي والعالم الثالث ـ الفكر الاستراتيجي العربي ـ العدد ٣ آذار ١٩٨٢ ص ١٢ ـ ١٤ .

للقضاء على الشيوعية ككل لاضعاف الأنظمة الراديكالية ، لابد أن تضع الولايات المتحدة أمام خيار واحد لابد منه : المواجهة النووية مع الاتحاد السوفياتي[١٥] .

لم تكن هذه إلا أمثلة ، إلا أن دراسة أولية لمجمل العينات ، تشير الى نسبة كبيرة جداً من الشخصيات المتميزة بأيديولوجية الحرب الباردة ، التي من عناصرها الأساسية : العداء المستميت والعنيف للاتحاد السوفياتي ، ومطالبة الادارة الامريكية بالمواجهة العسكرية له .

وبناء على هذه المعطيات الواردة في هذا الفصل ، يمكننا أن نستنتج أن التغييرات التي حدثت على الساحة السياسية العالمية ، ليست نتيجة لتغيير الادارة الأمريكية بل إن العكس هو الصحيح . فتغيير الادارة جاء كنتيجة لتحولات عميقة في المجال الأيديولوجي ، وانعكست هذه التحولات في برامج الادارة الحالية . ومن المنطقي أن تؤثر هذه التحولات على مجرى السياسة الخارجية الأمريكية بصورة مباشرة وغير مباشرة . ولما كان الاتحاد السوفياتي هو العقبة الأولى ، وربما الوحيدة أمام خرافة « استعادة الهيبة الأمريكية » المفقودة ، فكان لابد من اعلان الحرب الباردة الثانية التي تشن حالياً على الساحة الأورو بية بكل ضجيج قعقعة الأسلحة النووية . وبما أن برنامج رونالد ريغان وهدفه الحقيقي يكمنان في تصعيد هيستريا الحرب ، فقد قاده ذلك الى رفع شعارات خادعة حول الخطر العسكري السوفياتي المزعوم ، للتأثير على الرأي العام العالمي ، وجر الجماهير الى مواقف عدائية لبلدان المنظومة الاشتراكية . ويتفق هذا الهدف ، مع إعلان إدارة ريغان ، لدى تسلمها الحكم مباشرة ، بأنها ستسعى الى مكافحة « الارهاب » وكان وزير الخارجية الأمريكي السابق الكسندر هيغ ، الذي عمل كقائد عسكري في الحرب الفيتنامية ، قد حاول في أول مؤتمر صحفي عقده في ٢٨ كانون الثاني (يناير) ١٩٨١ تبرير نهج تصعيد التسلح والمجابهة المتزايدة حدة ، الذي تبنته ادارة ريغان ، بين أمور أخرى ، بالزعم الباطل والقائل بأن الاتحاد السوفياتي قد أصبح نتيجة سياسته المنتهجة على ضوء مبدأ الأممية البروليتارية ، ولتضامنه مع حركات التحرر الوطني « مركزاً وبؤرة للارهاب الدولي »[١٦] .

ومنذ ذلك الحين ، تعتبر تصريحات كهذه ، ومايشابهها من صلب البرنامج اليومي للادارة الأمريكية الحالية . ولايخفى على أحد أن الرئيس ريغان نفسه قد

---

(١٥) د . غسان سلامة : الايديولوجيا والسياسة الخارجية . مصدر سابق ص٢٦٦ .

(١٦) التايم ١٦/٣/١٩٨١ .

أشار في خطاب ألقاه في ٩ آذار (مارس) ١٩٨١ قائلا : دعونا لانخدع انفسنا ، فالاتحاد السوفياتي هو سبب كل اضطراب في العالم ، ولو لم يكن السوفيات متورطين في لعبة الدومينو هذه ، لما كانت هناك نقاط ساخنة في العالم[١٧] .

وعلى هذا الاساس ، فإن حركات التحرر الوطني ، والصراع الطبقي ، والحركات الجماهيرية الساعية للسلام والديمقراطية والاشتراكية ، لايمكن أن تكون برأي ريغان إلا حصيلة لـ « تآمر موسكو على العالم كله » ! .

لقد اتجهت إدارة ريغان نحو اعطاء الأولوية للانفاق العسكري ، وعملت على تنمية طاقات المجتمع العسكري الصناعي ، وبرامجه التي تشكل خطورة فعلية على بقاء البشرية وذلك في اطار مشروع امبريالي واسع ، يستهدف الحفاظ على المصالح الأمريكية وتعزيزها في معظم مناطق العالم . ولكن كيف يتم لها ذلك كله دون استخدام وسائل الدعاية في قلب الحقائق وتشويهها ؟! . .

وهنا تلعب وكالة المخابرات المركزية دوراً هاماً في تحديد أهداف الدعاية بما يخدم الأهداف التي تعبر عنها الادارة الأمريكية . وتدليلاً على مدى الاهتمام الذي تحيطه الادارة الأمريكية بأساليب الدعاية ، فانها خصصت حوالى ٢,٥ مليار دولار ، لخدمة الاتجاهات الرئيسية لسياستها الخارجية . ولكن النفقات الحقيقية ، كما تشير الصحافة الأمريكية ، تبلغ مستوى أكبر من ذلك بكثير .

إن النشاط الدعائي في الولايات المتحدة يخضع اليوم إلى جهاز ضخم واسع . فقد تم إنشاء وكالة الاتصالات الدولية International Communication Agency التي باشرت عملها في نيسان (أبريل) ١٩٧٨ وذلك بعد أن اتسع نشاط الـ (C.I.A) بشكل كبير حيث باتت تصدر ٦٥٠ نشرة دورية في (٢٨) لغة . ولوكالة الاتصالات الدولية مائتا مكتب في ١٢٦ بلداً ، وتصدر ١٢ مجلة دورية في (٢٢) لغة وتنتج ٩٠ فيلماً سينمائياً سنوياً ، ومايقارب ٥ ملايين نسخة من الكتب في (٢٥) لغة في بلدان آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية[١٨] .

من خلال هذا الواقع الضعيف الذي يشكل ثغرة داخل البلدان في العالم الثالث ، تسعى الولايات المتحدة لتوسيع دائرة نفوذها وتأثيرها على هذه البلدان على صعيد الاتصال والاعلام . فتحت غطاء المساعدات المالية والتقنية ، تعمل واشنطن على ربط وسائل الاعلام الموجودة أو في حكم الانشاء في كل بلد نامٍ ،

---

(١٧) السفير ٢٧/ ١١/ ١٩٨٣ .

(١٨) عبد الحسين شعبان ـ مصدر سابق ص٤٥ .

مباشرة بالسياسة الاعلامية الامبريالية من جهة ، ومن أجل منع هذا البلد أو ذاك من بناء قطاع للاعلام ، وطني ومستقل من جهة أخرى .

ومما لاشك فيه ، ان المساعدات المذكورة ، وخاصة التقنية منها ، هي مساعدات غير محايدة أي منحازة بوضوح الى الجهة التي تمثلها . وهذا ماأكده بوضوح التقرير الذي وضعته لجنة « سين ماكبرايت » بتكليف من منظمة اليونسكو ، والذي وافق عليه بالاجماع المؤتمر العام للمنظمة الذي عقد في ١٩٨٠ في بلغراد في اطار مشروع النظام الجديد للاعلام والاتصال . فقد كشف التقرير الذي تمحورت أبحاثه حول الوظيفة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية للاعلام والاتصال ، وكذلك حول مضمون النبأ ووظيفته ودوره ، كشف اكذوبة الحياد المزعوم للأنباء ، مؤكداً بأن وسائل الاتصال بما فيها البرقيات المبعوثة ، تمثل أجهزة أيديولوجية حقيقية في يد الامبريالية التي تغرق ببرامجها عدداً كبيراً من الدول ، وخاصة دول العالم الثالث .

ومن خلال هذه البرامج ، تجري بلبلة الرأي العام العالمي بالدلائل التي تسعى لوضع جمهورية بلغاريا الشعبية في قفص الاتهام من خلال قضية محاولة اغتيال البابا التي ليست سوى مؤشر واضح على أن الحملة الأمريكية المفتوحة في المواجهة مع الاتحاد السوفياتي والبلدان الاشتراكية الأخرى ، انما تنفذ تطبيقاً لمخططات معدة سلفاً في دوائر المخابرات الأمريكية ، وباشراف أعلى القيادات السياسية بهدف دفع عملية الانفراج الدولي الى طرق مسدودة وتبرير حمى سباق التسلح .

إن الولايات المتحدة التي تصعد الآن من مواجهتها وحملاتها الاعلامية على جمهورية بلغاريا الشعبية عبر بوابة « الارهاب الدولي » التي جاء بها ريغان ، إنما تقوم بسياسة ابعاد الشبهات عنها من خلال توجيه التهم والافتراءات للطرف الآخر . . فالعالم كله عبر مختلف حركاته وتنظيماته ، لمس ومن خلال أدلة واقعية بأن الارهاب الدولي لايكمن مصدره في الشرق أو عند حركات التحرر الوطني ، وانما في قلب القارة الامريكية ، وبالتحديد في البيت الابيض ، والبنتاغون الذي جعل الارهاب سياسة رسمية تتبعها الدولة في تعاملها على الصعيد العالمي .

وما الحملة المسعورة التي تشن الآن بحدة ضد بلغاريا ، سوى مؤشر واضح على أن كل الجهود الامريكية السابقة في هذا المجال قد منيت بالاخفاق . وأنه لتشويه سمعة البلدان الاشتراكية ، لابد من مواصلة عملية التحرش من خلال منطلقات مختلفة . ويبدو أن الدور الان في عملية التصعيد مع البلدان الاشتراكية

التي تقوم بها الامبريالية الأمريكية موجَّه نحو بلغاريا ، من خلال الحديث وخلق الافتراءات عن الارهاب ، وصولاً لغاية تعكر أجواء العلاقة بين الشرق والغرب ، لكي تخدم حمى سباق التسلح على أوسع نطاق وتحقق من خلالها الاحتكارات العالمية أقصى الأرباح الممكنة .

ثبت تاريخي باحداث الكتاب

١٩٧٩، ١ شباط اغتيال ابدي ابتشكي « رئيس تحرير صحيفة ميليت » الليبرالية التركية.

١٩٧٩، ٢٥ شباط اعتقال محمد علي اغجا في اسطنبول بتهمة اغتيال ابتشكي

١٩٧٩، ٢٤ تشرين الثاني هرب (اغجا) من «كارتل مالتيب»

١٩٧٩، ٢٦ تشرين الثاني اغجا يرسل رسالة الى صحيفة ميليت «يهدد فيها حياة البابا اذا زار تركيا»

١٩٧٩، ٢٨ تشرين الثاني البابا يوحنا بولس الثاني يبدأ زيارة لتركيا دامت حتى الاول من كانون الاول

١٩٨٠، ٢٨ نيسان الحكم على محمد علي اغجا بالاعدام غيابيا في تركيا

١٩٨٠، ٢٨ اب محكمة الاستئناف التركية تصادق على قرار اعدام (اغجا)

١٩٨٠، ٣١ اب الحكومة البولونية تتوصل الى اتفاق مع منظمة التضامن وتعترف الحكومة بموجبه بهذه المنظمة

١٩٨٠، ١٢ ايلول القادة العسكريون الاتراك يستولون على السلطة في تركيا بانقلاب عسكري يطيحون فيه بحكومة «سليمان ديميريل»

١٩٨٠، ٣ تشرين الاول السفارة التركية في بون ترسل مذكرة الى وزارة الخارجية في المانيا الاتحادية تتحدث عن تقارير عن وجود (اغجا) في مدينة فرانكفورت

١٩٨٠ ، ٦ تشرين الثاني السفارة التركية في بون ترسل مذكرة ثانية الى الخارجية الالمانية تتحدث عن وجود اغجا في برلين

١٩٨٠ ، ٢٥ تشرين الثاني اغتيال التركي « نيكاتي اويجور » في « كمبتن » في المانيا الاتحادية ، والدلائل تشير الى تورط (اغجا) في الاغتيال

١٩٨٠ ، كانون الاول مذكرة ثالثة من السفارة التركية الى الخارجية الالمانية الاتحادية حول وجود (اغجا) في مدينة برلين

١٩٨٠ ، ١٥ كانون الاول اغجا يقابل في ميلانو « موسى سردار سيليبي » احد زعماء الذئاب الرمادية في المانيا الاتحادية

١٩٨١ ، ١٨ كانون الثاني « ليش فاليسا » يزور البابا في الفاتيكان

١٩٨١ ، ٣ آذار اغجا يقابل « موسى سردار سيليبي » في زيوريخ

١٩٨١ ، ٣ نيسان يدخل الى سويسرا قادما من النمسا

١٩٨١ ، ٥ نيسان اغجا يعود الى روما

١٩٨١ ، ٨ نيسان يغادر روما الى «بيروجيا » عبر القطار

١٩٨١ ، ٩ نيسان ينتسب الى جامعة للاجانب في « بيروجيا »

١٩٨١ ، ٢٥ نيسان يسافر اغجا الى « ماجوركا » الاسبانية

١٩٨١ ، ٩ ايار اغجا يعود الى ايطاليا وينزل في روما في فندق « ايسيابنسيونا »

١٩٨١ ، ١٣ ايار اغجا يطلق النار على قداسة البابا في ساحة القديس بطرس

١٩٨١ ، ١٤ ايار استجواب محمد علي اغجا عن محاولة اغتيال البابا

١٩٨١ ، ٢٠ تموز بدء محاكمة اغجا

١٩٨١ ، ٢٢ تموز انتهاء المحاكمة وصدور حكم بسجنه مدى الحياة

١٩٨١ شهر تشرين الاول اختيار القاضي الايطالي « ايلاريو مارتيلا » لمتابعة التحقيق مع (اغجا)

١٩٨٢ ، شهر شباط اعتقال « لويجي سكريسيولو » الزعيم العمالي الايطالي بتهمة التواطؤ لاغتيال « ليش فاليسا » زعيم التضامن « البولندية »

١٩٨٢ ، ٣ تشرين الثاني اعتقال « موسى سردار سيليبي » في فرانكفورت في المانيا الاتحادية ، وتسليمه بعد ذلك الى الحكومة الايطالية ، باعتباره متهما في حادث اغتيال البابا

١٩٨٢ ، ٢٥ تشرين الثاني اعتقال « سيرجي انتونوف » نائب مدير مكتب خطوط البلقان في روما بتهمة التخطيط المزعوم لاغتيال البابا

مصادر الكتاب العربية :

كتــب :

- « بابوات من الحي اليهودي » ت : خالد احمد عيسى ، مراجعة وتقديم د . سهيل زكار . دار حسان للطباعة والنشر دمشق ١٩٨٣ .
- تاريخ السياسة الخارجية للاتحاد السوفياتي ١٩٤٥ ـ ١٩٧٦ (الجزء الثاني) باشراف غروميكو ، ب بونوماريوف / دار التقدم/ موسكو ١٩٨٠ .
- جورجي ديمتروف ـ ومع ذلك فهي تدور ـ ترجمة س . بورادجييفا . دار النشر التابعة لوكالة « صوفيا برس » صوفيا ١٩٨٢ .
- جون فوستر دالاس ـ حرب ام سلام (القاهرة : الدار العالمية ١٩٥٧) .
- من وراء الارهـاب الـدولي ـ مجموعة من المؤلفين ترجمة : محمد هشام مزيان ـ دار التقدم/ موسكو ١٩٨٣ .
- ميلن سيمكوف ـ ديمتروف ومحاكمة لايبزغ ـ ترجمة ميخائيل عيد . راجعه وقدم له د . مسعود ضاهر دار ابن خلدون/ بيروت (بدون تاريخ نشر) .
- زبيغنيو بريجنسكي ـ بين عصرين ـ اميركا والعصر التكنوتروني . دار الطليعة بيروت ١٩٨٠ ، ترجمة وتقديم د . محجوب عمر .
- د . عبد الحسين شعبان ـ الصراع الايديولوجي في العلاقات الدولية (مخطوطة غير منشورة) .

دوريــات :

- وكالة انباء نوفوستي الصحافية .

- وكالة « الاسوشيتدبرس » .
- وكالة الصحافة الفرنسية:

نهى تادرس ـ دراسة مقارنة في الفكر العسكري الاميركي السوفياتي ـ الفكر الاستراتيجي العربي . العدد ٥ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٨٢ .

- د . غسان سلامة ـ الايديولوجيا والسياسة الخارجية : الادارة الاميركية الحالية في كتاب : السياسة الاميركية والعرب ـ مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت.حزيران الطبعة الاولى ١٩٨٢ .
- مجلة الوطن العربي ١٣ اب ١٩٨٢ .
- مجلة المصور المصرية ٢٢ حزيران ١٩٨٤ .

صحف :

- النهار اللبنانية .
- السفير اللبنانية .
- القبس الكويتية .
- الوطن الكويتية .
- الانباء الكويتية .
- السياسة الكويتية .
- الشرق اللبنانية .
- النداء اللبنانية .
- الانوار اللبنانية .
- الرأي الاردنية .
- البيان الظبيانية .
- البرافدا السوفياتية .

مقابلات :

- مقابلة خاصة مع بويان ترايكوف ـ مدير عام وكالة الانباء البلغارية اجريت بتاريخ ٢٣ تموز ١٩٨٤ .
- مقابلة خاصة مع سين نيكوف معاون مدير وكالة « صوفيا برس » اجريت بتاريخ ١٩ تموز ١٩٨٤ .

مصادر الكتاب الاجنبية :

A . Books :

- Asubversion of the Neo -Crusaders - Bulgarian telegraph Agency - Sofia press Agency - Sofia 1980 .
- Claire Sterling - The time of the Assassins : The inside story of the plot to kill the pope . (Angus . Robertson Publishers . Oct 1983 .
- Christian Roulet - The connection (Agca - John Paul 11 - Antonov) . Paris , 1984 .
- The Anatomy of a slander campaign - Sofia press Agency 1983 .
- Lona Andronov - On the Wolf's track. translated from the Bulgarian by a Sofia press team - Sofia press 1983 .
- The Bulgarian connection , the end of aprovocation - Bulgarian telegraph agency . Sofia press agency . Sofia 1983 .
- David A . Yallop : In good's name , Jonathan Cape, London 1984 .

- Paul Hentze - The plot to kill the pope - Croom Helm London , Canbrra 1984 .
- Stephen . P . Gibert - Soviet pereception of America , London Macdonald and Jane's 1979 .
- William R . Polk - The Elusive Peace : The Middle East in the twentieth century (London : Croom Helm , 1974) .

B . Periodicals :

- Sofia News , july 25 , 1984
- The Jerusalem Post , june 29 , 1984
- Counter Spy - may - june 1982
Convertaction Magazine , NO . 21 , march 1984 Washington . D.C.

الفهرس

هذا الكتاب

في ١٢ أيار ١٩٨١ وقع في الفاتيكان حادثٌ خطير.. جريمة من الطراز الأول وذات طابع سياسي... فقد أقدم الإرهابي التركي محمد علي أغجا عضو منظمة «الذئاب الرمادية» اليمينية الفاشية على إطلاق النار على قداسة البابا يوحنا بولس الثاني.

كان أغجا قاتلاً محترفاً مطلوباً للقضاء التركي والبوليس الدولي لارتكابه جريمة اغتيال أحد الصحفيين الأتراك.. لكن أجهزة الإعلام والمؤسسات الرسمية في الغرب جعلت من أغجا نموذجاً للإنسان «الطيّب» المناهض لـ «الإرهاب» والساعي الى قول «الحقيقة». وحوّلت القاتل المُدان إلى شاهد على «مُتهم» هو البلغاري أنتونوف الذي ألصقت به زوراً الجريمة التي ارتكبها القاتل ـ الشاهد نفسه!!.

من هو بالضبط الذي دبّر محاولة اغتيال البابا يوحنّا بولس الثاني؟.

ومن دسّ مادة «الديجيتالين» القاتلة من قبل في فم سلفه البابا يوحنا بولس الأول؟..

ولماذا حدث ذلك؟.

ولماذا اخترع الـ «متهم بدون تهمة» البلغاري؟.

هذه الأسئلة وغيرها يجيب عليها هذا الكتاب الذي يحاول الكشف عن أهمّ الأوراق السريّة لما حدث في الفاتيكان في ١٣ أيار ١٩٨١ وقبل ذلك بثلاث سنوات. مستعرضاً كمّاً وفيراً من الأحداث والخفايا الخطيرة.

